الدر الثمين
في
ترجمة فقيه الأمة
العلاّمة
ابن عثيمين

رحمه الله تعالى

(1347هـ - 1421هـ)

ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

جمع وإعداد
تلميذه

عصام بن عبد المنعم المري

حقوق الطبع محفوظة

الطـبعة الأولـى
1422هـ

الـنـاشر

مـكـتـبـة

الدُّرُ الثَّمِين
فِي تَرْجَمَة فَقِيه الأُمَّة
العَلاَّمَة ابنِ عثَيمِين

بِسْـمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرَّحِيم
المقدمة

إنَّ الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً مزيداً .

قال تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] [النساء : 1] .

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ][آل عمران : 102] .

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [الأحزاب :70□71] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ρ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد :

لعلّ من أصعب الأمور كتابة المقدمات للأمور العظام والأحداث الجسام ، فإن هول الحدث وفظاعته وعظمه وتصوّره وعظم الخسارة التي تخسرها الأمة كافٍ في انعقاد اللسان واضطراب البنان .

أقول هذا وأنا أحاول كتابة مدخلٍ لترجمة شيخي وأستاذي الجليل العلامة المحقّق المدقّق بقية السلف الصالحين وحامي حمى الدين والذّاب عن شريعة سيد المرسلين ومفيد الطالبين ومفتي الحائرين الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين والذي رُزِئت الأمة بوفاته يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة ، قبيل غروب شمس ذلك اليوم ، ومع غروبها غربت شمس الفقه التي طالما أنارت الدنيا بنورها ، وأزاحت عن الكثير غياهب ظلمائها ، وأزاحت عن العميان غشاوة أبصارها .

فقد كان ابن عثيمين رحمه الله للناس كالنسيم في رقّته ، وكالمزن في عذوبته ، وكالبلسم للعليل في إزالة سقمه ، وكالعافية للبدن .

كم هدى الله به من ضالٍّ ! وكم علّم به من جاهل ! وكم حفظ به من أعراض ! وكم حقن به من دماء ! .

عُمرت المجالس بفتاويه ، وذخرت المكتبات بتآليفه ، وشنفت الأذان بدروسه ، وابتهجت الأبصار بطلعته ، وسعدت القلوب بابتسامته .

فرحمة الله عليك من إمام هدى ، وهادي أمة .

هذا وقد كنت ترجمت للعديد من مشايخي الذين تتلمذت عليهم وتلقيت العلم عنهم ، وكان شيخي ابن عثيمين رحمه الله من أولهم ، ولكنني أخّرت

الترجمة له نظراً لطولها ، ولأنني كنت أودُّ أن تكون ترجمة وافية أذكر فيها كل ما عرفته عن الشيخ طوال فترة ملازمتي له ، ويحتاج ذلك إلى ترتيب وتصنيف وجهدٍ يعلمه من يكتب التراجم .

ثم قدّر الله عز وجل ومرض الشيخ بالداء العضال ، فزرته في المستشفى التخصصي في الرياض في آواخر شعبان قبل انتقاله إلى مكة المكرمة ، فرأيته على سرير المرض ، وقد أثّر فيه تأثيراً عظيماً يراه القاصي والداني ، فرأيت أنّ الأمر لا يحتمل التأخير ، فبدأت والشيخ ما زال حيّاً أكتب كلّ ما عنّ لي وأنا أتقطّع من الحزن والأسى .

ثم جاء الخبر المفجع والمصاب الأفجع والأمر الذي كتبه الله جل وعلا على كلّ نفس ، وقيل : مات الشيخ ، وتذكرت قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى لما علم بموت الإمام الدرامي رحمه الله تعالى ، فقال :

إن عشْتَ تَفجَع بِالأحبَّة كُلِّهم

وَبَقَاءُ نفسِكَ لاَ أبَالكَ أَفْجعُ (طبقات السبكي 15/2)

وقد تردّدت كثيراً في إكمال الترجمة وعانيت فيها أشدّ المعاناة حرصاً مني على أن تكون ترجمة شاملة لدقائق حياة المترجم .

وقد كانت هناك نقاط شبه مجهولة لم يقف عليها إلاّ القليل من الناس ، وهي حلقات تكاد تكون مفقودة يحتاج إليها المترجِم لربط الأحداث بعضها ببعض ، فبدأت أتلمّسها ويسّر الله لي الكثير منها كما ستراه في هذا الكتاب الذي بين يديك .

وكانت هناك العديد من المعوقات التي كادت أن توقف هذا العمل إلاّ أن تذكري لمكانة الشيخ وعظم حقّه عليَّ يوم أحسن استقبالي في عنيزة عام 1403هـ ، وأحسن ضيافتي وأحسن تعليمي ، وكان يخصّني بعطفه ومعونته ، ولم يكن يبخل عليّ بوقته وصحبته في ذهابه وإيابه في الفترة التي قضيتها عنده .

كل ذلك جعلني أمشي قُدُماً في إكمال الترجمة ، لعلّي بذلك أن أكون وفيته شيئاً يسيراً من حقّه عليّ . رحمه الله وغفر له .

وقد جمعت في هذه الترجمة بين التأريخ القصصي ، والتأصيل العلمي ، والأسلوب التربوي .

فليس القصد منها مجرد سرد حدث أو ذكر قصة ، فقد قام بهذا بعض الناس ، ولكنّني رتبت هذه الترجمة ترتيباً زمنياً من النّشأة حتى الوفاة وما بعدها .

وقد أطلْت في بعض المباحث كعقيدته وفقهه نظراً لأهميّتها وتميُّزِ الشيخ فيها .

وقد استفدت من كل ما كُتب عن الشيخ مما وقفت عليه وعزوته لأهله في مواضعه ؛ إلاّ أن بعض الكتابات كان فيها من الغلوّ والإطراء الشيء الكبير ، وخاصة في الشعر ، فأعرضت عن ذلك ، وانتخبت منه ما وافق الشرع مما لا غلوّ فيه .

فقد عاش الشيخ يدعو إلى التوحيد الخالص ، ويذبّ عن جناب التوحيد طيلة حياته حتى أيامه الأخيرة في دروسه في المسجد الحرام . رحمه الله تعالى وغفر له .

هذا وإنني ختاماً أشكر كلّ من أفادني في هذا البحث ، وخاصة شيخي العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك ، والذي لم يبخل عليَّ بما يحضره عن دراسة الشيخ في المعهد العلمي في الرياض . فجزاه الله خيراً .

كما أشكر ابني عبد الرحمن الذي يدرس بالمعهد العلمي والذي كتَبَ هذه الترجمة كاملة على جهاز الحاسب الآلي ، وعانى في ذلك طوال أحد عشر شهراً هي المدة التي قضيتها في كتابتها .

فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ويلحقه بركب العلماء العاملين .

وختاماً أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل متقبّلاً في السماء وفي الأرض ، وأن لا يجعل لأحدٍ من خلقه فيه شيئاً ، وأن يثقّل به ميزان حسناتي يوم العرض عليه ، وأن يجمعنا بشيخنا ابن عثيمين مع نبينا ρ وآله وصحبه في الفردوس الأعلى في جنّات النعيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه

عصام بن عبد المنعم المري

الرياض – **14** من رمضان **1422**هـ

صندوق بريد : **41724**

الرمز البريدي :

11531

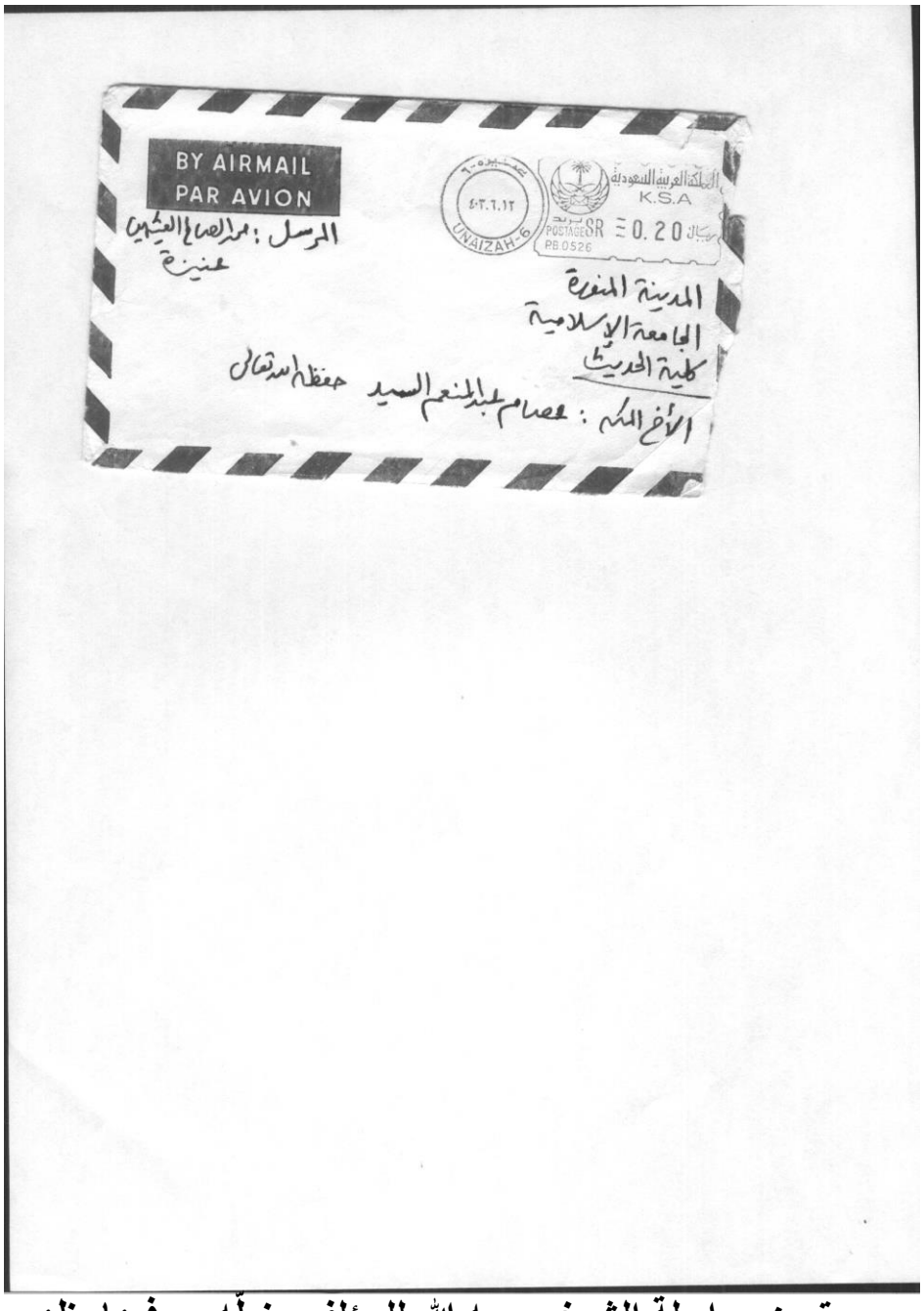

صورة من مراسلة الشيخ رحمه الله للمؤلف بخطّه ، وفيها يظهر تواضعه حيث إنه يباشر أعماله بنفسه رحمه الله تعالى .

١

بسم الله الرحمن الرحيم من صنعاء في ١١/٤/١٤٠٣هـ

من عبد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم : حسام بن عبد المنعم المر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتابكم وصل وما تضمنه من الأسئلة فإليكم ما تيسر من جواب :

جـ١- يشترط لحل الذبيحة أهلية الذابح بأن يكون مسلما أو كتابيا . وأهل الكتاب الموجودون الآن إن ارتدوا عن دينهم وأنكروه لم تحل ذبيحتهم لخروجهم عن الوصف المبيح لذبائحهم

جـ٢- لا يجوز إسبال البنطلون ولا غيره من الثياب والذي عام لمن صنعه خيلاء أو غيره لكن تختلف العقوبة فيمن صنعه خيلاء ومن لم يصنعه خيلاء ، فالأول: لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم والثاني : يعذب بالنار على ما نزل من الكعبين ويدل لذلك حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ومن جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه رواه مالك وغيره .

جـ٣- لا يثبت دخول شهر رمضان وذي الحجة إلا بشهادة مسلم موثوق به ولا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه بل متى ثبت دخوله وجب على الناس العمل بمقتضاه

جـ٤- إذا كان السائل واثقا بفتوى العالم لم يلزمه طلب الدليل منه لأن الله تعالى يقول (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) والأمر بسؤالهم يقتضي قبول ما أجابوا به وهكذا كان عمل الصحابة فيما نعلم . أما إذا كان غير واثق من جوابه فليسأل عن الدليل ليطمئن بالجواب .

جـ٥- لا يجوز بدء الكافر بالسلام ولا تحيا بتحية أخرى لكن إن بدأ هو بذلك رد عليه بالمثل إلا بالسلام فيقال : وعليكم فقط .

جـ٦- الأصل في العبادات المنع فلا يتقرب العبد إلى الله إلا بما شرع الله ولذلك أنكر الله تعالى على من اتبعوا من ابتدعوا فقال : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من البدع وقال : كل بدعة ضلالة . وقال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد .

وأما ما سوى العبادات من الأعيان والأعمال والمنافع فالأصل فيه الحل لقوله

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) وقوله (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور). وعلى هذا فلا يحرم من الأعيان والأعمال غير التعبدية والمنافع إلا ما دل الشرع على تحريمه.

ج٧- يجب على المسلم إعفاء لحيته كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يكره على حلقها فيقال احلقها وإلا فعلناك وفعلنا بك أما مجرد الإيذاء لمن أعفاها فالواجب الصبر على هذه البلوى والعياذ بالله قال الله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين).

ج٨- الصواب من أقوال أهل العلم أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء سواء كانت حية أم ميتة لكن إن كان لشهوة فالأفضل الوضوء ولا يجب أيضا لعدم الدليل على وجوب الوضوء منه والأصل بقاء الطهارة وبراءة الذمة.

ج٩- إذا ارتكب المسلم محللا من أعمال الشرك عن جهل فإنه يعذر به عند الله تعالى ولكن إذا نصحه شخص وقرن له النصيحة بدليل فقد قامت عليه الحجة فلا يكون له عند الله تعالى عذر واعتقاده أن هذا الشخص متشدد لا يبرر له البقاء على عمل الشرك لأن الواجب عليه إذا كان في شك مما قال أن يبحث عن صحته.

ج١٠- إذا كان أئمة هذا المسجد الوحيد في القرية فساقا ولم يصلوا إلى حد الكفر فصلوا معهم لأن صلاة الفاسق مقبولة صحيحة فلا تتم به صحيح. وأما إن وصلوا بأعمالهم إلى حد الكفر فلا تصلوا خلفهم واختطوا لكم مسجدا تصلون فيه إن أمكن وإلا فصلوا جماعة في بيوتكم أو فرادى إن لم تتمكنوا من الجماعة.

ج١١- شحم الخنزير محرم لا أعلم فيه خلافا ودليله قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وقوله (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس) وتعليله بالرجس يدل على تحريم جميع أجزائه.

والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفتي الشيخ

صورة من إجابات الشيخ لعددٍ من الأسئلة التي وجّهها إليه المؤلّف في عام 1403 هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ج١- لا بأس أن يتخصص في أمراض النساء إذا وثق من نفسه لاسيما إذا لم يوجد نساء يتخصصن به. وفي حال العلاج ينظر من العورة كل ما تدعو الحاجة إليه.

ج٢- تقليد المذاهب للضرورة جائز والضرورة أن لا يتمكن المرء من معرفة الحكم بنفسه من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ولم يأمر الله تعالى بسؤالهم إلا للأخذ بقولهم. وأما إن كان المرء يمكنه معرفة الحكم من الكتاب والسنة فإنه لا يقلد دينه الرجال.

ج٣- الجهاد في سبيل الله تعالى واجب ماض إلى يوم القيامة ولكنه يسقط عند العجز عنه كغيره من الواجبات لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)

ج٤- طلبكم العلم عندنا ممكن لو شاء الله تحضرون إلى عنيزة وإذا كان لديكم شهادة تزكية فيمكن أن تنزلوا مع الإخوان في شقة عند الجامع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤٠٣/٦/٨

صورة بخط الشيخ رحمه الله فيها إجابة على عدد من الأسئلة التي وجهها إليه المؤلف ، ويظهر في الدائرة موافقة الشيخ على طلب المؤلف الرحلة إليه والتتلمذ على يديه ، كتبها الشيخ خلف الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدم (حسام بن عبد المنعم) معروف لدي وأرجو له التوفيق والسداد وأن تدربوا راحته. كتبه محمد الصالح العثيمين في ١١/٥/١٤١٤هـ

صورة من تعريف الشيخ رحمه الله للمؤلف ، ودعائه له ، كتبها بجوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

البـــاب الأول

النشأة وطلب العلم والبناء العلمي

وفيه فصول

الفصل الأول
اسـمـه
ونسـبـه
وكنيـــــته
وأســـــرتـــه

أولاً : اسمه ونسبه :

هو الشيخ العالم العلامة المدقق المحقق الحبر البحر المفسر الفقيه الأصولي المتمكن الزاهد الورع الإمام :

" محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل ؛ من آل مُقْبل من آل ريس من الوهبة من قبيلة بني تميم .

جده عثمان اشتهر بعثيمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد ، وهو الجد الرابع " . (1)

وقد تَطَرَّق الشيخ عبد الله البسام لنسب آل عثيمين أثناء كلامه على نسب الشيخ السعدي شيخ المترجم فقال : " أما نسبه من قبل والدته (يعني السعدي رحمه الله) ، فأخواله آل عثيمين المقيمين في عنيزة ، وأجدادهم ثلاثة : عبد الله وسليمان ومحمد أبناء عبد الرحمن بن عثمان ، الملقب (عثيمين) ، فوالدة الشيخ المترجم (يعني السعدي) هي فاطمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان ، ولم يعقب عبد الله سوى والدته (يعني السعدي) . وأما سليمان ومحمد فذُرِّيَّتُهُما في عنيزة ، وقد قدِم هؤلاء الإخوة الثلاثة من أشيقر إلى عنيزة ، والموجود الآن في عنيزة هم

---

(1) ذكر هذا النسب شيخنا محدث المدينة النبوية العلامة عبد المحسن بن حمد العباد في محاضرة له بعنوان : " الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته " .

أحفادهم ، عدا عبد الله فليس له عقب إلا من ابنته ، ونسبة الموجودين إلى القدامى ، ومنهم الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن سليمان إمام وخطيب جامع عنيزة (يعني شيخنا المترجم ابن عثيمين) . فسليمان جد أبيه . " (1)

وقال في موضع آخر :

" وآل عثيمين هم من آل مقبل ، من آل زاخر ، – البطن الثاني من الوهبة – نسبة إلى (محمد بن علوي بن وهيب) ومحمد هذا هو الجد الجامع لبطون الوهبة جميعاً ، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشيقر ، الموطن الأول لجميع الوهبة ، ونزحوا منها إلى شقراء ، فجاء جد آل عثيمين الموجودين في عنيزة من شقراء إلى عنيزة ، وسكنها " . [2]

وبسياق هذا النسب يظهر مدى القرابة بين الشيخ ابن عثيمين وشيخه السعدي ، مما كان له الأثر البالغ في المزيد من التقارب بين الشيخ وتلميذه ، كما سيظهر بعد ذلك . إن شاء الله تعالى .

وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل :

" لكن الشيخان : ابن سعدي وتلميذه ابن عثيمين من جذمين كبيرين مختلفين من هذه القبيلة (يعني : بني تميم) ، فابن سعدي ينحدر من جذم بني سعد ، وابن عثيمين ينحدر من جذم بني حنظلة .

---

(1) علماء نجد (219/3) ط دار العاصمة 1398هـ .

(2) علماء نجد (422/2) بواسطة فقه ابن سعدي (19/1) ولم أقف على نصه .

وفيهم البيتان المشهوران :

يعدُ النّاسبُون إلى تَميمٍ بُطُون المجْدِ أَرْبَعةً كِبَارا

يعدونَ الرّباب وآلَ عمروٍ وسَعداً ثمّ حنظَلَة الخيَارا " . [1]

كنيته :

يكنى بأبي عبد الله ، أكبر أولاده .

تاريخ ولادته :

ولد ليلة الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك – فكان قدومه مباركاً على الأمة جمعاء – لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة . [2] **(27 / 9 / 1347هـ) .**

مكان الولادة :

مدينة عنيزة ، إحدى مدن القصيم في عالية نجد وسط الجزيرة العربية ، والتي عمرت بالعديد من العلماء ، والقضاة ، والمصلحين ، عبر سنوات عديدة ، فكان المترجم رحمه الله تعالى من آخر هذه النخبة المباركة .

(**1**) الدعوة ، 1779 ، وأشار إلى أن آل عثيمين قدموا عنيزة في هجرة الوهب من بني حنظلة في القرن الحادي عشر تقديراً .

(**2**) لقاء مع الشيخ في مجلة اليمامة ، العدد 953 ، سنة 1407هـ . وتحديد الليلة ذكره إبراهيم ابن حمد الجطيلي ، انظر الجزيرة ، العدد 10335 .

أسرته :

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى متزوج من زوجة واحدة ، وهي : كريمة : محمد إبراهيم منصور التركي ، وله منها ثمانية أولاد .

خمسة من الذكور ، وهم :

عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم .

وثلاث من الإناث .

وذكر شيخنا عبد المحسن العباد أنه سمع الشيخ يقول : إنه سمّى أبناءه بعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ، حسب الترتيب المذكور في البسملة [1] .

أشقاؤه :

– الدكتور عبد الله : رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، والأمين العام لجائزة الملك فيصل ، وعضو مجلس الشورى .

– الأستاذ عبد الرحمن : مدير عام الإدارة المالية والإدارية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية . [2]

وله شقيقة واحدة ، وهي زوجة ابن عمّ الشيخ محمد السليمان العثيمين [2] .

---

(1) محاضرة الشيخ العباد (سبقت) .

(2) المسائية ، العدد 5716 .

أحفاده :

للشيخ واحد وعشرون حفيداً من أبنائه وبناته . [1]

μ μ μ

(**1**) المسائية ، العدد 5716 .

الفصل الثاني
أحوال البلاد والنشأة وطلبه للعلم
المرحلة الأولى

الحالة الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية التي صاحبت نشأته .

نشأ الشيخ رحمه الله تعالى في بداية استقرار الأوضاع في الجزيرة ، واستتباب الأمن فيها ، حيث صدر المرسوم الملكي الذي يتضمن اسم المملكة العربية السعودية ، واسم مليكها .

وذلك بعد خضوع البلاد للملك عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وكان ذلك عام 1351هـ [1] وعمر المترجم يقارب الخمس سنوات .

ثم أخذت أوضاع البلاد الاقتصادية في النمو التدريجي ، وذلك بعد اكتشاف البترول عام 1357هـ وبداية الانتعاش الاقتصادي الذي كان له الأثر الكبير على الأوضاع الاجتماعية والتعليمية .

وكان عمر الشيخ وقتئذٍ حوالي عشر سنوات ، وفي هذا الوقت كان الشيخ قد بدأ في طلب العلم فعلاً ، حيث قال عن نفسه :

" بدأت في تلقي العلم من السنة التاسعة من عمري تقريباً " . [2]

– من هذا يتبين أن الأوضاع العامة كانت مطمئنة ومبشرة بمستقبل

---

(1) انظر : جوانب من تاريخ المسلمين للدكتور عبد الله الصالح العثيمين .

(2) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

أفضل يسوده الأمن والاستقرار وتيسر سبل العيش ، مما يُيَسّر لطالب العلم المضي قدماً ، بعيداً عن المنَغِّصات وقلاقل الفتن ، التي كثيراً ما أزاحت الأفذاذ من طلاب العلم عن مسيرتهم .

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (عجبت من أقوام أكلت الدنيا أكبادهم ، وقد وعت قلوبهم القرآن) . نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

ومع أن الشيخ رحمه الله تعالى عاش في بداية الطفرة – كما يطلق عليها – إلاّ أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال ، فقد كان والده يعمل في التجارة بين

الرياض وعنيزة ، ثم استقر في عنيزة وعمل قبل وفاته بدار الأيتام بعنيزة، كما حَدَّثَتْ بذلك شقيقة الشيخ رحمه الله تعالى .

وقد سُئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل اشتغلت بالتجارة إلى جانب طلبك للعلم ؟ فقال : لا ، لأن الوالد رحمه الله كان في الرياض ، وكان ميسور الحال . [1]

فلم تتيسّر له سبل الرفاهية في الطلب ، حيث يصف الشيخ المكان الذي يقرأ فيه بأنه (غرفة من طين ، تطل على زريبة بقر) . [2] فلله درّه ، ورحمة الله عليه .

فليس هناك : مباني شاهقة ، ومكاتب فارهة ، وكراسي دائرة ، ومكتبة عامرة ، وسيارة فاخرة ، والتي يظن العديد من طلاب العلم أنها كلها من لوازم الطلب ، بل من ضروریاته ، فليت طلاب العلم يعتبرون .

---

(1) مجلة اليمامة ، العدد 953 . (2) مجلة الأسرة ، العدد 92 .

وكان من توفيق الله جل وعلا أن نشأ الشيخ في أسرة معروفة بالدين والاستقامة ، فآل عثيمين هم أخوال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى – كما سبق بيانه – وجد الشيخ محمد – لأمه – هو الشيخ عبد الرحمن ابن سليمان آل دامغ الإمام والمدرس في مسجد الخريزة [1] بعنيزة ، والذي كان الأستاذ الأول للمترجم ، وقد بدأ في قراءة القرآن عليه حتى أتمّه نظراً ، كما قال عن نفسه .

ولاشك أنه صَاحَبَ هذه البداية المبكرة في الطلب (تسع سنوات) – بعد توفيق الله تعالى – عدة أمور كانت عاملاً مهمّاً في إنجازه المرحلة الأولى .

ومن تلك الأمور : ذكاؤه ، وفطنته ، وهي أمارة بادية للناظر في وجه الشيخ لأول وهلة ، وكذا حفظه وقوة ذاكرته ، وهذه يعرفها جيداً من خالطه وصاحبه ، وكذا صبره على عناء الطلب وتكرار الحفظ ، ومكابدة الليالي في ذلك ، وعمارة النهار بالمراجعة والتكرار .

– وبعد هذه المرحلة أو صَاحَبَها بدأ الشيخ في تعلم مبادئ الكتابة في " الكتاتيب " كما يقول رفيقه العلامة الشيخ عبد الله البسام . (2)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

" ثم تعلّمت في مدرسة أخرى الكتابة ، وشيئاً من الحساب والأدب ، ثم انتقلت إلى مدرسة ثالثة لحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وتم ذلك والحمد لله " . (1)

---

(1) جريدة الرياض ، العدد 11896 .

(2) الدعوة ، العدد 1776 .

وقد جاء ما يفيد أن الشيخ حفظ القرآن في وقت يسير جداً على شيخ آخر غير جده ؛ حيث قال الشيخ إبراهيم بن حمد الجطيلي ، وهو ممن عاصر الشيخ أكثر من خمس وأربعين سنة ، ودرس عليه أكثر من عشرين سنة ، قال عن الشيخ : " إنه حفظ القرآن في ستة أشهر عند المعلم

الكفيف علي بن عبد الله الشحيتان " . [2] ، وبهذا النقل يتبين أنه لم يحفظ القرآن على جده ، بل قرأه عليه نظراً ، ثم حفظه على غيره كما سبق .

وقد كان لحفظه القرآن الكريم في هذه السن المبكرة أثر بالغ في رسوخه في صدره ، وقوة استحضاره له ، زادت مع مرور السنين والأعوام ، والذي سمع الشيخ وحضر دروسه ومناقشاته واستدلالاته يرى هذا جليّاً واضحاً . فالشيخ سريع الاستحضار للأدلة من القرآن الكريم ، فمتى أراد الاستدلال أسعفته الذاكرة ، وقوة الحافظة ، ويظهر هذا أيضاً في تلاوته في الصلاة سواء الصلوات المفروضة أو صلاة التراويح ، فالشيخ الإمام يرتّل القرآن في سهولة ويسر ، لا يتعتع ولا يتردد بل يقرأ في تدبّر وتأمل ، ويتوقف عند مواطن العبر في الآيات الكريمات ، ولو أن بعض التسجيلات قاموا بجمع تلاوات الشيخ المتناثرة في العديد من الأشرطة ، لكان عملاً مفيداً يؤخذ منه الكثير من الفقه .

---

(1) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض .

(2) الجزيرة ، العدد 10335 . وهذا الموضع لم يحرره الكثير ممن تكلم على الشيخ . والله أعلم .

ويبدو أن الشيخ في هذه الفترة كان لديه نهم في الاطلاع والمطالعة والقراءة ، لكن نظراً لعدم توفر الكثير من الكتب لديه فإنه كان يستفيد من مكتبات الشيوخ ، والقضاة .

من ذلك :

ما رواه الشيخ أحمد القاضي قال :

(كان من أخص خصائصه التي عُرف بها واشتهر ؛ حرصه على العلم ، وقد حدّثني بعض ذوي الشيخ عبد الله بن محمد المانع رحمه الله ، الذي كان قاضياً في عنيزة حتى سنة **1360**هـ حدّثني بعض ذويه أنّ الشيخ في صباه كان يأتي إلى منزلهم في الصباح الباكر، وعلى رأسه قفّة يحمل فيها كتبه وأوراقه ، فيطرق الباب،ويسلّم ويستأذن فيصعد إلى المكتبة ، فيبقى فيها إلى قريب الظهر ، ثم بعد ذلك ينزل ويسلّم وينصرف ، وكان ذلك بعدُ ولم يبلغ الحُلم) . [1]

α α α

(1) المجلّة الإسلامية ، إذاعة القرآن الكريم .

المرحلة الثانية
بداية الطلب على الشيوخ
[وعمر الشيخ حوالي 17 عاماً][1]

بعد مرحلة التأسيس السابقة في حفظ القرآن وأوليات العلوم ، بدأت مرحلة التتلمذ على الشيوخ بطريقة تدريجية ناجحة ، ويبدو أنها كانت من وضع الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – فالطالب قبل أن يبدأ بالسماع منه فإنه يمر بعدد من طلاب الشيخ القدامى الذين خصصهم لتدريس صغار الطلبة ، فإذا قضوا في الطلب مدة معقولة ، وتلقوا على أيديهم من

مبادئ العلوم الشرعية ما يؤهلهم للدراسة على علامة القصيم فإنهم عندئذ يرشحون للقراءة على السعدي رحمه الله تعالى ، وهذا ما حدث مع المترجم .

فقد عيّن الشيخ السعدي شيخين من كبار طلابه لتدريس صغار الطلاب.

هما :

الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوّع رحمه الله تعالى .

والشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى .

o o o

---

(1) مجلة اليمامة ، العدد 953 .

ترجمة الشيخين

1- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع .

ولد في عنيزة عام 1317هـ وقد تتلمذ على علمائها ، وكان شغوفاً بكتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى .

وقد تتلمذ على الشيخ السعدي ، ولازمه ملازمة تامة .

فقرأ عليه في التوحيد , والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والنحو .

وبرع في ذلك وأجاد ، مما جعل الشيخ السعدي رحمه الله تعالى يكلفه بالجلوس لصغار الطلبة لتعليمهم مبادئ العلوم الشرعية ، وقد أدى ما أُسند إليه بنجاح ، ووُفّق في ذلك .

وقد تولى قضاء المجمعة ، ثم عنيزة ، ثم الخرج ، حتى أصيب بمرض ضغط الدم ، وسافر إلى لندن للعلاج ، وتوفي بها ، ودُفِن فيها سنة **1383**هـ رحمه الله تعالى وغفر له . [1]

وكان تدريس الشيخ المطوع بالجامع الكبير بعنيزة من عام**1360**هـ إلى عام **1364**هـ . [2] أي أن عمر ابن عثيمين في هذه الفترة يقارب في أولها ثلاثة عشر عاماً ، وفي نهايتها يقارب سبعة عشر عاماً ، وقد تتلمذ على يد شيخه المطوع خلال هذه الفترة ، وأنهى دراسته عليه وعمره حوالي سبعة عشر عاماً ، هذا على القول بأن تدريس المطوع في الجامع ـــــ

(**1**) انظر فقه ابن سعدي (64/1) .

(**2**) الدعوة ، 1778 .

توقف في السنة المذكورة ، و إلاّ فقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن عمره و هو يدرس على الشيخ المطوع ؟ فقال : ما بين **17** إلى **20** سنة . [1]

وقال الشيخ ابن عثيمين : "كنت من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع " . [2]

الكتب التي درسها عليه :

وقد قرأ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على الشيخ المطوع الكتب التالية :

1- (مختصر العقيدة الواسطية) اختصار الشيخ السعدي .

2- (منهاج السالكين في الفقه) [3] وهو كتاب لطيف جمع فيه الشيخ السعدي مسائل الفقه بطريقة مبسطة جدّاً ولطيفة ، مشتملاً على الفوائد المنتقاه من بطون كتب الفقه ، يصلح للمبتدئين .

3- (الأجرومية) [3] في النحو للعلامة ابن آجروم .

4- (الألفية) [3] في النحو للعلامة ابن مالك ، وهو من الكتب المتقدمة.

وقت الدرس :

وكانت دروس الشيخ المطوع بعد صلاة العشاء الآخرة وفي الصباح من طلوع الشمس حتى يحين ابتداء تدريس الشيخ السعدي . [4]

---

(1) اليمامة العدد 953 سنة 1407هـ .

(2) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض .

(3) الحكمة ، العدد الثاني ، صـ22ـ ، ولم يذكر الشيخ في الحوار معه في (في موكب الدعوة) الألفية .

(4) شريط ابن عثيمين (علم وعمل) ، { مؤسسة الاستقامة } ضمنه عدد من تلاميذ الشيخ وأقرانه .

والشيخ المطوع هو الذي طلب منه بعد وفاة شيخه السعدي مع أمير عنيزة أن يكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة ، فوافق عن ذلك . [1]

2- الشيخ علي بن حمد الصالحي .

قال عنه صاحب (فقه ابن سعدي) :

" له نشاط واسع في نشر رسائل شيخه ، وهو صاحب مطبعة النور ، وكل إليه الشيخ رحمه الله تدريس صغار الطلبة ، قدم الكثير من رسائل شيخه ، وأبرزها إلى الوجود ، فانتفع بها خلائق كثيرون " . [2]

توفي رحمه الله تعالى في أواخر عام 1414هـ [3] ، ويقال 1415هـ[4] .

والشيخ الصالحي هو الذي أشار على ابن عثيمين بالالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض ، بعد استئذان الشيخ من ابن سعدي كما أخبر الشيخ بذلك عن نفسه " . [5]

وللشيخ الصالحي كتاب نافع جمع فيه تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى من كتبه ، سماه : السراج المنير . (6)

(**1**) الدعوة ، العدد 1776 .

(**2**) فقه ابن سعدي (62/1) .

(**3**) عندما ذكره الأخ وليد الحسين في مجلة الحكمة ذكر أنه كان على قيد الحياة ، وقد صدرت المجلة بتاريخ 1414/9/1هـ فيظهر أن وفاته بعد هذا التاريخ ، حيث ذكر غير واحد أن وفاته في 1414هـ ، فتعين أن تكون بعد هذا التاريخ والله أعلم .

(**4**) انظر شريط ابن عثيمين (علم وعمل) تسجيلات مؤسسة التقوى بعنيزة .

(**5**) عكاظ ، حديث الذكريات ، العدد 12556 .

(**6**) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز صـ633، للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.

- الشيخ عبد الرحمن بن عودان :

يشير الترتيب الزمني الذي ذكره الشيخ في طلبه للعلم ، أن الشيخ ابن عثيمين في هذه الحقبة الزمنية قرأ على أحد مشايخ عنيزة الفضلاء ، وأحد قضاتها المشهورين ، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان ، وهذه نبذة مختصرة عن حياته :

ولد في شقراء عام 1315هـ ، وتلقى علومه الأولية ، وحفظ القرآن الكريم في بلدته ، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم على علمائها ، وعين قاضياً لبلدة العسيلة حتى عام 1354هـ (1935م) ، ثم انتقل إلى شقراء ليعمل قاضياً لها وللقرى المجاورة ، ولجميع مناطق الوشم ، ثم تولى في الفترة من عام 1360هـ (1941م) إلى عام 1369هـ (1949م) قضاء عنيزة ، ومنها انتقل إلى الرياض حيث عمل مدرساً بالمعهد العلمي ،

وإماماً لجامعها الكبير ، ثم عُيّن قاضياً بمحكمة الرياض ، وتوفّي رحمه الله بشقراء عام **1374**هـ) . [1]

والشيخ ابن عودان هو الذي عَيَّن الشيخ السعدي إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة في رمضان ، عام **1361**هـ وهي حسنة من حسنات الشيخ ابن عودان حفظها له أهل عنيزة لما حصل لهم من خير عظيم . [2] وقد قرأ عليه المترجم في عِلْمَيْ : الفرائض ، والفقه ، كما أخبر بذلك عن

---

(1) معجم الأدباء والكتّاب ، ص257 ، ط : 1 ، 1410هـ .

(2) فقه ابن سعدي (24/1) .

نفسه . [1]

وكانت جلسات الشيخ العودان رحمه الله تعالى بعد صلاة الظهر ، وبعد صلاة الفجر . [2]

قال الشيخ ابن عثيمين : " ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي .. " . [3]

وهي المرحلة القادمة ، وهي دخول شيخنا المترجم إلى المدرسة السعدية أو الجامعة السعدية ، كما أطلق عليها بعضهم ، وهي مرحلة التأسيس والبناء العلمي للشيخ ابن عثيمين . فإلى هذه المرحلة .

μ μ μ

(1) عكاظ ، حديث الذكريات ، العدد 12556 .

(2) الإمام ابن عثيمين علم وعمل – مؤسسة الاستقامة – عنيزة .

(3) عكاظ ، العدد 12556 .

المرحلة الثالثة
التتلمذ على علاّمة القصيم
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى
(1307هـ - 1376هـ)

بعدما انتهى شَيْخُنا من الدراسة على الشيخ المطوع ، كان عمره حوالي ثمانيةَ عَشَر عاماً .

وقد صار شابّاً يافعاً ، واعياً ، مُدْرِكاً ، نبيهاً ، ذكيّاً ، قد سار في درب العلم بالتدرج الذي وضعه له شيخه السعدي ، وقد حصّل مبادئ العلوم ، وفي مقدمة ذلك حفظُه كتاب الله عز وجل .

فاستحق عندئذٍ أَنْ يتربّع بين يدي علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، والذي يربطه بتلميذه المترجم علاقة نسب ، سبق بيانها في أول الكتاب ، ممّا كان له الأثر الكبير في قوة العلاقة بينهما ، وعناية

الشيخ به مع ما رزقه الله تعالى من ذكاءٍ وفطنة فاق بهما أقرانه من طلاب ابن سعدي .

وقد ابتدأ شيخنا في الدراسة على علامة القصيم عام 1365هـ تقريباً ، ولازم شيخه حتى عام 1376هـ ، أي ما يقارب " أحد عشر عاماً " [1] .

وقد حاول التلميذ النجيب جاهداً أن يستفيد من شيخه في أي وقت يتيح

---

(1) الحكمة ، العدد الثاني صـ21 .

له ذلك ، حتى في أثناء سير السعدي في الطريق .

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

" حدّثني ولد الشيخ عبد الرحمن – يعني السعدي – أَنّ الشيخ محمد بن عثيمين كان يمشي مع أبيه إلى مكان الدعوة التي يدعى إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي فيسأله طيلةَ الطريق حتى يصل إلى بيت المدعو ؛ ثم يعود الشيخ محمد ، ويدخل مع الشيخ عبد الرحمن – أحياناً – .. ". [1]

وقد تَأَثَّر شيخنا المترجم بشيخه السعدي تأثراً كبيراً ، ظهر ذلك في علمه ، وأخلاقه ، ودعوته ، وتدريسه ، ومؤلفاته ، ومنهجه مع الآخرين. وذلك بشهادة المترجم نفسه حيث قال يصف شيخه :

" إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره ، في عبادته ، وعلمه ، وأخلاقه . حيث كان يعامل كلاً من الكبير والصغير بحسب ما يليق بحاله .

ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه ، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس ، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة ، حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا ... " . [2]

لذلك فإنني لن أتعرّض هنا لترجمة ابن سعدي ، لأن ذلك سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب ، وأيضاً فقد كُتبت في الشيخ كتابات موسعة ،

---

(1) الدعوة ، العدد 1777 .

(2) فقه ابن سعدي (1/ 76) .

ودراسات مستفيضة . [1]

ولكنني سأقتصر على بعض مواطن التأثير في ابن عثيمين ، والتي أشار الشيخ إليها ، أما تطبيقها في حياة الشيخ العلمية ، والعملية ، فهذا سيأتي تفصيلاً في الكلام على حياة الشيخ نفسه . رحم الله الجميع .

1- سلفية ابن سعدي :

قال عنه الشيخ محمد حامد الفقي الداعية والعالم السلفي المصري المشهور :

" ... لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أكثر من عشرين سنة ، فعرفت فيه العالم السلفي المدقِّق المحقِّق ، الذي يبحث عن الدليل الصادق ، وينقب عن البرهان الوثيق ، فيمشي وراءه ، لا يلوي على شي ء .. " . [2]

وقال :

" .. عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق ، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة ، القوية الكريمة النقية .. " . (2)

---

(1) انظر على سبيل المثال : (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة) للشيخ عبد الرزاق العباد ، و (حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سطور) لأحمد القرعاوي ، (صفحات من حياة علامة القصيم) للطيار ، ومجلة الجامعة الإسلامية السنة 11 العدد 4 ص207. ، و(علماء نجد) للبسام ، المجلد الثالث ، و (روضة الناظرين) للقاضي 222/1 .

(2) فقه ابن سعدي (76/1) .

والناظر في كتب الشيخ في العقيدة يرى ذلك جليّاً .

ومن أبرز تلك المؤلفات :

1- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية .

2- توضيح الكافية الشافية .

3- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان .

4- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية .

5- القول السديد في مقاصد التوحيد .

6- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين .

2- تواضع ابن سعدي ، وسمو أخلاقه ، ولين جانبه :

لقد أثّر ابن سعدي كثيراً في تلميذه النجيب ابن عثيمين بحسن خلقه وتواضعه ، وبذله نفسه للناس ، ممّا جعل ابن عثيمين يبين مدى تأثره بشيخه حيث يقول :

" وكذلك أيضاً تأثّرت به من ناحية الأخلاق الفاضلة ، وكان رحمه الله على قدر في العلم والعبادة ، بما يمازح الصغير ، ويضحك إلى الكبير ، وهو ما شاء الله من أحسن مَنْ رأيتُ أخلاقاً " . [1]

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

" سمعت عن رؤيا له (أي لابن عثيمين) في شيخه (أي : السعدي)

---

(1) حوار مع الشيخ في مجلة اليمامة ، العدد 953 .

فسألته عنها في أحد مواسم الحج .

فقلت : ذُكر أنكم رأيتم شيخكم عبد الرحمن السعدي في المنام ، فسألتَه: ما أكثر ما نفعك عند الله ؟ فقال : حسن الخلق .

فهل هذه الرؤيا صحيحة ؟ فقال : " نعم ، غير أني لا أذكر الآن ، هل قال لي تقوى الله ، أو حسن الخلق " . ثم عقب الشيخ المنجد قائلاً : لكن الرواية التي سمعتها جزماً من بعض طلاب الشيخ أنه قال له : أكثر ما نفعه عند الله حسن الخلق . [1]

وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام واصفاً شيخه السعدي :

" له أخلاق أرقُّ من النسيم .

وأعذب من السلسبيل .

لا يعاتب على الهفوة .

ولا يؤاخذ بالجفوة .

يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب .

يقابل بالبشاشة .

ويحيى بالطلاقة .

ويعاشر بالحسنى .

ويجالس بالمنادمة .

ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والوُدِّ .

---

(1) سمعت هذا من الشيخ المنجد في محاضرة ألقاها في مسجد الحرس الوطني بالرياض ، بعنوان **100** فائدة من العلامة ابن عثيمين .

ويعطف على الفقير والصغير .

ويبذل طاقاته ووسعه .

ويساعد بماله ، وجاهه ، وعلمه ، ورأيه ، ومشورته ، ونصحه ، بلسان صادقٍ ، وقلب خالصٍ ، وسرٍّ مكتومٍ ... " . [1]

وقال عنه تلميذه القاضي :

" وكان رحمه الله تعالى ذا دعابة .

يتحبّب إلى الخَلْقِ بحسن خلُقِه .

مرحاً للجليس .

لا يُرى الغضب في وجهه .

طَلْقَ الوجه .

كريم المحيا ..

يتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله .

ويدفع للفقراء من الطلبة الأموال ليتجردوا عن الانشغال في وسائل المعيشة .

وكان متواضعاً يسلم على الصغير والكبير ، ويجيب الدعوة ، ويزور المرضى ، ويشيع الجنائز .. " . [2]

3- طريقة تدريس ابن سعدي :

أمّا من ناحية تأثر الشيخ ابن عثيمين بابن سعدي في التعليم والدرس،

---

(1) علماء نجد (429/1) ، بواسطة فقه ابن سعدي (35/1) .

(2) روضة الناظرين (1/ 224) بواسطة فقه ابن سعدي .

فيقول شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

" إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس ، وعرض العلم ، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني " . [1]

ويذكر عنه أيضاً الشيخ عبد الله الطيار أنه قال له ذات مرة في أحد اللقاءات الخاصة :

" كان شيخنا العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى – يدَرِّبنَا على الإلقاء والمناقشة ، وفهم المسائل بدقّة ، وذلك بوضع مناقشة بيننا .

يجعل طالباً يتبنّى قولاً لأهل العلم ، وآخر يتبنى القول الآخر ، ثم يناقش كلٌّ منهما صاحبه بحضور بقية الطلاب ليتبين القول الراجح من عدمه ، مع الاستفادة وقدرة بعض الطلاب على إيراد الاعتراضات والمناقشة ،

وحصر الأدلة ، وذلك تحت توجيه شيخنا وقد استفدت من ذلك كثيراً " . [2]

وقد قام أحد طلبة ابن عثيمين بسؤاله عن طريقة الشيخ السعدي في الدرس ، فأجابه قائلاً :

" انظر ما أقوم به أنا في الدرس ، فهو ما كان يصنعه السعدي رحمه الله تعالى " . [3]

(**1**) صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد ، للدكتور عبد الله الطيار (المجلة العربية ، عدد 48 سنة 1421هـ) .

(**2**) المصدر السابق صـ14. .

(**3**) شريط الإمام ابن عثيمين – بعد الوفاة – (تسجيلات صدى التقوى بالرياض) .

وقال الشيخ أيضاً يصف منهج شيخه :

" المنهج الذي كان الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى يسلكه ليس له نظير في وقته ، إذ كان عادة الناس فيما سبق ، أن الطالب يقرأ الكتاب ، ثم يعلّق عليه الشيخ بما شاء الله .

أمّا شيخنا فإنه كان يشرح الكتاب شرحاً وافياً ، ويربط المسائل بعضها ببعض حتى يفهم منه الطلاب كثيراً ، وكان يلقي أحياناً على الطلبة ألغازاً يشحذ بها أذهانهم .

وأحياناً يلقي على الطلبة أسئلة مكتوبة بيده ، ويعطيهم إياها ، ويمهلهم يومين أوثلاثاً حسب ما يرى في الجواب عن هذا السؤال ، وكان طريقته قبل أن ألتحق به أحسن بكثير ، لأن الناس كانوا كثيرين عنده ، وعندهم

نشاط ، واطلعت على كتاب مخطوط ، جعل رحمه الله تعالى طلبته قسمين في المسائل الخلافية ، فمثلاً إذا كانت مسألة خلافية يكون فيها رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والمشهور من المذهب الحنبلي ، قسمهم قسمين .

وقال لقسم انتصروا للمذهب واذكروا ما تستطيعون من الأدلة والتعليلات ، وقال للآخرين انتصروا لشيخ الإسلام ابن تيمية واذكروا ما يقوي قوله من الأدلة والتعليلات ، وكان هذا الكتاب جيداً والطلاب يكتبونه ، وكل واحد يكتب ما عنده ، لأنهما كأنهما يتناظران .

ومسلكه مع تلاميذه : مسلك الأب المربي لهم بمقاله وفعاله رحمه الله ، وكان كثيراً ما يلقي في نفس الدرس شيئاً يروح عن النفس ، وربما تبسم .

وكان رحمه الله في منهجه مع عامة الناس مضرب المثل في التواضع ، والخلق ، والسرية التامة فيما يخرجه من الصدقات للفقراء ، وكان الناس في ذلك الوقت أشد حاجة من اليوم ، فكان يذهب إلى الرجل ذي العائلة الكبيرة في وقت يقل فيه المشي في الأسواق ، ويدق عليه الباب ويعطيه ما عنده ، وربما لا يدري من هو " . [1]

هذا ما ذكره ابن عثيمين عن شيخه .

يوضح ذلك ما كتبه السعدي رحمه الله تعالى عن الطريقة التي ينبغي أن يسلكها المعلم مع طلابه ، فيقول رحمه الله تعالى :

" وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلّماً وتعليماً ، فإذا شرع المعلم في مسألة وضّحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من : التعبير .

وضرب الأمثال .

والتصوير .

والتحرير .

ثم لاينتقل عنها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين .

---

(1) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم في الرياض .

ويقول أيضاً :

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم :

بالإعادة .

والامتحان .

والحث على المذاكرة .

والمراجعة .

وتكرار الدرس .

فإن التعليم بمنزلة الغرس للأشجار .

والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها ، وإزالة الأشياء الضارة عنها لتنمو ، وتزداد على الدوام . [1]

وقد استفاد شيخنا ابن عثيمين من هذه التوجيهات العظيمة فكان يتعاهد محفوظاته مع زملائه من الطلاب النابغين الملازمين لحلقات السعدي والذين برزوا بَعْدَ ذلك ونفع الله بهم ومن هؤلاء فضيلة الشيخ القاضي ، والعلامة عبد الله البسام صاحب المصنفات المشهورة حيث يحدثنا عن تلك الفترة الزمنية في الدراسة وطلب العلم والمذاكرة مع ابن عثيمين .

ويحدد طريقته مع الشيخ في مراجعة القرآن وحفظ المتون فيقول : "كُنّا نقرأ في الكتاتيب في مدينة عنيزة ، ثم شرعنا بالقراءة على شيخنا العلامة عبد الرحمن بن سعدي ، تزاملت أنا والفقيد نحو عشر سنوات قرأنا فيها الكثير من العلوم الشرعية والعربية على يد شيخنا السعدي ، وكان لي

---

(1) الفتاوى السعدية صـ652. ، ط : المؤسسة السعيدية بالرياض .

مع الفقيد زمالة خاصة ، فكنت أنا وإياه نحفظ المتون العلمية من الحديث كـ (بلوغ المرام) و (عمدة الأحكام) .

ومن كتب الفقه (مختصر المقنع) .

ومن كتب اللغة (ألفية ابن مالك في النحو) و (القطر يعني – قطر الندى – لابن هشام) حيث كنا نتدارس المتون في الفترات التي لا يكون فيها درس شيخنا ابن سعدي – رحمه الله تعالى – في العصر والساعات الأولى من الليل ..

وكل منا يحفظ القرآن ونتدارسه ، يقرأ هو حزباً ، وأنا بعده حزباً ، واستمررنا على ذلك نحو عشر سنوات .. حتى التحقت أنا بدار التوحيد بالطائف ، والتحق هو بالمعهد العلمي بالرياض " . [1]

ولذا فقد كان شيخنا المترجم يوصي بالحفظ جدّاً ، ويقول :

(قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلاّ ما حفظنا) . [2]

فلله درها من نصيحة تذكرنا بقول الرحبي رحمه الله تعالى :

وَالثُّلثانِ وهُمَا التَّمامُ فاحْفَظ فكُلُّ حافظٍ إمَامُ

وقال الشيخ القاضي عن ابن سعدي :

" ولقد أكّب على المطالعة في كتب الفقه والحديث طيلة حياته ، خصوصاً على كتب الشيخين – ابن تيمية وابن القيم – فقد كانت له صبوحاً

---

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

(2) 100 فائدة من العلامة ابن عثيمين ، محاضرة للمنجد (سبقت) .

وغبوقاً " . [1]

ومن أراد أن يرى كيف استفاد السعدي من كتب الشيخين ، فليقرأ الكتاب الفذ المسمّى " طريق الوصول إلى العلم المأمول " الذي جمع فيه السعدي من كتب ابن تيمية (**827**) قاعدة وأصلاً ، لخصها من (**39**) كتاباً غير الفتاوى المتفرقة .

وجمع فيه أيضاً من كتب ابن القيم حوالي (**189**) قاعدة وفائدة ، من حوالي عشرين كتاباً .

وقد بدا هذا التأثر جليّاً في منهج ابن عثيمين العلمي ، حيث كان كثير التعريجات على ترجيحات الشيخين ، والتعويل عليها ، خاصة إذا لم يجد دليلاً واضحاً في المسألة ، فإنه لا يكاد يعدو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، كما قال بعض المقربين منه من أهل العلم . [2]

5- عموم دعوته :

قال ابن عثيمين عن شيخه : " أذكر أنه كانت ترد عليه رسائل من دول الخليج والهند وغير ذلك،رغم أن وسائل الإعلام ليست كما هي الآن ".[3]

وقد ظهر ذلك جليّاً في حياة ابن عثيمين ، فقد كان الشيخ يحرّر الرسائل بنفسه،مجيباً على أسئلة المستفتين من مشارق الأرض ومغاربها .

وقد سبق ذكر صورة من كتابات الشيخ بخطِّه وإجاباته على الأسئلة .

---

(1) روضة الناظرين 221/1 بواسطة فقه ابن سعدي (93/1) .

(2) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض) .

(3) علماؤنا ، صـ8 .

6- براعته في التفسير وقواعده ، والفقه وأصوله :

قال عنه تلميذه ابن عثيمين :

" شيخنا عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله تعالى – كانت حياته حياة علم وعمل .

وكان رحمه الله بارزاً في علم التفسير وعلم الفقه ، وحكم وأسرار الشريعة ، متأثّراً فيه بشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم " . (1)

والناظر في كتب ابن سعدي في التفسير سواء (تيسير الكريم الرحمن) أو مختصره ، يرى براعة الشيخ في استنباط الحكم والأحكام ، وبعده عن الإسرائيليات واقتصاره على ما دلّ عليه الدّليل ، ولو بالإيماء والإشارة ، ويفوق ذلك كله عنايته بأمر العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة ، وهذه في الحقيقة غاية الفوائد من هذا الكتاب العظيم ، خاصة للطالب المبتدئ المبتغي للهدى ، والذي يخشى عليه من اغتراره بالمذاهب المضلة ، والتي حشيت بها عدد من التفاسير التي بأيدي الناس .

أما في **الفقه** فيمتاز أسلوب الشيخ السعدي بالبساطة والقرب ، وسهولة الفهم ، مع اعتصامه بالدليل .

ومن أوضح ما يدل على ذلك من كتبه :

كتابُ الاختيارات الفقهية ، ومنهاج السالكين وكتاب إرشاد أولي الأبصار والألباب ، لنيل الفقه بأحسن الطرق وأيسر الأسباب .. " .

---

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

أمّا في القواعد ففي التفسير يأتي كتابه (القواعد الحسان) في مقدمة كتب القواعد ، وهو اسم على مسماه ، فهي قواعد حسان بديعة جليلة القدر ، عظيمة النفع ، كما قال عنها مؤلفها .

ضمنها سبعين قاعدة في التفسير .

وفي قواعد الفقه وأصوله :

تأتي منظومته المشهورة في القواعد الفقهية ، والتي يقول فيها :

وهَـذِهِ قَوَاعِـدٌ نَظَّمْتُـهَا مِنْ كُتْبِ أَهْلِ العِلْمِ قَدْ حَصَّلْتُهَا

جزَاهُمْ المَولَى عَظِيمَ الأَجْرِ والعَفْوَ مَعْ غُفْرَانِهِ والبِـرِّ

وقد وضع عليها الشيخ تعليقاً لطيفاً يبين معانيها وييسر فهمها .

وقد كتبها وعمره حوالي أربعة وعشرين عاماً ، عام **1331**هـ ، أي قبل ولادة شيخنا ابن عثيمين بستة عشر عاماً ، والظاهر أنها من أقدم ما كتب ، وبساطتها تدل على ذلك .

ولعله اختصر بعدها قواعد ابن رجب والذي أسماه (تحفة أهل الطلب بتجريد قواعد ابن رجب) [1] ، ثم تأتي بعد ذلك رسالته في أصول الفقه والتي قال في أولها :

" أما بعد : فهذه رسالة لطيفة في أصول الفقه ، سهلة الألفاظ واضحة المعاني ، معينة على تأمل الأحكام لكل متأمل معاني ... " . [2]

(**1**) أشار إلى ذلك الدكتور خالد المشيقح،وذكر أنه كتبه في سنة 1336هـ ، البيان العدد160.

(**2**) نقلاً عن فقه ابن سعدي (138/1) وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب ، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء .

وللشيخ في القواعد والأصول كتاب حاز قصب السبق ، وسارت به الركبان ، وعكف طلاب العلم على دراسته في حلق العلم ، ألا وهو كتاب (القواعد والأصول الجامعة ، والفروق والتقاسيم البديعة النافعة) ذكر في القسم الأول عدداً من جوامع الأحكام ، وأصولها وقواعدها ، وجمع في القسم الثاني الفروق بين المسائل المشتبهة ، والأحكام المتقاربة ، والتقاسيم الصحيحة ، وهو من أنفع العلم للمبتدئ والمنتهي ، وقد يسر الله لنا قراءته على عدد من مشايخنا غفر الله لهم .

وبعد فهذه نبذة يسيرة عن تميز ابن سعدي في هذين الأمرين اللّذَيْن امتدحه بهما تلميذه ابن عثيمين .

فكيف تأثر التلميذ بشيخه فيهما ، في الأسلوب والمنهج ، والقواعد والأصول .. إلخ .

وهل نستطيع أن نقول إن التلميذ فاق شيخه فيهما ؟ لعل الجواب عن هذا يتضح عند دراسة هذين الجانبين عند شيخنا – إن شاء الله تعالى – رحم الله الشيخين وغفر لهما .

7- عناية السعدي بطلابه وتفقد أحوالهم :

وفي فترة تلمذة ابن عثيمين على العلامة ابن سعدي ، كان ابن سعدي رحمه الله تعالى يشمل تلاميذه بالعناية ، والرعاية ، والمتابعة ، ويسأل عنهم إذا غابوا ، ويهتم جداً لحضورهم ، وهذا منه الغاية في نصح الخلق ، وخاصة طلابه . غفر الله له .

وإليك هاتين الحادثتين لتعلم مدى حرص الشيخ على تلميذه النجيب ابن عثيمين . رحم الله الجميع .

قال الشيخ علي الشبل :

" **الأولى :**

لما اشتغل الناس في عنيزة بفلاحة الوادي – وادي الرمة – وغرس النخيل فيه ، وتوجهوا لذلك توجهاً عاماً ، كان منهم والد ابن عثيمين وأعمامه ، واستصحبوا معهم أبناءهم ، ومنهم الشيخ محمد ، حيث اشتغل شيخنا محمد ابن عثيمين في الزراعة في الوادي مع أهله نحواً من ثلاث سنين ، فافتقده شيخه ابن سعدي وسأل عنه والده ، كما سأله هو عن سبب تخلفه عن الدروس ، فلما أعلمه الخبر ، طلب الشيخ ابن سعدي ملحّاً على ابن خاله صالح بن سليمان ابن عثيمين إرجاع ابنه محمدّاً إلى عنيزة

لمواصلة الدراسة ، وحضور حلقات العلم المعقودة من ابن سعدي في الجامع الكبير .

الثانية :

وكانت بعد تلك ، حيث رحل العم صالح بن عثيمين ،وإخوانه سليمان إلى الرياض للبحث عن سبل العيش بالتجارة، واستصحبوا معهم أبناءهم، وأكبرهم شيخنا محمد بن عثيمين ، فافتقده الشيخ ابن سعدي ، فطلب من والد الشيخ محمد بن عثيمين إبقاء ابنه محمداً في عنيزة لطلب العلم .

وقال له فيما قال :

" نريداً محمداً يبقى عندنا في عنيزة ليواصل الدراسة والطلب " فاستجاب أبوه لهذا مرة ثانية لما رأى من رغبة ابن عمه الشيخ السعدي الملحة ، واستعداد ابنه – الشيخ محمد – العلمي ، وتوجهه نحو الطلب " . [1]

وهذا يستفاد منه فائدة عظيمة وهي أهمية تتبع المعلم والشيخ الداعية لطلابه ومدعوِّيه وسؤاله عنهم ، وتفقده أحوالهم ، وقد كان هذا من ابن سعدي تطبيقاً لسنة النبي ρ وهديه مع أصحابه .

كما في حديث المرأة التي كانت تقمُّ المسجد ، وسؤاله عنها ، وذهابه ρ للصلاة على قبرها . [2]

وكما في حديث سهل بن سعد في الصحيح [3] في قصة غزوة خيبر لما سأل عن علي رضي الله عنه حين افتقده فدعاه ليعطيه الراية .. الحديث .

ولهذا نظائر كثيرة .

لهذا ينبغي لأهل العلم العناية بهذا الباب لما له من الأثر العظيم على الطلاب .

وقد عني شيخنا المترجم ابن عثيمين بهذا عناية عظيمة .

وسأذكر مما ذكر عنه صوراً عديدة :

منها ما حصل معي عندما كنت أحياناً لا أصلي التراويح في الجامع مع الشيخ ، بل كنت أؤخرها إلى منتصف الليل أو آخره ، فعندما افتقدني ـــ

(1) مجلة الدعوة ، 1779 .

(2) أخرجه البخاري حديث 458 ، ومسلم حديث 956 .

(3) أخرجه البخاري حديث 4210 ، ومسلم حديث 2406 .

الشيخ دعاني ، وسألني عن سبب تخلفي عن الصلاة معه ، فأخبرته بما رأيت ، واستدللت على ذلك بأن عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس ، قال : (والذي ينام عنها خير) يعني إلى آخر الليل .

فرضي الشيخ وترك العتاب عليَّ – رحمه الله و غفر له – .

وكذلك الحادثة التي حصلت للأخ وليد الحسين عندما جاء مهاجراً إلى عنيزة لطلب العلم ، ولم يكن عنده ما يتعايش منه ، فاضطر إلى الانتقال إلى الدمام للعمل هناك ، فافتقده الشيخ واتصل به طالباً منه الرجوع فوراً إلى عنيزة ، وقام رحمه الله بشؤونه وكفايته . [1]

وغير ذلك كثير ، كما سنذكر ذلك فيما بعد . إن شاء الله تعالى .

— — —

(1) مجلة الحكمة ، العدد الثاني ، صـ47 .

- الكتب والفنون التي دَرَسَها ابن عثيمين على ابن سعدي رحمه الله تعالى :

قال الشيخ ابن عثيمين عن نفسه :

" ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي فقرأت عليه في :

التفسير .

والفقه وأصوله .

والفرائض .

ومصطلح الحديث .

والتوحيد .

وشيئاً من النحو والصرف " . [1]

فهذه ستة فنون تقريباً ذكرها الشيخ إجمالاً ، ولم يذكر الكتب التي قرأها على شيخه ، ولكن أشار الشيخ في موضع آخر إلى بعض ما قرأه ، فقال :

(ثم لما كبرنا بدأنا في القراءة على شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي في :

قطر الندى وبل الصدى لابن هشام .

وفي زاد المستقنع في اختصار المقنع .

وفي العقيدة الواسطية .

---

(1) عكاظ حديث الذكريات ، 12556 .

وفي المنتقى في الحديث .

وكتب أخرى " . [1]

ولما كان الشيخ يقرأ على السعدي كتاب العقيدة الواسطية ، قال رحمه الله تعالى :

" ومما شجعني على التأليف : أنه في حياة شيخنا عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله تعالى – كنا نقرأ عليه في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وكنت كطالب أكتب عليه شرحاً للآيات والأحاديث ، ولكلام الشيخ ابن تيمية ، وأظنني كتبت أربعة دفاتر ، ولكني ما كملتها ، إلا أنني

إذا كتبت شيئاً عرضته على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله ، وكان يشجعني على ذلك كثيراً " . [2]

- زمن حلقات التدريس :

كانت دروس السعدي تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة ، وتستمر ساعتين ، ثم يذهب إلى بيته للغداء في الضحى ، ثم يرجع للتدريس للكبار في المنتهى أو المنتقى .

وله درس قبل صلاة العصر في الحديث ، ودرس بين العشاءين في النحو ، وربما في تفسير القرآن الكريم ، يتراوح ما بين النحو والتفسير . [3]

---

(1) برنامج (في موكب الدعوة) لإذاعة القرآن الكريم بالرياض .

(2) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

(3) ذكره أحد تلاميذ السعدي القدامى . راجع شريط ابن عثيمين علم وعمل من تسجيلات مؤسسة الاستقامة بعنيزة .

- مدة الدراسة :

أمّا عن مدّة الدراسة فكانت طيلة الأسبوع ، ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة . [1]

وسيأتي في تفصيل دروس شيخنا ابن عثيمين أن هناك فوارق في الأيام والمواعيد عن شيخه السعدي ، ولا شك أن ذلك مما اقتضته حاجة الطلاب المقيمين عند الشيخ ، أو المتردّدِين عليه. رحمه الله تعالى وغفر له.

وبَعْدَ سبع سنوات من هذه الرحلة العلمية المباركة ، والملازمة التامة للشيخ السعدي ، وثني الركب في حلقته وملاحقته في جلوسه وسيره في الجامع

وخارجه ، مع ما وهبه الله تعالى للمترجم – أعني شيخنا ابن عثيمين من الذكاء والفطنة والجد والاجتهاد .

بعد هذه المدة تأهل ابن عثيمين لأن يجلس ، ليقوم بالتدريس سنة 1371هـ في حلقات المبتدئين في حياة شيخه وتحت إشرافه .

وقد سبق بيان أن هذا المنهج هو الذي سلكه السعدي مع طلابه ، فبعد أن كان التلميذ ابن عثيمين يَدْرُس في حلقات المبتدئين على الشيخ المطوع أصبح الآن مدرساً في حلقات المبتدئين ، تحت توجيه شيخه السعدي . رحمهما الله تعالى .

ولكن ذلك لم يَدُم طويلاً ؛ فقد فتحت في تلك السنة المعاهد العلمية

---

(1) ذكر هذا الأستاذ علي بن عبد الله السلطان ، في ضمن كلامه عن الشيخ ابن عثيمين ، انظر البيان ، العدد 160 .

بالرياض ، وأصبحت فكرة الالتحاق بالمعهد تراود الطالب المجتهد ابن عثيمين ، ويستشير فيها من حوله ، ومنهم الشيخ الصالحي ، فيشير عليه باستحسان الفكرة ، أي الالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض ، وذلك بعد استئذان علامة القصيم وشيخها السعدي .

وهنا تبدأ مرحلة جديدة وهامة في حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ، وهي تردده بين الرياض وعنيزة ، وجمعه بين مدرسة الحديث والفقه .

μ μ μ

المرحلة الرابعة
ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض
وبين يدي علمائه ومشايخه

لا شك أن هذه مرحلة انتقالية هامة جدّاً في حياة الشيخ ، فتحت له آفاقاً جديدة في العلم والمعرفة .

ففي سنة 1372هـ وبعد افتتاح المعهد العلمي بسنة ، التحق الشيخ بالمعهد .

وكان المعهد يعمل في ذلك الوقت بما يسمى (نظام القفز) والذي يقول الشيخ عنه :

" دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية ، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي ، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى ، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ، ينقسم إلى قسمين : خاص وعام ، فكنت في القسم الخاص ، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز ، بمعنى أنه يدرس في السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ، ثم يختبرها في أول العام الثاني ، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها ، وبهذا اختصرت الزمن " . [1]

وبهذا يتبين أن الشيخ دخل المعهد العلمي وعمره حوالي خمسة وعشرين عاماً .

---

(1) اليمامة ، العدد 953 ، لقاء صحفي مع الشيخ رحمه الله تعالى .

وقد بلغ فيها من النضوج العقلي والجسمي مبلغاً ، أما نضوجه العلمي فواضح من مراحل التلمذة السابقة على علماء عنيزة ، وبالأخص العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى .

وبهذا فقد كان ابن عثيمين متأهلاً للاستفادة من مشايخ المعهد ؛ ويتضلع من علومهم ، ويحسن الاستفادة منهم ، ولا يضيع فرصة تسنح له ؛ ليروي ظمأه من مناهل العلوم .

وقد كان المعهد في ذاك الوقت ، ومع بداية افتتاحه يضم نخبة من أهل العلم ، قلَّما تجتمع في مكان واحدٍ في وقت واحد .

منهم العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

ومنهم الإمام المحدث عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

ومنهم أستاذ الجيل العلامة الفقيه عبد الرزاق عفيفي .

وغيرهم ..

وعلى رأس هؤلاء صاحب فكرة إنشاء المعاهد العلمية ، والذي أشار على الملك بها ، وأسندت إليه رئاستها عالم عصره وعلامة مصره ، الإمام المحقق المدقِّق الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

رحم الله الجميع وغفر لهم . وأسكنهم الفردوس الأعلى .

في ذلك الجو العلمي المبارك بدأ الطالب المجتهد النجيب ابن عثيمين يخطو خطواته الأولى في المعهد ويقعد في مقاعد الدراسة،وكان متميزاً بين أترابه.

يقول الشيخ عبد العزيز الداوود (عضو في دار الإفتاء) :

إن الشيخ لما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم ، وكان يشير إليه الطلاب بالتميز " . [1]

وسنعرض في الصفحات القادمة لتراجم مختصرة لمشايخه في المعهد العلمي، مع نبذ من مواقفه معهم . رحم الله الجميع .

α α α

(**1**) جريدة الرياض ، العدد 11890 .

فصل
ابن عثيمين بين يدي العالم المفسر الأصولي البارع
محمد الأمين الشنقيطي
في المعهد العلمي

(1325هـ - 1393هـ)

ترجمة موجزة للشنقيطي رحمه الله تعالى :

هو العالم العلامة الفقيه المفسِّر المحقِّق البارع الأصولي :

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك .. يرجع نسبه إلى قبيلة حمير .

ولد بشنقيط عام 1325هـ وتوفي والده وهو ما يزال صغيراً يقرأ جزء عم ، وترك له ثروة ، فسكن عند أخواله ، وحفظ القرآن على يد خاله ، ولم يجاوز العاشرة من عمره ، فنشأ نشأة صالحة حتى شبَّ وطلب العلم على عدد من المشايخ .

منهم : الشيخ أحمد بن أفرم بن محمد المختار ، والشيخ أحمد بن عمر ، والشيخ محمد بن صالح ، والشيخ محمد النعمة بن زيدان ، والشيخ أحمد ابن فال بن آده ، والشيخ أحمد بن مود .

وغيرهم ..

وبعد انتهائه من الدراسة جلس في داره للتدريس والقضاء ، وصار إليه المرجع في القضاء في بلاده ، وفي عام 1367هـ بعد فراغه من الحج ، اختِير للتدريس في المسجد النبوي ، وفي عام 1371هـ طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في المعهد العلمي بالرياض والكليات هناك ، فانتقل إليها .

وفيها سمع منه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى صاحب هذه الترجمة ، ثم انتقل في سنة 1381هـ إلى المدينة النبوية للتدريس في الجامعة الإسلامية ، واستمرّ بها طيلة حياته .

وقد عيّن عضواً في هيئة كبار العلماء ، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

وله مؤلفات ، من أبرزها وأشهرها :

كتابه العظيم في تفسير القرآن بالقرآن ، ومنها شرحه على مراقي السعود ، وكتاب منع جواز المجاز في كلام الله تعالى المنزل للتعبد والإعجاز ، ومذكرة في أصول الفقه ، ورسالة في دفع إيهام الاضطراب في آي الكتاب ، وأدب البحث والمناظرة ، وغيرها ..

توفي رحمه الله تعالى بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة لعام 1393هـ .

وصلى عليه الإمام العلامة عبد العزيز بن باز بالمسجد الحرام ، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة . غفر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى . [1]

---

(1) انظر في ترجمته إتحاف النبلاء لراشد الزهراني ، وعلماؤنا ، لفهد البراك وفهد البدراني .

وقد حدّد شيخنا ابن عثيمين أبرز الأمور التي استفادها من شيخه محمد الأمين الشنقيطي في قصة طريفة حدثت بين مقاعد الدراسة في المعهد .

فاستمع إليه وهو يقول :

" كنَّا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض ، وكنا جالسين في الفصل ، فإذا بشيخ يدخل علينا ، إذا رأيته قلت :

هذا بدوي من الأعراب ، ليس عنده بضاعة من علم ، رث الثياب ، ليس عليه آثار الهيبة ، لا يهتم بمظهره ، فسقط من أعيننا .

فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وقلت في نفسي : أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وأجلس أمام هذا البدوي ؟ .

فلمّا ابتدأ الشنقيطي درسه ، انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية ، من بحر علمه الزاخر ، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء وفحل من فحولها .

فاستفدنا من علمه ، وخلقه ، وزهده ، وورعه " . [1]

فقد حدد ابن عثيمين هنا بعض الجوانب التي تأثر بها من الشنقيطي وهي :

1- العلم .
2- الخلق .
3- الزهد .
4- الورع .

وقد بلغ الشنقيطي رحمه الله تعالى مبلغاً عظيماً في هذه الأمور .

---

(1) مجلة الحكمة ، العدد الثاني ص22 .

وسأذكر نماذج مختصرة لها ليظهَر كيف تأثر شيخنا بها :

علمه :

قال تلميذه فضيلة الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

" كان اهتمامه بالعلم ، وبالعلم وحده ، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة ، وعلم الكتاب وحده غاية " .

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى عن نفسه : " لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة " .

وقال أيضاً : "كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي " . [1]

ويقول الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني –رحمه الله تعالى–(من حيث جمعه لكثير من العلوم مارأيت مثله) . [1]

خلقه :

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

" لو أن للفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق بها " .

وقال أيضاً :

" وإذا كان علماء الأخلاق يعنون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة ، فإن المروءة كانت شعاره ودثاره ، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته ، سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه ، أو مع غيرهم ممن

---

(1) اتحاف النبلاء بسير العلماء 1/136-147 ، لراشد الزهراني .

عرفهم أو لم يعرفهم " . [1]

زهده وورعه :

قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى :

" وقد كان شيخنا – هو محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله تعالى متقلِّلاً من الدنيا ، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية " . [2]

وأهدى له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز بيتاً في الطائف ، فردّه ، ولم يقبله ، فسئل عن ذلك ؟

فقال : (الذي بناه يحتاجه لنفسه ، أمّا أنا فلم أبنه ولا أحتاجه ، وعندي بيتي في المدينة يكفيني " . [2]

وكان يقول : " الريال الواحد والألف سواء ، المهم أن يكون صرفها سليماً " .

وكان يقول : " الذي يفرحنا أنه لو كانت الدنيا ميتة لأباح الله منها سد الحاجة " . [2]

وبعد فهذه قطرة من بحر زاخر بالدرر والجواهر ، التقط منه التلميذ النجيب ابن عثيمين أطيب الخلال ، وتشبّع بأحسن الخصال ، كما سترى هذا في ترجمة الشيخ . رحمة الله على الجميع .

α α α

---

(1) المصدر السابق 141/1 .

(2) المصدر السابق 139/1 .

فصل

ابن عثيمين مع شيخه الثاني العلامة المحدث الفقيه الورع أبي عبد الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (1330هـ - 1421هـ)

هذه نبذة مختصرة عن شيخنا العلامة الإمام الحبر البحر عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز ، ولد بمدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام 1330هـ ، وآل باز يقال هم من تهامة ، أو من اليمن ، وقد توقف الشيخ في أصل هذه النسبة ، ولم يجزم بشيء .

وقد كان مبصراً في أول حياته ، وأصابه المرض في عينيه عام 1346هـ فضعف بصره ، إلى أن كف في مستهل محرم عام 1350هـ .

وتلقى الشيخ العلوم الشرعية على عدد من علماء الرياض .

منهم :

الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ سعد بن وقاص البخاري قرأ عليه القرآن والتجويد ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وهو يعتبرأكثر شيوخه تأثراً به وملازمة له ، وما ذكره إلاّ وأثنى عليه خيراً . رحمة الله على الجميع .

وقد جاهد واجتهد في طلب العلم حتى استحق أن يقلد عدة مناصب ، منها أنه عمل في الخرج قاضياً ، في عام 1357هـ ، إلى نهاية عام 1371هـ .

ثم انتقل للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عام 1372هـ لمدة سنة واحدة ، انتقل بعدها عام 1373هـ للتدريس في كلية الشريعة ، وأمضى بها سبع سنوات أي حتى عام 1380هـ ، انتقل بعدها نائباً لرئيس الجامعة

الإسلامية عام 1381هـ وحتى عام 1390هـ ثم عمل رئيساً للجامعة حتى عام 1395هـ ثم انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في 10/14/ 1395هـ .

ثم عين مفتياً عاماً للمملكة عام 1414هـ ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء حتى وفاته رحمه الله تعالى .

وقد تقلد رحمه الله تعالى عدة مناصب ، منها : رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ورئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد ، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة ، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وعضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية . وغيرها ..

وأمّا جهود الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى تعليماً ، وتدريساً ، وإفتاءً ، وتأليفاً ، ونصحاً ، فهذا شيء كثير يرجع إليه في مظانه ، وقد وفقنا الله تعالى ، وجثونا على الركب في حلق العلم التي كان الشيخ يعقدها في الرياض في الجامع الكبير ، ومسجد سارة بالبديعة ، والمسجد الحرام بمكة المكرمة ، دراسةً في الصحيحين وكتب السنن الأربعة ، ومروراً بتفسير ابن كثير وزاد المعاد ، وتأصيلاً للتوحيد في كتبه مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده المجدد الثاني ، وغيرها .. مما يطول ذكرها .

وكان الشيخ في تدريسه آية من آيات الله في صبره ، وجلده ، وأدبه ، ونصحه ، ووعظه ، فرحمة الله عليه من إمام سنة وهادي أمة .

أمّا مؤلفاته فهي كثيرة :

أعظمها حاشيته على فتح الباري ، وأكثرها انتشاراً كتاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة ، والفوائد الجلية في المباحث الفرضية ، وغيرها الكثير ..

وله مشاركة رائدة في برنامج نور على الدرب الذي انتفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

وله برنامج حديثي جيد ، هو شرحه لكتاب المنتقى لأبي البركات ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولكنه لم يكمله رحمه الله تعالى .

أمّا دعوته في الجامع والمحافل وعقب الصلوات ، فحدث ولا حرج ، فقد كان مهتمّاً بالدعوة إلى العقيدة الصافية الخالية من البدع والخرافات ، محذراً من الإحداث في الدين ناصحاً للولاة وللرعية ولعموم الأمة ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، كل ذلك وغيره جعله مرشحاً لنيل جائزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية لعام **1402**هـ لخدمة الإسلام لجهوده في هذا المجال .

وقد كان شكره لله تعالى على هذه الجائزة أن منحها بدوره لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة لحاجتها للعون ولحاجة طلابها المغتربين والمتفرغين للعلم .

وقد زاده هذا في أعين الناس إكباراً واحتراماً .

فاستحق لكل هذا بأن يوصف بأنه أحد المجددين ، واستحق أن يتقلد وسام الإمامة .

وأن يقال عنه إنه أمة في رجل رحمه الله تعالى وغفر له ، وقد قيل في رثائه الكثير .

ومما قيل في وصفه : ما قاله الزهراني :

يَا دُرّة العَصْرِ يَا بحرَ العُلومِ فمَا رأتْ لكَ العَيْنُ منْ نِدٍّ وأمثالِ

حقّاً فقدْ عرفَ التَّاريخُ كوكَبَةً مضيئَة منْ صَنَاديد وأَبْطَالِ

مِثل ابن حنْبَل أوْمثل ابنِ تيمية أَوِ البخَاريّ في إسْنَادهِ العَالي

لكِنَّنَا يَا حَبيبَ القَلْبِ نُبْصِرُهُمْ كَأنَّما مُثلوا في شَخْصِكَ الغَالي

(إمام العصر 222) .

وقد توفّي رحمه الله تعالى في يوم الخميس **27** من محرم لعام **1420**هـ ، وصلّى عليه بالمسجد الحرام ما يقارب مليوني نسمة عقب صلاة الجمعة ودفن بمقابر العدل بمكة المكرمة . غفر الله له .

φ φ φ

- **بيان كيف تأثر ابن عثيمين بشيخه ابن باز :**

قال ابن عثيمين واصفاً شيخه الثاني :

" أمّا شيخنا عبد العزيز – رحمه الله تعالى – فإنني قرأت عليه يسيراً ، لكنني استفدت منه في الحديث فائدة عظيمة " . (1)

وقد كان الشيخ ابن باز مكلفاً في المعهد العلمي بتدريس العقيدة والحديث والفقه . (2)

ويبين ما قرأه عليه في موضع آخر حيث قال :

" ثم قرأت على شيخي الثاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، فابتدأت قراءة صحيح البخاري ، ثم بعضاً من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية " . (3)

ثم يبين نواحي تأثره بالشيخ العلامة الإمام ابن باز ، فيقول :

" كان تأثري بالشيخ عبد العزيز – رحمه الله – :

لعنايته بالحديث .

وأخلاقه الفاضلة .

وبسط نفسه للناس " . (3)

ويذكر في موطن آخر أمراً تأثر به هو في غاية الأهمية فيقول :

" إنني انتفعت بقراءتي عليه من حيث التوجيه والانتقال من العكوف على

---

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

(2) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص201 .

(3) عكاظ ، العدد 12556 .

الكتب الفقهية ، وتمحيص الأقوال وتلخيصها ، انتقلت من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث، ولست من الذين يصح أن ينسبوا إلى علم الحديث، ولكني اتجهت إلى علم الحديث " . [1]

- **وبين الشيخ أنه تأثر بمنهج شيخه ابن باز ، فقال :**

" كما أن لشيخنا الثاني عبد العزيز رحمه الله تعالى منهجاً ننتفع به حتى الآن " . [2]

فهذه خمسة أمور تندرج في أربعة ، ملخصها :

1. **في الخلق .**
2. **في المنهج .**
3. **في المعاملة .**
4. **في الاعتناء بالكتاب والسنة ، دراسة ، واستدلالاً ، وعملاً .**

والناظر المتأمل في سيرة ابن باز رحمه الله تعالى يجدها طافحة بهذه الأمور وعلى الرغم من أن الشيخ كتبت في سيرته مؤلفات ، إلاّ أنها لا تروي الغليل ولا تشفي الغليل لعدم تركيزها على نواحي التميز العلمية والعملية تأصيلاً وتقعيداً ثم تمثيلاً واستشهاداً ، وسأذكر هنا لمحات سريعة لهذه الأمور التي خصها ابن عثيمين بالذكر سيراً على المنهج السابق والله المستعان فقد أثمرت هذه التلمذة والتي لم تمتد أكثر من سنة داخل المعهد ـــــ

(**1**) الدعوة ، العدد 1776 ،وجاء فيها نسبة هذا للسعدي،ولا يصح لمعارضته للمصادر الأخرى ، وهو غريب .

(**2**) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض .

العلمي ، وإن كانت استمرت بعد ذلك عن طريقة السؤال والزيارة ، والمشورة ، وغير ذلك ..

أثمرت محبة متبادلة بين الشيخ وتلميذه النجيب ، استمرت حتى الممات ، وكانت هذه المحبة بادية للعيان يبصرها القريب والبعيد .

ومن ذلك ما قاله الشيخ المنجد : " كان الشيخ محمد يعني ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – يحب شيخه عبد العزيز بن باز جدّاً ، وقد اتصلت به مرة في مرض الشيخ عبد العزيز وحادثته في هذا ، فقال عبارة : لا أرانا الله يومَ فقده ...

ولما مات الشيخ عبد العزيز اتصلت صباح اليوم التالي بالشيخ محمد ، فقلت له : بلغك الخبَر ؟ فقال نعم ، نِعْمَ الرجل .. " .

وقال أيضاً : " خلوت بالشيخ محمد مرة بعد وفاة الشيخ عبد العزيز أحادثه في موضوع الفتوى بعد الشيخ ابن باز ، قال لي بمرارة : بعد الشيخ ابن باز ؛ ما عاد لنا راس " . [1]

قلت :

ولقد رأيت يوم الجمعة الموافق **1421/1/28**هـ اليوم الذي دفن فيه ابن باز بمكة ، رأيت شيخنا ابن عثيمين قبل صلاة الجمعة يتطوع بالصلاة النافلة ، والشيخ ابن باز مسجَّى في عباءته بينه وبين الكعبة ، وهو يتلو آيات الكتاب ، وتهمل عيناه بالدمع حزناً على شيخه ، وحزناً على ما أصاب الأمة من فقده . غفر الله لهما وأسكنهما الفردوس الأعلى .

---

(1) محاضرة للشيخ المنجد بعنوان (100فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالرياض .

أمّا ثناء الشيخ على تلميذه ومحبته له ، فهي كذلك بلغت مبلغاً عظيما :

من ذلك :

ما ذكره الشيخ المنجد : " كنت في مجلس الشيخ عبد العزيز في الطائف ، فكان الناس يأتون ويسلمون على الشيخ عبد العزيز ، وهو جالس على كرسيه ، فلمّا أخبر بقدوم الشيخ محمد بن عثيمين قام إليه ، ولم أره قام لأحد غيره . فاعتنقه ، ورأيت وجه الشيخ عبد العزيز يتهلل بالبشر والسرور للقاء الشيخ ابن عثيمين " . (1)

وكان الشيخ ابن باز يقرظ له بعض كتبه كما في تقديمه لـ (عقيدة أهل السنة والجماعة) حيث يقول رحمه الله تعالى :

" أما بعد .. فقد اطلعت على العقيدة القيمة الموجزة التي جمعها أخونا " العلامة " فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين ، وسمعتها كلها ، فألفيتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ... " .

فانظر إلى هذا الوصف من الشيخ لتلميذه ، ما أروعه ! وما أصدقه ! أعني قوله (العلامة) وإن كان شيخنا المترجم لا يحب ذلك ، ويكرهه ، ويزجر من يصفه به . غفر الله له .

- بعض أوصاف الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى :

بذله نفسه للناس ومساعدته للمحاويج :

يقول مدير مكتبه الدكتور عبد الله الحكمي :

" هو أبو المساكين ؛ سعى في رفع معاناتهم ، وفك كربتهم ، وقضاء

---

(1) محاضرة (100 فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجد ، ألقاها بالرياض .

ديونهم ، وعلاج مريضهم ، رحمهم وألان لهم الجانب ، فامتلأت دواوين مكتبه بطلباتهم ، يخصص لها الوقت الطويل ، يدرسها ويبذل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه ، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة ، وكم من مسكين فرج كربته ، بسط لهم مائدته ، وأوسع لهم في مجلسه ، حتى قال إفريقي فقير رث الثياب ، جاء يسأل عنه في موسم الحج الأخير ، يسأل : أين الشيخ ؟ فقيل له : لم يستطع الحج ، ماذا تريد ؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً ولكنني مسكين ، والشيخ أبو المساكين " . (1)

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

" وتتجلّى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منزله بين المساكين والغرباء ، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر ، يستقبلهم ، ويحتفي بهم ، ويدنيهم ، ويتفهم مشكلاتهم ثم يسعى في حلها ، مهما كان نوعها ، ثم يلتف كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة ، الغني والفقير ، والوجيه والوضيع ، والكبير والصغير " . (2)

ويقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر مستشار سماحته رحمه الله تعالى : "إن الشيخ عبد العزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته ، قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام 1357هـ ، في الدلم بالخرج ، وحتى مساء الليلة ـــــ

(1) إمام العصر صـ190. .

(2) المدينة ، العدد 13191 .

التي توفي فيها ، حيث لم يقعده المرض عن الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم : إجابة وإفتاءً ، ومساعدة وتشفعاً .

وقد عُرف رحمه الله بذلك الخلق لم يتزحزح عنه ، ولم يتبدل ساعة من نهار ، مواعيد جلوسه ثابتة ، ومجلسه مفتوح في المكتب والبيت ، ومائدته ممدودة ، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولا نهاراً ، بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم ، وتبسيط الأمور أمامهم ، لأنه يطبق حديث رسول الله ρ : (يسروا ولا تعسّروا) .

وسجاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة ....

ولذا فإن الشيخ عبد العزيز أبٌ رحيم، وعَطوف على اليتامى والمساكين، وعلى الأرامل والفقراء ، وعلى المحتاجين ، ومن لا تصل كلمتهم إلى المسؤولين ، فيوصلها بشفاعته ، ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق ". [1]

أما عنايته بالسنة دراسة ودعوة فيكفي أن تطلع على جدول محاضرات الشيخ بمدينة الرياض ، ليتضح لك مدى اهتمامه بها :

1- في جامع الإمام تركي بن عبد الله بـ (الديرة) :

دروس الفجر ليوم :

الأحد : تفسير ابن كثير ، صحيح البخاري ، نخبة الفكر، موطأ مالك بشرح الزرقاني ، مسند الإمام أحمد ، الروض المربع .

الاثنين : صحيح البخاري ، نيل الأوطار ، فتح المجيد ، مسند الإمام

---

(1) إمام العصر صـ321 .

أحمد ، سنن أبي داود . .

الأربعاء : تفسير ابن كثير ، صحيح البخاري ، سنن ابن ماجه ، الروض المربع .

الخميس : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، كتاب السنة للبغوي ، مسند الإمام أحمد ، سنن ابن ماجه ، الدرر السنية ، تفسير ابن كثير ، فتح المجيد ، إغاثة اللهفان .

2- في جامع الأميرة سارة بـ (البديعة) :

بعد المغرب :

الأحد والأربعاء :

تفسير ابن كثير ، صحيح البخاري ، زاد المعاد ، سنن النسائي ، صحيح مسلم .

3- في جامع اليحيى :

يوم السبت والاثنين والثلاثاء والجمعة بين الأذان والإقامة : شرح بلوغ المرام .

وإليك قصة طريفة في اختبار الشيخ للحاسب الآلي في أحد برامج الحديث الشريف :

يقول الشيخ فهد البكران :

" قدم مندوب أحد المؤسسات الالكترونية ، وبرفقتهم جهاز حاسب آلي شخصي ، وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز ، وأرادوا من سماحته الإطلاع عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق ، فقال سماحته

: فلنختبر جهازكم ، واختار رحمه الله أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب ، فقام المسؤول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخريجه ، إلاّ أن الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب ، وإن كان قد وصل إلى بعض الأحاديث التي تعطي نفس المعنى ، فقال سماحته : " إذن ابحثوا عن راوي الحديث " فتم إدخال البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث ، ولكن لا نتيجة .

فقال الشيخ : إن ابن حجر لم يخطئ [يعني في تخريجه للحديث في بلوغ المرام] فعليكم البحث مرة أخرى ، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من 15دقيقة ، بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه ، حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيفاً تعرض له اسمه ، جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب " . [1]

- أما حسن خلقه وعشرته :

فيروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي واصفاً أحد دروس الشيخ ، فيقول :

" إن الشيخ سئل عن حكم سجود التلاوة ، فقال : سنة مؤكدة ، وسأل آخر عن السؤال نفسه فقال : سنة مؤكدة ، – بل سأله ثالث – ولعله لم يسمع الإجابة كالذي قبله – فأعاد الشيخ الإجابة بطيب نفسٍ ، ولم

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد (1693) .

يكبت السائلين " . [1]

ويقول أحد تلاميذه وهو الشيخ عمر أحمد بافضل : " لقد شغلني مرة أمرٌ وأقلقني ، وعند خروج الشيخ من المسجد بعد الدّرس ، وكعادة طلبة العلم والسائلين ينكبون عليه حتى يركب السيارة ، بل حتى وهو في السيارة ، وعند تأهب السيارة للإنطلاق اقتربت منه ، قلت له : لديّ استفسار ، هل أذهب معك إلى البيت ؟ وهل أجد فرصة ؟ فقال : نعم ، الآن ، وأوقف السيارة وأدخلني جنبه ، وأعطاني جواب استفساري فوراً ، والسيارة واقفة ، ثم خرجت مسروراً مقدراً له الأريحية ، ورحابة الصدر .. " . [1]

قلت :

وقد حصل معي مثل هذا الموقف مع الشيخ في مكة ، في حدود سنة 1406هـ عندما كنت جاراً للشيخ في سكنه بالعزيزية ، حين صليت معه العصر ورغبت في سؤاله ، وكان قد ركب سيارته ، وكادت أن تتحرك، فركبت مع الشيخ بجواره ، وسألته سؤالي ، وأجابني بلطف ، ثم نزلت ، فسررت جدّاً لهذا الخلق الرفيع الذي لم أره لغيره .

رحم الله الشيخ ورفع درجته .

- أما منهج الشيخ :

فإنه رحمه الله تعالى لا يحيد عما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، ولا يدعهما لقول أحد من الناس .

---

(1) الدعوة ، العدد 1638 (ابن باز في عيون طلابه) .

يروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي قائلاً :

" قيل للشيخ حديث (إن أبي وأباك في النار) أخرجه مسلم .

قيل له في شرحه من بعض الطلاب: إن الرسول ρ إنما قال ذلك لتطييب نفسه ، لا غير ،فالتفت الشيخ مغضباً وقال : يطيب نفسه بعذاب أبيه .

ولما قرر شيخنا في التفسير جواز نكاح الكتابيات بشرطه ، قال بعض الطلاب : يا شيخ بعض الصحابة كان ينهى عن ذلك .

فالتفت الشيخ إليه وقد احمر وجهه وقال : هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة ؟ ! . [1]

– وأخيراً ونتيجة لهذا التأثر الكبير في التلميذ النجيب ، فقد أورث ذلك ثقة متبادلة ، مما كان يجعل الشيخ ابن باز يكلف تلميذه بإعداد الأبحاث .

واستمع إلى الشيخ محمد الصالح المنصور (أحد قرناء ابن عثيمين) وهو يقول : " كان الشيخ محمد بن عثيمين قد قدم للدراسة في الرياض بعد تتلمذه على يد الشيخ السعدي ، لهذا كان متميزاً على غيره من الذين لم يكن لهم قبل الدراسة في المعهد العلمي تجربة في الطلب على العلماء في المساجد لذلك كان الشيخ عبد العزيز بن باز يعول عليه كثيراً في البحوث ، ويرجع إليه " . [2]

α α α

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1638 .

(2) جريدة الوطن ، العدد 106 ، نقله عنه تلميذه الشيخ / دبيان بن محمد الدبيان .

فصل

ابن عثيمين بين يدي
عدد من مشايخ وعلماء المعهد العلمي
[غير ما ذكر]

1- فضيلة الشيخ العلامة المحقق الأصولي : أبي أحمد عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي .

والنوبي أسرة من الأسر العريقة في محافظة المنوفية في مصر .

ولد في شهر رجب من عام 1323هـ في شنشور إحدى قرى محافظة المنوفية في مصر . [1]

حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب قبل دخوله الأزهر ، وأتم الدراسة الثانوية ، ثم درس في القسم العالي ، ومنح العالمية سنة 1351هـ ، ثم منح شهادة التخصص في الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة .

عين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرس بها سنوات ، وتولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية ، ثم اختير في فترة لاحقة رئيساً عاماً لجماعة أنصار السنة المحمدية .

ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية ، للعمل بالمعارف سنة 1368هـ ، ثم عمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف ، ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر محرم عام 1370هـ ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال ، عام 1370هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ثم نقل للتدريس بكلية الشريعة ، وقد

(1) كتاب (من أعلامنا) لعبد العزيز العسكر (37/2) .

أنشئت سنة 1373هـ ، ثم عُيّن مديراً للمعهد العالي للقضاء عام 1385هـ ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام 1391هـ ، وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة وفقه النفس ، وكرّس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر ، وعني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسنة والفقه ، حتى إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته .

وانتفع بعلمه خَلْقٌ كثيرون .

وكان يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا ، ويشترك مع لجان لمَنَاقَشة بعض الرسائل ، ويلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر ، ويلقي المحاضرات ، ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج . [1]

أما بالنسبة للتأليف فقد كان الشيخ لا يحبذ التأليف ، بل يرى الاكتفاء بكتابات الأولين ، إلا فيما يستجد من أمور الناس، ومع ذلك فله إشراف

---

(1) انظر مقدمة (فتاوى اللجنة الدائمة) ، التراجم ، (1/3-4) .

على عدد من الرسائل الجامعية وله بعض المؤلفات ،

منها :

1- مذكرة التوحيد .

2- تعليقه على كتاب الإحكام من أصول الأحكام .

3- تعليقه على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية .

4- شرحه للعقيدة الواسطية مع الشيخ محمد خليل هراس .

5- تعليقه على كتاب الاعتقاد للبيهقي ، بتكليف من سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى .

6- تعليقه على المستصفى للغزالي .

وغيرها من التعاليق ..

وقد أصيب رحمه الله تعالى بعدة أمراض كان من آخرها ما أصيب به في يوم الثلاثاء الموافق 1415/3/16هـ من ألم شديد في الكبد ، وضعف في الكلى ، ووجود سوائل في الرئتين ، وهبوط في ضربات القلب .

ودخل المستشفى العسكري بالرياض وظل به حتى وافاه الأجل يوم الخميس 1415/3/25هـ ، ثم صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة 1415/3/26هـ في الجامع الكبير بالرياض .

وقد صلى عليه خلق كثير ، ودفن في مقبرة العود بالرياض ، وأمَّ الناس في الصلاة عليه تلميذه وزميله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ . وقد قيل فيه عدة مراثي . رحمه الله تعالى وغفر له .

- علاقة ابن عثيمين بالشيخ عبد الرزاق عفيفي :

لم أجد في كثير من المصادر التي ترجمت للشيخ ، والتي وقفت عليها إشارة لتلمذة ابن عثيمين على العفيفي إلا مصدراً واحداً أشار لهذه التلمذة .

وهو الشيخ عبد العزيز العسكر في كتابه (من أعلامنا) حيث قال في موضعين من كتابه :

" قدم الشيخ الطائف – أي العفيفي – عام 1368هـ بلباسه الأزهري، ومعه والده الذي قام ببره وخدمته حتى وفاته ، وبقي عبد الرزاق في دار التوحيد سنتين ، ثم فتح المعهد العلمي في الرياض عام 1370هـ (كذا) فنقل إليه ، ودرس فيه ، ثم نقل للتدريس في معهد عنيزة العلمي .

وفي عنيزة تتلمذ عليه تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، ومنهم : الشيخ محمد بن عثيمين ، والشيخ علي المحمد الزامل ، حمد المحمد البسام، والشيخ عبد الله النعيم ، وغيرهم ..

وصار له محبة ومودة كبيرة لدى المواطنين في عنيزة ، لما رأوا فيه من الصلاح والاستقامة ، وحسن العقيدة ، وسعة العلم .

ثم عاد إلى الرياض فدرّس في المعهد العلمي ، وفي كليتي الشريعة ، واللغة العربية ، وصار له عدد كبير من التلاميذ من هذا التدريس " . [1]

وقال في موضع آخر تحت عنوان (تلاميذه) أي العفيفي :

" كان لعمل شيخنا في التعليم فترة طويلة من حياته ، أثر في كثرة طلابه

---

(1) من أعلامنا (39/2) .

وتلاميذه ، ثم إن بعضاً منهم حافظوا على صلتهم به ، وأخذ العلم والفقه عنه إلى أن توفي – رحمه الله تعالى – .

ومن أشهر تلاميذه :

أصحاب الفضيلة : راشد بن خنين ، ومحمد بن عثيمين ، وعبد العزيز آل الشيخ ، ومحمد بن جبير ، وعبد الله البسام ، وصالح الفوزان ، وعبد الله بن منيع ، وصالح السدلان ، وعبد الله بن جبرين ، وعبد الله بن غديان ، وعبد الله التركي ..... " . (1)

يتبين من هذا النقل أن المترجم – أي شيخنا ابن عثيمين – معدود من تلاميذ شيخنا عبد الرزاق العفيفي ، أما في عنيزة فقد جزم به المؤلف ، ومن المستبعد أن يكون الشيخ عفيفي في عنيزة ، ويُدَرِّس فيها من المحرم لعام 1370هـ إلى شوال من العام نفسه ، وهو معروف بسعة علمه ، وتبحره ، ودعوته لمذهب السلف .

من المستبعد أن يسمع به شيخنا ابن عثيمين ولا يستفيد منه ، ولا يرغب في التتلمذ عليه ، وقد علم حرص شيخنا على الطلب والجد في التعلم .

أما في الرياض فإن الفترة التي درس فيها ابن عثيمين في المعهد العلمي ، أي من عام 1372هـ إلى 1373هـ نهايته .

كان الشيخ العفيفي موجوداً في المعهد العلمي ، ويدرس فيه مع كبار علماء ومشايخ المعهد .

ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ علي الرومي :

---

(1) من أعلامنا (41/2) .

" كان الشيخ – أي العفيفي – أول من باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام 1371هـ .

وله اطلاع واسع يرحمه الله في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ .. وبرغم كبر سنه فقد بقي في وعيه وذكائه وعلمه " . [1]

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ ابن عثيمين القدامى وهو الشيخ محمد العثمان القاضي ، عدّ في شيوخ ابن عثيمين فضيلةَ الشيخ عبد الرزاق العفيفي ، وهذه فائدة عزيزة ، والحمد لله على توفيقه . [2]

---

(1) مجلة التوحيد المصرية ، العدد الخامس ، للسنة الثالثة والعشرين .

(2) جريدة الرياض ، العدد 11896 .

2- فضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله تعالى .
المتوفي سنة 1377هـ .

من الذين تزامن وجودهم في المعهد العلمي في فترة دراسة شيخنا ابن عثيمين فيه ، فضيلة الشيخ المحدث الإفريقي كما أخبرني بذلك مشافهة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله تعالى ، حيث كان يدرس مادة الحديث بالمعهد، فيغلب على الظن عدُّه في شيوخه والله تعالى أعلم .

وقد قال شيخنا محدث الحجاز الشيخ عبد المحسن العباد عن تلك الفترة : " وأنا درست على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في الرياض في عام 1372هـ وعام 1373هـ في الحديث والمصطلح ، وكان مدرساً ناصحاً ، وعالماً كبيراً وموجهاً ، ومرشداً وقدوة في الخير رحمه الله تعالى " . [1]

ومن المشايخ الذين تتلمذ عليهم المترجم وكانوا يدرسون في المعهد في تلك الفترة ، كما أخبرني بذلك شيخنا البراك حفظه الله تعالى .

---

(1) رسالة الشيخ عمر بن محمد فلاته – رحمه الله – وكيف عرفته؟ للشيخ العباد حفظه الله تعالى.
وانظر : (علماء ومفكرون عرفتهم) للمجذوب (1/63-76) .

3- الشيخ محمد السرحان المصري الأزهري .
وكان يدرس علم البلاغة .
4- الشيخ عبد اللطيف السرحان المصري الأزهري .
وكان يدرس علم النحو . (1)
5- الشيخ عبد السلام السرحان الأزهري .
وكان يدرِّس علم الأدب .
6- الشيخ محمد المختار الشنقيطي شارح سنن النسائي ، - وليس هو محمد الأمين صاحب أضواء البيان - ، نزيل المدينة .

وقد أخبرني الشيخ ابن عثيمين نفسه أنه كان يدرس لهم في مادة التاريخ بالمعهد العلمي .

فهؤلاء أربعة عشر شيخاً للمترجم مابين عنيزة والرياض ، تتلمذ على بعضهم زمناً طويلاً وعلى آخرين أياماً يسيرة .

ولكن بقي سؤال : هل سمع ابن عثيمين من شيخ الجزيرة في وقته ؟ وعلامة عصره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؟ وقد كانت دروسه لا تكاد تتوقف في مسجد عمه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بحي دخنة بالرياض ، واستمر فيها قرابة نصف قرن ، من عام 1339هـ إلى 1380هـ إلى أن حبسه المرض .

---

(1) وانظر الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز صـ201 .

فهل تتلمذ شيخنا عليه ؟ وسمع منه ؟ ولازم حلقاته في فترة وجوده في المعهد العلمي بالرياض إلى أن تخرج ؟ .

مع كثرة بحثي وتنقيبي عن هذه الجزئية من حياة شيخنا ، وبحثي في ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم ، لم أجد ما يشير إلى تلمذة شيخنا عليه ، وقد ذكَر مؤلفا كتاب حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره ، وهما الشيخان : صالح الأطرم ، وعبد الله بن موسى العمار .

أقول : ذكرا (303) تلميذاً من تلاميذ الشيخ ابن إبراهيم ، ومنهم من يقارب شيخنا المترجم في السن أو يصغره ، ولم أجدهما ذكرا شيئاً عن تلمذة شيخنا ابن عثيمين لابن إبراهيم . رحم الله الجميع .

وهذا العدد هو أكبر عدد وقفت عليه حتى الآن .

ومع علمنا بحرص المترجم على الطلب ومكانة الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى ، فلعلنا نتلمس في ذلك بعض الأجوبة عن هذا السؤال .

منها :

1- أن عدم الذكر لا يدل على العدم .

2- قد يكون من ذكروا تلاميذ ابن إبراهيم اهتموا بمن لازموه ملازمة طويلة ، ومعروف أن تلاميذ الشيخ أكثر بكثير جدّاً من العدد المذكور .

3- قد يكون المترجم في فترة دراسته في المعهد مشغولاً بتحصيل دروس المعهد ومذاكرتها في خارج أوقات الدراسة – أعني الفترة المسائية خاصة – والعديد من الكتب التي تدرس في حلقة الشيخ نقلت للمعهد

كمناهج ثابتة ؛ حيث كان الشيخ ابن إبراهيم هو المشرف عليها ، والمتابع لسير المناهج فيها .

هذا ما بدا لي في الإجابة عن هذا السؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

ثم بعد كتابة ما سبق وقفت على نص يقوي ترجيح تلمذته على العلامة ابن إبراهيم رحمه الله تعالى .

حيث يقول أحد أقرانه وهو الشيخ محمد الصالح المنصور رحمه الله تعالى – وهو من علماء بريدة – فيما نقله الشيخ دبيان محمد الدبيان :

" لقد كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الوحيد الذي يصلي تحية المسجد في وقت النهي ، في مسجد ابن إبراهيم بحضوره ، وأثناء إلقاء الدرس ، خلافاً لابن إبراهيم الذي كان يذهب إلى عدم جواز صلاة ذوات الأسباب في أوقات النهي ، وقد اشتهر عن الشيخ ابن عثيمين أنه كان يفتي بالطلاق الثلاث على مذهب ابن تيمية في حياة ابن إبراهيم ، وقد كان ابن إبراهيم يفتي بهذه المسألة على المشهور في المذهب الحنبلي وأخذاً بالمعمول به منذ قيام الدولة السعودية الأولى ، وقد تضمنت فتاوى ابن إبراهيم ورسائله إنكاره على الشيخين ابن عثيمين وابن باز ؛ لقولهما بهذا القول ، وهما من تلاميذه ... " . [1]

---

(1) جريدة الوطن ، العدد 106 .

قلت : والشيخ محمد المنصور ، هو محمد بن صالح بن منصور المنصور من قبيلة شمر ، من مواليد بريدة سنة 1350هـ وقد كف بصره بسبب الجدري ، وهو في السنة الثامنة من عمره ، ولم =

وهذا الكلام من الشيخ المنصور رحمه الله تعالى لا يشترط أن يعني به فترة الدراسة بالمعهد العلمي بل الظاهر خلافه ، لأن ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يكن ليتكوّن له رأي يخالف به المفتي الأكبر وهو في سنٍّ مبكرة ؛ سواء في مسألة صلاة ذوات الأسباب في وقت النهي ، أو في الطلاق الثلاث .

ولكن الذي يهمنا من كلامه الصريح قوله (وهما من تلاميذه) ، فهذا يقوي جانب التلمذة . والله تعالى أعلم .

وبعد .. فقد ظل شيخنا المترجم في جنبات هذا المعهد المبارك الذي خرّج كبار العلماء لمدة سنتين ، عاملاً بنظام القفز الذي بيناه في أول هذا الفصل .

ومما نذكره هنا عن حياة الشيخ في المعهد ما أخبرني به شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك أن ابن عثيمين رحمه الله تعالى كان يجلس مع الطلاب الأكِفَّاء [غير المبصرين] ليساعدهم في استذكار دروسهم ويقرأ لهم ما يحتاجونه .

فلله دره من طالب علم كان في عون إخوانه فكان الله في عونه ، ورفع

= يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم ، وقد رحل للرياض في سن السادسة عشرة ، وطلب العلم على الشيخ ابن إبراهيم لمدة سبع سنوات ، وأكمل دراسته الجامعية ، وتخرج من كلية الشريعة ، وهو صاحب عبادة وعلم ، وله دروس في مسجده في : العقيدة والحديث والفقه واللغة والفرائض .

توفي رحمه الله تعالى في يوم السبت 1420/12/26هـ بمدينة بريدة .

(انظر مجلة شباب ، العدد 15) .

قدره . نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته .

واستمر الشيخ في الرياض حتى نهاية عام 1373هـ بعد أن انتهى من دراسة السنة الثالثة في المعهد العلمي .

وفي هذه السنة افتتح المعهد العلمي بعنيزة وكانت بداية الدراسة فيه في شهر ربيع الثاني عام 1373هـ [1] ، وكان المشرف عليه هو شيخه ، أعني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي والذي رفض أن يتقاضى أجراً على عمله هذا .

واحتاج المعهد في عنيزة إلى معلمين ، فاضطر الشيخ أن يرجع إلى مسقط رأسه ، لينتفع به أبناء بلده ، وتعيَّن مدرساً في المعهد سنة 1374هـ ، وأخذ السنة الرابعة من المعهد بالانتساب ، ثم انتسب لكلية الشريعة حتى أتمها .

كل ذلك وهو يدرس في معهد عنيزة العلمي .

وهذه المسألة لم يحررها الكثير ممن كتب في ترجمة الشيخ .

واستمع إلى الشيخ نفسه وهو يروي مسيرته في المعهد والكلية ، مؤرخة بالسنين في اللقاء الذي نشر في مجلة الدعوة العدد 1776 .

قال رحمه الله تعالى :

" أتممنا دراسة المعهد لأننا بدأنا من السنة الثانية ، وفي ذلك الوقت كان نظام القفز معمولاً به ، أي أن الطالب يدرس في الفترة الصيفية دروس السنة المستقبلة ، ثم يمتحن فيها في الدور الثاني ، ويرتقي للسنة الثالثة .

---

(1) فقه ابن سعدي (25/1) .

فأنا قفزت، يعني: قرأت ثانية ، وتخرجت منها طبيعياً ، ثم قفزت وأدركت الثالثة ، ثم أخذت الرابعة في سنة 74هـ بالانتساب ؛ لأن المعهد العلمي كان قد فتح ، وكان يحتاج لمدرسين ، فرجعت في العام 74هـ إلى عنيزة ، وبدأت التدريس في معهد عنيزة من عام 1374هـ ، وأخذت السنة الرابعة بعد ذلك بالانتساب ، وبقيت منتسباً حتى أتممت – ولله الحمد – كلية الشريعة .. " أ هـ .

– ولكن مع هذا فقد بقي إشكال آخر : هل انتظم الشيخ في الدراسة في كلية الشريعة ؟ وهل ترك عمله في المعهد للدراسة في الكلية ؟ ثم رجع إلى المعهد مرة أخرى ؟ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في أول حديث صحفي معه بمجلة اليمامة العدد 953 لسنة 1407هـ :

" بعد أن تخرجت التحقت بكلية الشريعة ، ودرست فيها أول سنة ، ثم فتح المعهد العلمي في عنيزة ، وبعد مضي سنة من افتتاحه صرت أدرس في المعهد ، ومنتسباً في الكلية .. " .

وعلّق مجرى الحوار وهو فهد راشد العبد الكريم بعد انتهاء الحوار بعنوان كتب تحته : لقطات : " خلال السنة الدراسية الأولى التي قضاها منتظماً بكلية الشريعة بالرياض درس على سماحة الشيخ ابن باز في أول صحيح البخاري .. " أ هـ بحروفه .

فيظهر من هذا النقل أن الشيخ رحمه الله تعالى درس في كلية الشريعة منتظماً لمدة سنة ، ثم أتم باقي السنوات بالانتساب .

ومن النقل السابق يظهر أنه درسها انتساباً لحاجة المعهد في عنيزة إلى معلمين .

فهذا موضع يحتاج إلى تحرير ، وسؤال لقرناء الشيخ في الدراسة ، وبالطبع فقد كان الشيخ يتردد على الكلية بين الحين والآخر بصفته منتسباً .

يقول الشيخ عبد العزيز المسند : " فالرجل – رحمه الله تعالى – أعرفه عن كثب ، لأنه عندما كان منتسباً للكلية كنت مديراً لها ، وكان يأتي لماماً إلى الرياض ليأخذ بعض الدروس ، ويقابل بعض الأساتذة بالكليات ، فقد كان لديه استعداد جيد ، ونشر العلم ، فهذا من حسن حظه " .[1] أ هـ

وعلى كل فقد أتم الشيخ كلية الشريعة عام 1377هـ ، وتخرج في دفعتها الثانية وعمره حوالي ثلاثين عاماً ، وإذا ثبت أن الشيخ درس منتظماً في كلية الشريعة فإنه سيكون قد استفاد وتأثر بكبار العلماء الذين انتدبوا للتدريس في هذه الكلية ، والتي افتتحت سنة 1373هـ .

ومنهم مشايخه الكبار الذين درس عليهم في المعهد وغيرهم ..

وستختلف عدة مشايخه ويضاف إليهم آخرون. والله تعالى أعلم بالصواب .

وبرجوع الشيخ إلى عنيزة العامرة بحلق العلم لشيخه العلامة السعدي رحمه الله تعالى ، استمر الشيخ في ملازمة شيخه .

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

وبهذا أصبح الشيخ متعلماً معلماً، وآخذاً معطياً، وطالباً ومطلوباً .

وهذه صفة العلماء الربانيين .

μ μ μ

فصل
ابن عثيمين في المعهد العلمي
في عنيزة معلماً
(صور ومواقف)

هذا الفصل قدمته هنا لمناسبته الزمنية للمراحل السابقة ، مع أن حقه يؤخر في الباب الثاني الخاص بعطاء الشيخ وبثه للعلم وصفاته وأخلاقه .

فمنذ سنوات قليلة كان ابن عثيمين طالباً يتربع على مقاعد الدراسة في معهد الرياض العلمي ، والآن وبعد أن تأهل وفاق أقرانه اختير ليبذل ما عنده من العلم والفقه مما وعاه صدره عن أهل العلم الكبار طوال رحلته المباركة .

وليتشرف طلاب المعهد في عنيزة للجلوس في مقاعد الدراسة بين يديه ، وليشاركهم في أنشطتهم المتنوعة ، بل وليشارك إدارة المعهد في وضع المناهج التي تناسب هذه المرحلة .

ومما وضعه الشيخ من المناهج للمعهد العلمي – بعد ذلك – مقرر أصول الفقه ؛ حيث ألف كتابه : (الأصول من علم الأصول) ، قال الشيخ في مقدمته : " أما بعد .. فهذه رسالة مختصرة في أصول الفقه ، كتبناها وفق المنهج المقرر للسنة الخامسة الثانوية في المعاهد العلمية .. " .

وكذلك كتب مقرر المصطلح في كتابه : (مصطلح الحديث) حيث قال في آخر المقدمة : " وقد وضعنا فيه كتاباً وسطاً يشتمل على المهم من هذا

الفن حسب المنهج المقرر للسنتين الأولى والثانية من القسم الثانوي في المعاهد العلمية . وسميناه (مصطلح الحديث) .

وقال في آخر الكتاب مؤرخاً له : " وإلى هنا انتهى القسم الثاني من كتاب (مصطلح الحديث) ويحتوي على مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية ، وبه تم الكتاب على يد مؤلفه : محمد صالح العثيمين في يوم الخميس الموافق للسادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة 1396هـ، ست وتسعين و ثلاثمائة وألف .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان مدى الأوقات .. آمين . " أ هـ

ومن المواد التي درَّسها الشيخ في المعهد كتاب (زاد المستقنع) .

يقول تلميذه الشيخ دبيان بن محمد الدبيان : " قد درس الشيخ زاد المستقنع فترة طويلة جداً في المعهد العلمي في عنيزة ، والذي كان يبتدأ تدريسه للطلاب من السنة الأولى متوسط ، وينتهي بالسنة الثانية ثانوي ، وكثيراً ما يبلغ الطلاب هذه المرحلة ويتجاوزونها قبل استكمال النصاب ، ولكن الشيخ ابن عثيمين كان ينهى تدريس الزاد للطلاب في سنة واحدة " . [1]

وسنستعرض لشيء من المواقف اليسيرة لشيخنا في المعهد بين طلابه في الأسطر التالية لعلها تكون تسلية للمعلمين الذين ينيرون السبيل لغيرهم ،

---

(1) جريدة الوطن ، العدد 106 .

ولا أقول يحترقون لينيروا لغيرهم في عصر لا يوقر فيه المعلم ولا يؤبه له ، بل يؤاخذ بالسيئة ، ولا يجازى بالحسنة . وإلى الله المشتكى .

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي إمام وخطيب جامع الصالحية بعنيزة ، واصفاً شيخه ابن عثيمين :

" كنت طالباً في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة ، فكان مثالاً للأب الحنون ، والمعلم المتفهم غير المنون ، والتربوي الواعي ، تجري من جنباته ينابيع العلم ، فكان مثالاً للسلف الصالح والعالم الرباني .

يتبسط مع المتعلم .

ولا يرهقه حتى يتألم .

كان مربياً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها .

أتَذَكَّـر :

أننا اتفقنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي ، أن نخرج برحلة برية ليوم كامل ، فطلبنا الشيخ أن يخرج معنا .

فوافق مبدياً تمام استعداده للخروج ورعاية هذه الرحلة .

فكان في هذه الرحلة العجيب والعجاب ، والأدب والآداب .

وانظر إلى هذه الرحلة ، والرعاية التربوية ، والتوجيهات الأبوية .

وانظر إلى هذا التقسيم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة ، والفائدة الجمة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النزهة .

ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات ، والتعليم ، والترتيب .

ابتدأنا بالسباق على الأقدام .

فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب .

فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه .

ثم تتابع السباق .

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر ، وهو السباحـة .

وكانت منطقة المتنزّه الزغيبية ، وفيها عيون جارية موضوع عليها براك على هيئة مسابح ، وفيها المياه الصافية .

فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة ، ويقول :

أيكم يأتي به ؟

فيتنافس الطلاب في ذلك .

فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير ، حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض .

ثُـمَّ :

انتقل بنا إلى برنامج آخر ، وهو : الرماية .

وقد أخرج فضيلته (بندقية أم حبة) أتى بها ليتمرن الطلاب عليها .

ثم اصطففنا للرماية ، ووضع غرضاً لإصابته حيث بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصيبه ، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة ، والرماية ، والمسابقة على الأقدام ، يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب ، لو أن

كثيراً من المربين اقتدوا بمثل هذه المناقب ؛ لحصلوا خيراً ولأفادوا كثيراً .. " أ هـ [1]

قلت : فانظر – رحمك الله – إلى المعلم عندما يكون جامعاً بين الفقه الشرعي وبين البصيرة بحاجة طلابه .

كيف استغل وقت تنزههم فيما ينفع ويعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم ؟

كيف وضع لهم برنامجاً موافقاً لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح في لهوهم وسباقهم .

وهذه لفتة هامة للذين يربون طلابهم على التمثيليات ، والمسارح والأناشيد والنكات ، وما يسمى بالكذبة البيضاء ، والمشاهد والمهرجانات ,وغيرها ..

مما لا يُخْرِجُ عالماً ولا داعية ولا مجاهداً ، ولن تحرر أراضي المسلمين المسلوبة شرقاً وغرباً بجماعة من المنشدين تقف على أبواب القدس فتنشد نشيداً حماسيّاً بأصوات جميلة فاتنة تشبه أصوات النساء .

ولن تحرر الشيشان بفرقة من الممثلين تقف على أبوابها ، فتمثل مشهداً لمحمد الفاتح أو لخالد بن الوليد .

لمـاذا ؟!!

لأننا لم نرب هؤلاء الشباب على ما تربى عليه الرعيل الأول حتى في لهوهم وتنزههم .

---

(1) جريدة الجزيرة ، العدد 10346 .

رمي .

سباحة .

عدو على الأقدام .

شحذ للعقول .

مباريات فقهية .

مسابقة في أصل الدين – في العقيدة – في معنى كلمة التوحيد – في شروطها وأركانها .

مسابقة في حفظ القرآن – سورة – آيات .

مسابقة في حفظ السنة – أحاديث مختارة .

مسابقة في سمت الرعيل الأول في جهادهم – في دعوتهم .

رحم الله الشيخ وأعلى درجته في عليين ، كم كان نافذ البصيرة ، فقيه القلب والعقل ، نصَح لطلابه وأعذر إليهم ، وسلك بهم سبل الهدى .

اللهم فاجزه عنا خير الجزاء .

وليت المعتنين بالدراسات والأبحاث التربوية يعكفون على دراسة فترة وجود الشيخ في المعهد ، ويجمعون من سجلات المعهد وملفاته ، ومن الطلاب القدامى ما يقدم صورة واضحة مشرقة تمهد السبيل لخطط في الأنشطة التربوية لتلك المرحلة والله الموفق .

π π π

فصل

وفاة علامة القصيم
وتعيين شيخنا ابن عثيمين خلفاً له
في الإمامة والتدريس

لم تمض سوى سنتين وأشهر بعد رجوع شيخنا إلى عنيزة ، وتدريسه في معهدها ، ولزومه لشيخه السعدي ؛ إلا وقد أصابت عنيزة مصيبة المصائب ، وكارثة الكوارث ، فقد انهدم لواؤها ، وثلمت فيها ثلمة ، وأظلم نهارها .

ففي يوم 1376/6/23هـ نادى مناديها بوفاة عالمها ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي أضاءت به ، وعمرت بدروسه ، وسعدت بحلقاته ، وامتلأت بطلابه .

وقد كان السعدي أصيب عام 1372هـ بمرض ضغط الدم ، وتصلب الشرايين ، فكان يعتريه مرة بعد مرة وهو صابر محتسب .

وفي ليلة الأربعاء 22 من شهر جمادى الآخرة لسنة 1376هـ ، وبعد فراغه من الدرس اليومي المعتاد ، وبعد فراغه من صلاة العشاء ، (وكانت آخر صلاة صلاها في الجامع إماماً ، وقد قرأ في الركعة الأولى: [والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ] ، وفي الثانية : [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ]). [1]

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1778 .

أحَسَّ بثقل وضعف في الحركة ، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسكه ويذهب معه إلى البيت ، ففعل ، ولم يصل إلى البيت إلاّ وقد أغمي عليه ، ثم أفاق بعد ذلك ، فحمد الله وأثنى عليه وتكلم مع أهله والحاضرين بكلامٍ حسن طيب ، ثم عاوده الإغماء مرة أخرى ، فلم يتكلم بعد ذلك .

فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب ، فقرر أن معه نزيفاً في المخ ، فأبرقوا لابنه وللملك فيصل – رحمه الله تعالى – لما كان وليّاً للعهد ، فأصدر أمره الكريم عاجلاً بكل ما يلزم ، فقامت طائرة خاصة وفيها طبيب مخ ، ومهرة من الأطباء والعلاجات إلى مدينة عنيزة ، وكان فيها ابنه عبد الله ولكن الجو كان ملبداً بالغيوم والرعد والبرق والعواصف الشديدة وفيها أمطار قد تتابعت أكثر من شهر ، تهدمت منها البيوت ، ونزلت أخشاب سطوح المساجد ، فلم يساعد الجو على هبوط الطائرة ، ورجعت من حيث أتت ، ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط ، فتلقت مكالمة وهي في الجو بوفاته فرجعت من حيث أتت ، وقد توفي رحمه الله تعالى قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق 23 جمادى الآخرة سنة 1376هـ عن تسع وستين سنة ، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير في حشد كبير لم يشهد له مثيل .

ولقد تأثر الناس بوفاته وفقدت عنيزة أغلى وأعز رجالها .

يقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين (247/1) :

" ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعلي ، وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما علم بوفاته قال :

مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة ، فانصدع ومات في 12 من رجب بعد وفاة شيخنا السعدي بتسعة عشر يوماً ، وكان من خواصه " . (1)

المَوتُ أفْنَاهُمْ واسْتَبْقَاكَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَمَا أَقْرَبَ القَاصِي مِنَ الدَّانِي

وبوفاة هذا العلم النحرير انثلمت ثلمة عظيمة وأحس أهل عنيزة وطلابها بفراغ هائل ، كان لابد من القرار السريع لسده ، والبحث عمن يقوم مقام هذا العالم الفذ ، وأولى من يسد هذه الثغرة هم تلامذته ، وخواصه ، وأخصهم في ذلك هو التلميذ النجيب المحبب إلى السعدي ؛ والذي حظِي بعنايةٍ خاصة ، ألا وهو شيخنا ابن عثيمين ، لذا رأى أولياء الأمر في عنيزة المسارعة بتعيينه خلفاً لشيخه .

وفي ذلك يقول شيخنا ابن عثيمين :

" لما توفي شيخنا السعدي عام 1376هـ كان شيخنا الأول محمد بن عبد العزيز المطوع قاضياً في عنيزة ، فرأى هو وأميرها في ذلك الوقت خالد بن عبد العزيز السليم أن أكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة التي كان شيخنا يدرس فيها ، فوافقت على ذلك " . (2)

وكانت أول صلاة فريضة صلاها الشيخ في الجامع إماماً ، يوم الأحد

---

(1) اتحاف النبلاء ، للزهراني (70/1) .

(2) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض .

1376/6/26هـ صلاة الظهر .

وأول جمعة صلاها في يوم الجمعة 1376/7/2هـ .

وبعد هذا التاريخ بنحو سنة أتم الشيخ كلية الشريعة انتساباً أي عام 1377هـ .

واستأنف الشيخ عطاءه بين الجامع الكبير بحلقه وخطبه والمعهد ، ثم الكلية بفصولها وقاعاتها ، ومناهجها .

وبهذا يكون الباب الأول من هذا الكتاب قد أوشك على التمام .

وفيه إتمام البناء العلمي للشيخ ، والإعداد التربوي للمرحلة القادمة ، والتي سيستمر فيها الشيخ حتى الوفاة .

ألا وهي مرحلة البذل والعطاء والتعليم والدعوة .

وهي مادة الباب الثاني .

وقبل أن ننتقل من هنا لا بد من إلقاء النظر حول أهم أسباب النجاح ، وحصول المراد للشيخ في طلب العلم بعد توفيق الله تعالى .

وإذا أحببنا أن نتلمسها سنجدها – والله أعلم – تتلخص في النقاط الآتية :

1- رغبة ابن عثيمين الجازمة في الطلب ، وتوفر النية الصادقة ، والهمة العالية .

2- حث الأسرة له على سلوك سبيل العلم .

وفي هذين يقول الشيخ جواباً على سؤال هذا نصه :

س : اندفاعك نحو العلم وتلقيه ودراسته على أيدي المشائخ ، هل كان بتوجيه من الوالد والأسرة .. أم كان بدافع ذاتي محض ؟

ج : كان بتوجيه من الوالد ، وعندي رغبة نحو هذا الشيء . [1]

3- عدم وجود العوائق الدنيوية أو الاجتماعية .

وهذا عامل مهم في حياة الطالب فكم صرفت العوائق والعوارض الكثير والكثير من طلاب العلم الذين لديهم الكفاءة والذكاء والقدرة .

وقد كاد يحصل للشيخ شيء من هذا ، ولكن الله يسر وأعان على تلافي هذه العوارض وذلك في موضعين سبق ذكرهما حين عمل الشيخ في فلاحة الوادي ، وترك دروس ابن سعدي ، وحين أراد والده أن يذهب معه إلى الرياض ، فقال له ابن سعدي : " إن هذا لايمكن . نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد " . [2]

4- وجود شيخ مربٍّ وحنون ، رعى تلميذه ، وحرص عليه ، وتلطف في تعليمه العلم بالتدرج ، فبدأ معه بصغار العلم قبل كباره .

حيث وكَّل به ابن سعدي أحد تلاميذه الكبار وهو الشيخ المطوع حتى تأهل لحلقات علامة القصيم .

5- تتلمذه وسماعه من كبار العلماء الراسخين في العلم في عصره ممن تتلمذ عليهم ، واسْتِفادتِه من كبار علماء عصره ممن لم يلقهم فيما نعلم .

فقد اجتمع في عصر الشيخ كبار علماء الدنيا ، من أمثال : السعدي ،

---

(1) مجلة اليمامة ، العدد 953 ، لقاء صحفي مع الشيخ .

(2) المصدر السابق .

وابن إبراهيم ، والشنقيطي ، وابن باز ، والعفيفي ، ثم بعد ذلك الألباني في المدينة المنورة .

فهؤلاء جبال الدنيا في التوحيد والفقه والحديث وعلوم الآلة ممن كان لهم الدور البارز في توجيه المسيرة العلمية والدعوية بعد ذلك في العالم أجمع .

فقد استفاد الشيخ كما سبق ممن التقى بهم ، ونظر في كتابات وأبحاث من لم يجلس إليهم كالشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله تعالى – .

6- اهتمام الشيخ بالتأسيس في البناء العلمي .

فها هو يبدأ بحفظ القرآن ويتمه ، ثم يضبط عدداً من المتون الفقهية والحديثية كـ (الزاد ، والبلوغ) .

وله محفوظات في العربية ، من أمثال : الأجرومية ، والألفية ، يستحضرها سريعاً ، ويلزم طلابه بحفظها .

وقد قال الشيخ : " قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا " .

7- أخذه العلم من نبعه الصافي الذي لم تكدره الدلاء .

فشيخه السعدي يدرس التفسير على الطريقة السلفية الصحيحة ، فلا صوفية ، ولا إسرائيليات ، ولا أقوال ساقطة متهالكة ، بل استنباط موفق وتفسير مسدد .

وكذا شيخه الشنقيطي فتفسيره للقرآن بالقرآن ثم بالسنة ، ثم شيخه في الحديث ابن باز ، فمن صحيح البخاري إلى مسلم ، فالسنن ، وقراءات لرسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذا بقية دروسه .

رحمة الله على الجميع .

8- حرصه الشديد على وقته ، فقد حَصّل في الزمن اليسير ما يحصله كبار الطلاب في الزمن الطويل ، وسيرته شاهده بذلك .

9- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى ، وخاصة طريقة الاستدلال والاستنباط والتعليل ، وربط الأحكام بأدلتها ، وتنويع الأدلة .

وقد قال عن ذلك :

" الإنسان يقرأ ويتأثر ، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر ، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فإن له تأثيراً قويّاً بالنسبة لقوة الحجة ، والاقناع ، والدفاع .

ولذا أنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي ؛ أن يقرأ في كتب هذا الإمام ؛ لأنه حقّاً إمام – جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً – وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم : أسلوبه وإقناعه يأخذان بألباب قارئيه ، لكني أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم ؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي .

كذا تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب (الفروع) في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ؛ لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة .

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا ، لأنه جيد في عرض المسائل ، وإن كان عليه بعض الأخطاء ، وجل من لا يخطئ فهو على كل

حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل ، وما أشبه ذلك . " إ هـ [1]

10- جمع الشيخ همه على العلم وتحصيله ، والاكتفاء من الدنيا بما يسد حاجته ، وعدم توزيع الأوقات في ملاحقة حطامها الفاني ، وإشباع الرغبات التي لا تنتهي .

وهذه خصلة تحلى بها عدد من مشايخه منهم العلامة الشنقيطي الذي كان لا يعرف فئات العملة الورقية ، وهو الذي كان يتمثل بأبيات الأديب محمد ابن حنبل الشنقيطي :

لاَ تُسِئ بِالعلْمِ ظَنّاً يَا فَتى ... إنَّ سُوءَ الظَّنّ بالعلْمِ عَطَب
لاَ يزهدكَ أَخِي في العِلمِ أَن ... غَمَرَ الجهالُ أَرْبَابَ الأَدَب
إِن تَر العَالِمِ نَضواً مُرْمَلاً ... صفرَ كَفٍّ لَمْ يساعِدْه سَبب
وتَر الجَاهِلَ قَدْ حَاز الغِنى ... محْرَزَ المأْمُولِ منْ كُلِّ أَرَب
قَدْ تجُوع الأسْدُ في آجامِهَا ... والذئَابُ الغُبْسُ تَعْتَام القتَب [2]

μ μ μ

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

(2) إتحاف النبلاء بسير العلماء (136/1) .

الباب الثاني
(بذله وعطاؤه)
وفيه فصلان :

الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

الفصل الثاني : سبل دعوته وتعليمه ، وجهوده في نشر العلم

الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

1 – عقيدته :

المتتبع لحياة الشيخ العلمية والعملية ، يجد أنه يعتقد اعتقاد السلف الصالح ؛ أهل السنة والجماعة ؛ في أصول الدين جملةً وتفصيلاً .

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى عقيدته السلفية في تآليفه وشروحه ودروسه ومحاضراته وخطبه وفتاواه .

وقد عاش يدعو إلى هذه العقيدة المباركة حتى آخر أيام عمره ، في دروسه التي كان يلقيها في المسجد الحرام من غرفته ، وهو على سرير المرض .

ومن المناسب هنا أن أذكر نبذة من عقيدة الشيخ التي كتبها بنفسه ، وسماها : " عقيدة أهل السنة والجماعة " .

وسأختصر ذكر الأدلة فيها ، ومن شاء المزيد فليراجع الأصل .

قال رحمه الله تعالى :

عقيدتنا

عقيدتنا : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

فنؤمن بربوبية الله تعالى ؛ أي : بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور .

ونؤمن بألوهية الله تعالى ؛ أي : بأنه الإله الحق ، وكل معبود سواه باطل .

ونؤمن بأسمائه وصفاته ؛ أي : بأنه له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا .

ونؤمن بوحدانيته في ذلك : أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ، ولا في ألوهيته ، ولا في أسمائه وصفاته .

قال الله تعالى : [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] . [مريم : 65] .

ونؤمن بأنه : [اللهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ] . [البقرة : 255] .

ونؤمن بأنه : [هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ (22) هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (24)] . [الحشر 22-24] .

ونؤمن بأنه : [لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لَمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)] . [الشورى : 49-50] .

ونؤمن بأنه : [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)] . [الشورى 11-12] .

ونؤمن بأنه : [مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِين] . [هود : 6] .

ونؤمن بأنه : [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُو وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِين] . [الأنعام : 59] .

ونؤمن بأن الله : [عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] . [لقمان : 34] .

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء ، متى شَاء ، كيف شاء : [وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً] . [النساء : 164].[وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ]. [الأعراف : 143] . [وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً] . [مريم : 52] .

ونؤمن بأنه : [لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي] . [الكهف : 109] . ، [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ

وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] . [لقمان : 27] .

ونؤمن بأن كلماته الله أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام ، وحسناً في الحديث ، قال الله تعالى : [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً] . [الأنعام : 115] . وقال : [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً] . [النِّساء : 87] .

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقّاً ، وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل على قلب النبي ρ ، [قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِّكَ بالحَقِّ لِيُثَبِّت الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَىً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] . [النحل : 102 – 103] .

ونؤمن بأن الله عز وجل عليٌّ على خلقه بذاته وصفاته ؛ لقوله تعالى : [وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ] . [البقرة : 255] . وقوله تعالى : [وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ] . [الأنعام : 18] .

ونؤمن بأنه : [خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ] . [يونس : 3] .

واستواؤه على العرش : علوه عليه بذاته علواً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو .

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه ، وهو على عرشه ، يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ، ويرى أفعالهم ، ويدبر أمورهم .

يرزق الفقير ، ويجبر الكسير ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة ، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] . [الشورى : 11] .

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم : إنه مع خلقه في الأرض .

ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال ؛ لأنه وصف الله بما لا يليق من النقائض .

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ρ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول :

" من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له " .

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد ؛ لقوله تعالى : [كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفًّا(22)وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى] . [الفجر : 21-23] .

ونؤمن بأنه تعالى : [فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] . [البروج : 16] .

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان :

كونية : يقع بها مراده ، ولا يلزم أن يكون محبوباً له ، وهي التي بمعنى المشيئة ، كقوله تعالى : [وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا

يُرِيدُ] . [البقرة : 253] . ، [إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] . [هود : 34] .

وشرعية : لا يلزم بها وقوع المراد ، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له ، كقوله تعالى : [وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] . [النساء : 27] .

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته ، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة ، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك : [أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ] . [التين : 8] . ، [وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] . [المائدة : 50] .

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه ، وهم يحبونه .....

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها .

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .....

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم .....

ونؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام : [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ] . [الرحمن : 27] .

ونؤمن بأن لله تعالى يدين كريمتين عظيمتين : [بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ] [المائدة : 64] ، ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين ، لقوله تعالى : [وَاصْنَعْ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا] . [هود : 37] .

وقال : [ρ] " ما انتهى إليه بصره من خلقه " .

ونؤمن بأن الله تعالى : [لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ] . [الأنعام : 103] .

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة : [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] . [القيامة : 22-23] .

ونؤمن بأنه : [لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ] . [البقرة : 255] . لكمال حياته وقيوميته .

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً ؛ لكمال عدله .

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده ؛ لكمال رقابته وإحاطته .

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض ؛ لكمال علمه وقدرته : [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] .[يس : 82].

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء ؛ لكمال قوته : [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] . [ق : 38] .

أي من تعب ولا إعياء .

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ρ من الأسماء والصفات .

لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين ، هما : التمثيل ؛ أن يقول بقلبه أو لسانه : صفات الله تعالى كصفات المخلوقين .

والتكييف ؛ أن يقول بقلبه أو لسانه كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا .

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ρ ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده ، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله .

ونرى أنّ السير على هذا الطريق فرض لابد منه ؛ وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه ، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثاً ، والعباد لا يحيطون به علماً .

وما أثبته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبر أخبر به عنه ، وهو أعلم الناس بربه ، وأنصح الخلق ، وأصدقهم ، وأفصحهم .

ففي كلام الله تعالى ورسوله ρ كمال العلم والصدق والبيان ، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله .

فصل

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً ، إثباتاً أو نفياً ، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون ، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون ..... " .

إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى من هذه العقيدة المباركة من بقية أمور الاعتقاد .

وإنني أقترح أن تشرح هذه العقيدة المباركة شرحاً موسعاً ، وتُدَرَّس في حلق العلم لطلاب العلم ، وتدرس كذلك في المعاهد والكليات والجامعات ، كما تدرس الواسطية والطحاوية .

ونقول كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما ألف الموطأ وقيل له في ذلك ، فقال : " ما كان لله أبقى " . وقد كان ما تفرسه رحمه الله تعالى . وقد كتب الشيخ هذه العقيدة المباركة ، وكذا كتابه الفذّ : (القواعد المثلى) في حدود سنة 1404هـ – 1405هـ ، بعدما تكلم بعض الناس على ما

ذكره في أحد المجالس من تقرير أن معية الله معية حقيقية ذاتية تليق به ، فرموه بما لم يقله ، وتوهموا ما لم يرده ، فكان من حكمة الشيخ وتواضعه للحق أن ترك هذه الكلمة (ذاتية) لدرء هذه الفتنة .

وأنقل للقارئ هنا ما كتبه الشيخ وسجَّله بقلمه حول هذا الموضوع حيث قال في كتابه : " القواعد المثلى " . [1]

" تنبيه ثالث "

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ، ذكرت فيها :

أن عقيدتنا لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به ، وتقتضي إحاطته بكل شيء ، علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً ، وأنه سبحانه منزَّه أن يكون مختلطاً بالخلق ، أو حالاً في أمكنتهم ، بل هو العلي بذاته وصفاته .

وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها .

وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله .

وأن ذلك لا ينافي معيَّتَه ؛ لأنه تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] .

وأردت بقولي (ذاتية) توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى .

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض ، كيف ! وقد قلت في نفس هذه الكتابة – كما ترى – إنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق ، أوحالاً في أمكنتهم ، وأنه العليُّ بذاته وصفاته ، وأن علوه من صفاته (الذاتية) التي لا ينفك عنها .

وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد : " ونرى أن من زعم أن الله

---

(1) صـ63. ، ط دار عالم الكتب ، سنة 1408هـ .

بذاته في كل مكان ، فهو كافر أو ضال إن اعتقده ، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها " إ هـ .

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدَّره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض .

وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالس جرى فيه ذكره .

وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة ، التي تصدر في الرياض ، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404هـ برقم 911 ، قررتُ فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن معية الله لخلقه حق على حقيقتها ، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق ؛ فضلاً عن أن يستلزمه ، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية) ، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى ، وحقيقة المعية .

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض ، أو اختلاطه بمخلوقاته ، أو نفي علوه ، أو نفي استوائه على عرشه ، أو غير ذلك .

مما لا يليق به تعالى ، فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان ، وبأي لفظ كانت .

وكل كلام يوهم – ولو عند بعض الناس – مالا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلاَّ يظن بالله تعالى ظن السوء .

لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ρ ؛ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل . إ هـ . [1]

وقد ذكر الشيخ في آخر الكتاب نص المقال المنشور في مجلة الدعوة السعودية بتاريخ 1404/1/4هـ ، وعليه تحرير الشيخ له بتاريخ 1403/11/27هـ .

وقد نبه الشيخ في آخر كتابه على المسألة العظيمة التي يحتاج التذكير بها كل عالم ، وكل طالب علم .

ألا وهي الرجوع إلى الحق متى تبين له ، فقال :

" فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ρ فيجعلهما إماماً له ، يستضيء بنورهما ، ويسير على منهاجهما ، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله به تعالى في قوله : [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ] . وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين ؛ فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة ، فيجعل الكتاب والسنة تا بعين لا متبوعين ، وما سواهما إماماً لا تابعاً .

وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى ، لا أتباع الهدى .

---

(1) من صـ63 ، إلى صـ64 .

وقد ذمَّ الله هذه الطريق في قوله : [وَلَو اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ] .

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب والعجاب ، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق ، والاستعاذة من الضلال والانحراف .

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه ، وافتقاره هو إلى ربه ، فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله .

يقول الله تعالى : [وَإِذَا سأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] إ هـ .

وهذا الكتاب أي القواعد المثلى أثنى عليه شيخ المترجم العلامة ابن باز ، – رحم الله الجميع – ثناءً عاطراً ؛ حيث قال :

" فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

وسمعته من أوله إلى آخره ، فألفيته كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته ، كما اشتمل على قواعد عظيمة ، وفوائد جمة ، في باب الأسماء والصفات .... إلى أن قال : فجزاه الله خيراً

وضاعف مثوبته ، وزادنا وإياه علماً وهدىً وتوفيقاً ، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه " إ هـ .

أملاه في 5/11/ 1404هـ

هذا وقد أطلت هنا لأمرين :

أولاً : التسجيل التاريخي لرجوع الشيخ وإثباته للصواب الذي لا إشكال فيه ؛ حتى لا يأت متقول في زمن من الأزمان يفتري على الشيخ ، وكم في التاريخ من عبرة وعظة .

ثانياً : لتذكرة أولي النهى من العلماء وطلاب العلم بأهمية التجرد من الهوى ، ووجوب الرجوع إلى الحق مهما كان قدر القائل ، أو قدر المقالة .

حتى إن الشيخ ابن باز وابن عثيمين قرظا كتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى في رده على المترجم .

وهذا أنموذج في التواضع والخلق الرفيع ، ينبغي أن يقتدي به ، ويحذو طلاب العلم حذوه . رحم الله الجميع وأسكنهم الفردوس الأعلى .

وهذه العقيدة التي أسلفنا نبذاً منها ظل الشيخ طيلة حياته يدعو إليها بلسانه وببنانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه ، ومن خلال هاتفه ، و في الشارع والجامع ، والمعهد والجامعة ، في مجالسه الخاصة والعامة ، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي ، ويستفيد منه الطالب، مؤكداً على أهمية علم التوحيد وشرفه ، واستمع إليه وهو يقول :

" أما بعد .. فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً ، وأوجبها مطلباً ، لأنه العلم بالله تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، وحقوقه على عباده ، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه ، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه ، قال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعبُدُون] . وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية ، وشهد بها له ملائكته ، وأهل العلم ، قال الله تعالى : [شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ]

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً وتعليماً ، وتدبراً واعتقاداً ، ليبني دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم ، يسعد بثمراته ونتائجه . إ هـ .

وقد لهج الشيخ ببيان أهداف العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع ، بما يحقق السعادة للتمسك بها في الدَّارَين ، فقال رحمه الله تعالى :

" أهداف العقيدة الإسلامية :

مقاصدها وغايتها النبيلة المترتبة على التمسك بها ، وهي كثيرة متنوعة ، فمنها :

أولاً : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده ؛ لأنه الخالق لا شريك له ، فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده .

ثانياً : تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة ؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل

عقيدة ، وعابد للمادة الحسية فقط ، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات .

ثالثاً : الراحة النفسية والفكرية ، فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر ، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ، فيرضى به ربّاً مدبراً ، وحاكماً مشرعاً ، فيطمئن قلبه بقدَره ، وينشرح صدره للإسلام ، فلا يبغي عنه بديلاً .

رابعاً : سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى ، أو معاملة المخلوقين ؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لا تباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل .

خامساً : الحزم والجد في الأمور ، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلاّ ابتعد عنه خوفاً من العقاب؛ لأن من أسسه الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ] ، وقد حث النبي ρ على هذه الغاية في قوله : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ... " الحديث .

سادساً : تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك ، وفي هذا يقول الله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] .

سابعاً : الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات ، وفي ذلك يقول الله تعالى : [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] .

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية ، نرجو الله تعالى أن يحققها لنا ، ولجميع المسلمين " . (1)

وعن أثر العقيدة الصحيحة على صلاح الأمة ، يقول رحمه الله تعالى :

" وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق ، وتعامل الخلق بالعدل والصدق ، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها ، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها . أ هـ . " . (2)

وهذه الثمرات العقدية التي أشار إليها الشيخ رحمه الله قد ساهم في بيانها والتنبيه عليها في عدد من كتبه ؛ ليقربها لطلاب العلم والعمل ، وقد أكثر من ذكرها في شرحه على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، بما لم أجده له في مكان آخر من شروحه المطولة أو المختصرة ، فلا تكاد تجد آية أو آيات أو حديثاً أو أكثر إلا ويتبعه بقوله الفائدة المسلكية من هذه الآية أو هذا الحديث .

وهذه طريقة بديعة جداً في التعليم والتربية ، لم أجدها بهذه الكثرة لغيره .

ويا حبذا لو تكون درباً يسلكه أهل العلم في كتاباتهم ، ودروسهم وحلقاتهم ، إذاً لكان فيه فائدة عظيمة نحو تربية أجيال على ضوء الآثار العظيمة للكتاب والسنة .

---

(1) نبذة في العقيدة الإسلامية ص43. ط:مكتبة المعارف –الطبعة الثانية– سنة 1404هـ .
(2) نبذة في العقيدة الإسلامية،ص10. .

وسأذكر من شرحه على الواسطية مثالاً واحدً لفائدة مسلكية فيها سعادة العبد في الدراين .

يقول رحمه الله تعالى في مسألة الرؤية :

" أما في مسألة الرؤية ؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي ؛ لأن الإنسان إذا وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله تعالى كانت الدنيا كلها رخيصة عنده ؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز وجل ؛ لأنها غاية كل طالب ومنتهى المطالب .

فإذا علمت أنَّكَ سوف ترى ربك عياناً بالبصر ؛ فوالله لا تساوي الدنيا عندك شيئاً ، فكل الدنيا ليست بشيء ؛ لأن النظر إلى وجه الله تعالى هو الثمرة التي يتسابق فيها المتسابقون ، ويسعى إليها الساعون ، وهي غاية المرام مِنْ كل شيء ... " . (1)

وهذه العقيدة التي عقد عليها قلبه قد بذل الشيخ في تقريرها غاية وسعه، ولا أدل على ذلك من أن تنظر إلى كتب العقيدة التي اقترن اسمه بها شرحاً أو تعليقاً أو اختصاراً أو تقريباً ، وسأسرد هنا ما علمته من ذلك :

1- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح) .

2- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (شرح مطول) و (تعليق مختصر) .

3- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (اختصار) وهو أول

---

(1) شرح العقيدة الواسطية (1/458-459) ، ط : دار ابن الجوزي – ط : 3 .

مؤلف للشيخ كتبه سنة 1380هـ .

4- الرسالة التدمرية لابن تيمية (تقريب) .

5- لمعة الاعتقاد لابن قدامة (شرح وتعليق) .

6- الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح) .

7- الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح) .

8- نبذة في العقيدة الإسلامية (تأليف) .

9- عقيدة أهل السنة والجماعة (تأليف) .

10- القواعد المثلى (تأليف) .

11- العقيدة السفارينية (شرح مسجل) .

12- النونية لابن القيم (شرح مسجل) .

13- الميمية لابن القيم (شرح مسجل) .

14- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (تعليق مسجل)و(انتقاء).

15- القضاء والقدر (تأليف) .

16- كتاب التوحيد من صحيح البخاري (شرح مختصر مكتوب على الآلة) .

17- تفسير آية الكرسي .

18- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع (تأليف لطيف) .
19- العقيدة الطحاوية (شرح لطلاب الجامعة) .
20- كشف الشبهات (شرح) .
21- شرح أصول الإيمان .
22- فتاوى العقيدة التي جمعها غير واحد ، منهم الشيخ فهد السليمان ، وغير ذلك من الفتاوى العقدية في الإذاعة والحرم، وغيرها ..

وهذه الشروح والتآليف منها ما هو رسالة لطيفة ، ومنها ما هو عدة مجلدات .

وبنظرة أخرى إلى الأشرطة المسموعة التي شرح الشيخ فيها كتب العقيدة يتبين لك الزمن الطويل الذي استغرقه الشيخ في خدمة هذه العقيدة المباركة بحسب الجدول الوارد في تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة .

1- الفتوى الحموية الكبرى سنة 1405هـ .
2- كتاب التوحيد سنة 1407هـ .
3- القواعد المثلى سنة 1407هـ .
4- الرسالة التدمرية سنة 1407هـ .
5- العقيدة الواسطية سنة 1408هـ / و 1419هـ .
6- السفارينية سنة 1408هـ .
7- الميمية سنة 1408هـ .

8- النونية سنة 1412هـ .

9- عقيدة أهل السنة والجماعة سنة 1417هـ .

10- اقتضاء الصراط المستقيم سنة 1417هـ .

11- توحيد الأنبياء والمرسلين سنة 1419هـ .

12- كتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري سنة 1415هـ

ولا شك أن القدر الذي شرحه الشيخ أكثر بكثير من الذي قامت مؤسسة الاستقامة بتسجيله حيث كان الطلاب يسجلون – قبل ذلك – بطريقة اجتهادية ، كل يسجل لنفسه ، وقد يحتفظ بها ولا ينشرها عبر مؤسسة معينة .

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أول كتاب قرأته على شيخي رحمه الله تعالى هو فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، وكان في حدود سنة 1404هـ ، وكذا سمعت منه الواسطية في حدود هذا التاريخ القديم نسبياً ، ولعل من يلتمس هذا يجده . والله الموفق .

تعليق على طريقة الشيخ في اختصار الكتب وتقريبها :

الذي يظهر من اختصارات الشيخ أو تلخيصاته أن له طريقة متميزة في ذلك .

فحين يظن القارئ أنه سيجد تلخيصاً لكلام المؤلف يجمع له شتات عدة عناصر ، أو يقرب عدة أبحاث في عبارات موجزة مختصرة ؛ يجد في تقريب الشيخ أو تلخيصه أمراً آخراً ، فهو أقرب لشرح الحموية وترتيبها من كونه تلخيصاً .

ويكفي لبيان هذا أن الحموية الأصل فتوى وقعت في حوالي ثمانين صفحة تقريباً .

والناظر في تلخيص الشيخ يلاحظ فيه الآتي :

- أن هذه الفتوى مع صغر حجمها قسمت في التلخيص إلى ستة وعشرين باباً يتضمن بعضها عدة فصول .
- أن الشيخ في التلخيص صَدَّرها بتعريف عدد من المصطلحات التي ستكثر الحاجة إليها كالتكييف والتمثيل والتحريف والتشبيه في اللغة والاصطلاح بما لا يوجد في الأصل .
- حذف الشيخ في التلخيص كثيراً من النقول التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر رسالته للاستشهاد بها على صحة ما ذهب إليه في إثبات الصفات وخاصة في العلو .
- رد الشيخ على كثير من شبهات النفاة المعطلة في عدد من الصفات بطريقة تفصيلية تأصيلية مقسمة إلى عناصر وأوجه .
- نقل الشيخ إلى التلخيص عدداً من النقول عن شيخ الإسلام في بعض كتبه مستشهداً بها على ما يريد ، وهاك أمثلة على ذلك :

1- نَقْلُه من كتاب : (الرد على المنطقيين) صـ110. .

2- نَقْلُه من كتاب العقل والنقل في صـ103. .

3- نَقْلُه أيضاً من الكتاب نفسه قاعدة عند التعارض صـ77. .

4- نَقْلُه عن المؤلف من الرسالة العرشية صـ74. .

5- نقله عن ابن كثير صـ74. .

كما زين الشيخ تلخيصه ببعض الشواهد الشعرية بعضها متقدم قائله عن شيخ الإسلام ، وبعضه متأخر أو معاصر كما في نقله من النونية لابن القيم رحمه الله تعالى صـ90. قصة قتل خالد القسري للجعد بن درهم .

كل ما ذكرت هنا وغيره يؤيد أن تلخيص الشيخ للحموية إنما هو شرح لها ، وليس المراد منه التلخيص الذي هو الاختصار كما أسلفت .

ويقال في التدمرية ما قيل هنا .

وإنما أسهبت في هذا الموضوع ؛ لأن هذا قد يكون لبنة لدراسة منهج الشيخ ابن عثيمين العلمي في الكتابة ، والتأليف ، ومن ذلك الاختصار والتلخيص ، ولعله يأتي مستقبلاً مَنْ يقوم بهذا العمل . والله الموفق .

منهج الشيخ في تقرير العقيدة ونشرها وتعليمها :

قد كان للشيخ – رحمه الله تعالى – منهج متميز في عقيدته علماً وعملاً ، دراسة وتدريساً .

فقد اتخذ نصوص الوحي وجهته ، وجعل سبيل السلف الصالح دربه ومسلكه .

فينظر ما جاء به النص أو الإجماع ؛ فلا يحيد عنه مهما كلفه من تشنيع المشنعين ، أو توهين المعاندين .

ولا يزال يلهج بهذا المنهج دوماً .

واستمع إليه وهو يقول :

" ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها ، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل ، ونتبرأ من طريق المحرفين لها ، والذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ρ .

ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله ρ .

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف .

ونعلم علم اليقين أَنّ ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ρ ؛ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً ؛ لقوله تعالى : [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً] . [النساء : 82] " . (1)

واقرأ هذه الرسالة التي أرسلها إلى أحد المشايخ الفضلاء حول الحديث القدسي " من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " ويقرر الشيخ في الرسالة إثبات صفة الهرولة على الوجه اللائق بالله تعالى .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : " فيا محب تعلم أن هذا الحديث أخبر الله تعالى به عن نفسه ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ومبلغ رسالته على الوجه الأتم ، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة ، والتابعين وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه ، وتلقته الأمة بالقبول .

وتعلم يا محب : أن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره [واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ] ، [قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله] .

وتعلم يا محب أن الله تعالى لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائه

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة ص18-19. . ط : دار الإفتاء 1421هـ .

وصفاته ، وأفعاله وأحكامه إلا ليبين لهم الحق حتى لا يضلوا [يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] .

وتعلم يا محب :

أنه لا أحد أحسن من الله حديثاً ، ولا أصدق منه قيلاً ، وأن كلامه – جل وعلا – في أعلى غاية الفصاحة والبيان، وقد قال سبحانه عن نفسه : " من أتاني يمشي أتيته هرولة " .

فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله – تعالى – لنفسه بعد أن علمت ما سبق ، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولة ، فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة . وفي هذا ما فيه .....

ثم يقول : " وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة ، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه ، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص ، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام ، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء ... " .

ثم يقول :

" وإن الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقى الله عز وجل وهو يقول : (إن الله تعالى لا يأتي هرولة) بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه ، وسبحان من قال عن نفسه : [وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ] .

ولقد تأملت هذه المسألة ، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث ، وجدتني خائفاً من أقول في كلام الله عز وجل – ما لا أعلم – وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به من مماثلة الخلق ، ومع الكف عن تكييف صفاته، أسلم في عقيدتي ، وأبعد لي عن التكلف ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. " إهـ . [1]

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، لفهد السليمان (1/183- 188) .

- طريقته في الاستدلال :

أما طريقة الشيخ في الاستدلال لهذه العقيدة ؛ فقد كان يستدل على ذلك بالفطرة والعقل الصريح ، والنقل الصحيح والحسن ، والإجماع ، بحسب ما يقتضيه المقام .

وقد كان يحرص كثيراً على تنويع الأدلة ، ويقول : إن كثرة الأدلة وتنوعها مهم جداً لطالب العلم .

قال رحمه الله تعالى في الاستدلال على وجود الرب تعالى وتقدس :

" قد دل على وجوده تعالى الفطرة والعقل والشرع والحس " . (1)

وأخذ يفصل في كل واحدة . وقال أيضاً : " وأما علو الذات فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة .. "، ثم قال: "فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه .." . (2)

ومثل هذا قاله في شرح الواسطية . (3)

وكان رحمه الله تعالى لا يغفل أقوال أهل العلم في فهم الدليل ، ودائماً يقول : " أهل العلم يُسْتَدلُّ لهم ولا يُسْتَدل بهم " .

ولكن يوردها مسترشداً بها في فهم الدليل .

مثل قوله رحمه الله تعالى :

---

(1) نبذة في العقيدة الإسلامية صـ11 .

(2) فتح رب البرية بتلخيص الحموية صـ65-66 .

(3) شرح الواسطية (178/1) .

" والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً ، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً ، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة ، والاعتبار ، وأقوال أهل العلم " . [1]

وأيضاً يعْتَبِر الشيخ بمقتضى حكمة الرب تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

" وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم ؛ فهو مقتضى حكمة الله تعالى ، ولطفه ، ورأفته ، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه ... " . [2]

طول نفس الشيخ في ردوده :

وكما كان الشيخ رحمه الله تعالى قوياً في الاستدلال لعقيدة أهل السنة بكافة أنواع الاستدلال .

فإننا نجده كذلك يرد يرد على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة فينوع الأدلة ، ويفصل في الرد ، ويطيل النفس جداً في ذلك ؛ فيورد الشبهة

ويفصلها ثم يرد عليها من عدة أوجه ، ثم يورد اعتراض الخصم فيقول (فإن قيل كذا) فالجواب كذا .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتابه " تقريب التدمرية " حيث عقد فصلاً في القسم الثاني من المعطلة ، وقسمهم إلى أربع طوائف .

الطائفة الأولى : الأشاعرة والماتوريدية ممن أثبت بعضاً ونفى البعض ،

---

(1) شرح كشف الشبهات صـ46 ، ط : دار الثريا 1416هـ .

(2) المصدر السابق صـ41 .

فرد عليهم من خمسة أوجه .

ثم قال : فإن قالوا ما أثبتناه ؛ فقد دل العقل على ثبوته فلزم إثباته .

قلنا عن هذا ثلاثة أجوبة .. وذكرها .

ثم ذكر **الطائفة الثانية :** وهم المعتزلة ، وذكر شبهتهم ثم رد عليهم من تسعة أوجه .

ثم ذكر **الطائفة الثالثة :** وهم غلاة الجهمية ، والقرامطة ، والباطنية ؛ ممن لا يصفون الله إلا بالنفي المجرد عن الإثبات .

ورد عليهم من سبعة أوجه .

ثم ذكر **الطائفة الرابعة :** وهم غلاة الغلاة من الفلاسفة ، والجهمية ، والقرامطة ، والباطنية ، وغيرهم ..

ورد عليهم من ثلاثة أوجه ، ثم أورد لهم شبهة ورد عليهم من أربعة أوجه .

وفي رده على المحتجين بالقدر على مخالفة الشرع .

قال رحمه الله تعالى :

" فإن قال قائل : أفلا يصح على هذا التقرير أن يحتج بالقدر من خالف الشرع ؟

فالجواب : أن الاحتجاج بالقدر على مخالفة الشرع لا يصح كما دل على ذلك الكتاب والسنة والنظر .. " .

فذكر دليلين من القرآن وآخر من السنة وثلاثة أدلة من النظر الصحيح .

ثم أورد شبهة لهم وأجاب عنها ، ثم أورد شبهة أخرى ، ورد عليها من وجهين .

وفي شرحه للواسطية[1] ناقش المؤولين للاستواء على العرش بأنه الاستيلاء فذكر شبههم على هذا التحريف ، ورد عليهم من أربعة أوجه ، ألزمهم في الوجه الثالث بثلاثة لوازم باطلة على قولهم هذا ، وفي الوجه الرابع أجاب بأربعة أوجه استرسل في الوجه الرابع في ذكر سؤال يوجهه إليهم، ثم يجيب عنه بالتفصيل في مجمل كلامهم وإطلاقهم لفظ الجسم والحيز مما لم يرد في الشرع نفيه ولا إثباته .

ثم بعدما انتهى يلخص مجمل رده عليهم – رحمه الله تعالى وغفر له – .

فهو بهذه الطريقة المتينة يستدل بالأدلة العقلية والنقلية ، ويتدرج مع المخالف في استعراض شبهته ، والجواب عنها بما لا يدع بعد ذلك لقائل مقالاً ، ولا لصاحب شبهة مجالاً ، إلا أن يسلم ويستسلم .

وهذه طريقة مفيدة جداً لطالب العلم في مناقشة الشبه والجواب عنها .

وقد عُرف الشيخ بها في دروسه وكلماته ، وقد سلكها قبله شيخه ابن سعدي فيما ذكرنا من طريقته مع طلابه ، وكذا في بعض كتاباته ، كما مضى في أوّل الترجمة – رحمه الله تعالى – .

موقف الشيخ من القضايا العقدية المعاصرة ، وكيف واجهها .

لم يأل ابن عثيمين جهداً في مواجهة المخالفات العقدية المعاصرة على اختلاف أنواعها ، سواء كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة ، أو

---

(1) شرح الواسطية (1/375-381) .

من نتاج الحاضر ، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة ، ردّاً لها وتفنيداً لشبهاتها وشبهات أصحابها ، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع ونحوها ..

وقد بين الشيخ موقفه من الخلاف في المسائل العقدية .

فقال رحمه الله تعالى :

" وأما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون ، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من الناس ، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة – أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة – وإن كان بعض الخلاف فيها موجوداً في عهد الصحابة ؛ ولكن ليعلم إننا إذا قلنا قرن الصحابة ، ليس المعنى أنه لابد أن يموت كل الصحابة ، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إنَّ القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله) .

فالقرون المفضلة انقرضتْ ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم في العقائد ، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه يُرد عليه ، ولا يقبل خلافه " . (1)

---

(1) شرح الأصول الستة صـ156. ، مع شرح كشف الشبهات ، ط : دار الثريا ، ط : 2 .

وقال أيضاً :

" وأما الخطأ في العقيدة ؛ فإن كان خطأ مخالفاً لطريق السلف فهو ضلال بلا شك ، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة ، فإذا قامت عليه الحجة ؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعاً ، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق ، وإن كان سلفياً فيما سواه ، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق ، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق ، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف ، مبتدع فيما خالفهم ، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان ، فاسق بما معه من العصيان ، فلا يُعطى الوصف المطلق ، ولا يُنفى عنه مطلق الوصف ، وهذا هو العدل الذي أمر الله به ، إلاَّ أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال " . (1)

وسأذكر صوراً من منافحات الشيخ عن العقيدة ، سواء كان ذلك في مسائل كلية أو جزئية :

1 رده على شبهات المؤولة المعاصرين كالأشاعرة ونحوهم ..

فقد امتلأت رسائل الشيخ ودروسه بالرد عليهم ، والجواب عن شبههم إجمالاً وتفصيلاً .

ومن أجمل ما كتب الشيخ في ذلك الجواب التفصيلي عن عدد من الشبه التي أوردوها على أهل السنة ، وادعوا أن أهل السنة قد أولوها ، فألزموهم بطرد التأويل في غيرها .

---

(1) كتاب العلم صـ199-200 ، ط : دار الثريا .

وقد انبرى الشيخ في ذكر شبههم إجمالاً وتفصيلاً .

فقال رحمه الله تعالى في كتابه " القواعد المثلى " بعد ذكر الشبهة السابقة :

ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين : مجمل ومفصل .

وذكر الجواب المجمل ، ثم ذكر المفصل ، وأورد فيه خمسة عشر مثالاً مما ادعوا فيه التأويل ، وأجاب عن كل واحدٍ جواباً علمياً مفصلاً جمع فيه بين علم العقيدة والحديث واللغة والأصول ، وجمّله بنقول رائعة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ثم ختم ذلك بخاتمة مهمة في الجواب عمن يدعي أن نسبة الأشاعرة في هذا العصر حوالي 95% من المسلمين ، يعني أنهم أغلبية ، فكيف نضللهم فيما ذهبوا إليه ؟ ونخرجهم فيما خالفوا فيه من مسمى أهل السنة ؟ .

فأجاب عَنْ هذه الشبهة بجواب جاء فيه :

1- إننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين ، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق .

2- ثم إننا لو سلمنا أنهم بهذا القدر ، أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر .

3- ثم إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل ... إلخ " إ هـ [1]

---

(1) انظر:مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان (335/3) ط:2 .

2 تفصيله في مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام .

فقد بين الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده ، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد ، وحذَّر أشد التحذير من الولوج في هذه الباب بغير علم وبصيرة ، فقال رحمه الله تعالى :

" وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان ، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه ؛ حتى يتبين له الحق ؛ لأن المسألة خطيرة ، نسأل الله تعالى أَنْ يُصْلِحَ للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم ، كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام ، لتقوم الحجة عليهم ، وتبين المحجة ، فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولا يحقرن نفسه عن

بيانه ، ولا يهَابنّ أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . والله ولي التوفيق " . (1)

ولما ذكر الشيخ الأصل الثالث من الأصول الستة التي ذكرها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وهو السمع والطاعة لمن تأمر علينا ، ولو كان عبداً حبشياً ، وأن هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به .

قال رحمه الله تعالى معلقاً :

" ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت ، وفرقوا دينهم ، وتمردوا على أئمتهم ، وخرجوا عليهم ، وكانوا شيعاً نزعت المهابة من قلوب أعدائهم

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ، لفهد السليمان (147/2) .

وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم ، وتداعت عليهم الأمم ، وصاروا غثاءً كغثاء السيل .

وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم ، والغيرة على دين الله تعالى ، وترك العمل به ، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير .

فالواجب علينا جميعاً – رعاة ورعية – أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى ، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين ..) ثم قال : (إنّ الكلمة إذا تفرقت ، والرعية إذا تمردت ، دخلت الأهواء والضغائن ، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته ، وإن تبين أَنّ الحق والعدل في خلافها ، وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث

يقول : [يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] . [آل عمران : 102-103] .

فإذا عرف كل واحد ماله وما عليه ، وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله " . (1)

٣ رده على زنادقة الفلكيين .

وقال رحمه الله تعالى في تقرير أن السماوات أجرام محسوسة في خطبة له :

---

(1) شرح الأصول الستة ص162. ، مع كشف الشبهات ، ط : دار الثريا .

" وإنما قررنا هذا ونبهنا عليه لأنه يوجد من زنادقة الفلكيين وملحديهم من ينكر أن تكون السماوات أجراماً محسوسة ، فيخشى أن يراوج هذا الباطل على من لا علم له بالكتاب والسنة ، وجميع الأقاويل التي يتكلم بها الفلكيون في هذه الأمور لا تعتقد حتى تُعْرَضَ على كتاب وسنة رسوله ρ ؛ فإنْ وُجد فيها ما يدل عليها فهي مقبولة ، وإنْ وُجد في الكتاب والسنة ما يكذبها فهي باطل مردودة ، وإن كان الكتاب والسنة ليس فيهما ما يدل على تلك الأقاويل لا نفياً ولا إثباتاً وجب التوقف فيها حتى يقوم دليل علمي أو عقلي على صحتها ... " . (1)

وقال أيضاً في بيان جريان الشمس وسيرها :

" وهكذا تسير الشمسُ والقمرُ في فلكيهما بانتظام باهر وسير محكم ، كل يجري إلى أجل مسمى إلى أن يأذن الله بخراب هذا العالم ، فتخرج الشمس من مغربها ؛ كما في صحيح البخاري عن أبي ذر τ قال : قال رسول الله ρ حين غربت الشمس : أتدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها .

وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : [وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا] .

وقوله : [كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى] .

---

(1) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص34 .

وقوله : [وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ].

وهذه الأدلة تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة ولا تدور ، وتدل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه " إ هـ . [1]

4 رده على الروافض .

ومن ذلك ما ذكره في شرح الواسطية تقريراً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان عقيدة أهل السنة أنهم (يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء ؛ أبراراً كانوا أم فجاراً) .

قال رحمه الله تعالى (.. خلافاً للروافض الذين يقولون : إنه لا إمام إلا المعصوم ، وإن الأمة الإسلامية منذ غاب من يزعمون أنه الإمام المنتظر ،

ليست على إمام ، ولا تبعاً لإمام ، بل هي تموت ميتة جاهلية من ذلك الوقت إلى اليوم ، ويقولون : إنه لا إمام إلا الإمام المعصوم ولا حج ولا جهاد مع أي أمير كان ؛ لأن الإمام لم يأت بعد .

لكن أهل السنة والجماعة يقولون : " نحن نرى إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبراراً أم فجاراً ، وكذلك إقامة الجهاد مع الأمير ، ولو كان فاسقاً، ويقيمون الجهاد مع أمير لا يصلي معهم الجماعة ، بل يصلي في رحله ، فأهل السنة لديهم بعد نظر؛لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله ، وتجر إلى فتن عظيمة ، فما الذي فتح باب الفتن

---

(1) الضياء اللامع صـ32 .

والقتال بين المسلمين ، والاختلاف في الآراء إلا الخروج على الأئمة .. ".[1]

وقال أيضاً : (ومن قرأ التاريخ علم أن للرافضة يداً في سقوط بغداد وانتهاء الخلافة الإسلامية فيها ؛ حيث سهلوا للتتار دخولها ، وقَتَلَ التتار من العامة والعلماء أمماً كثيرة ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة) أنهم هم الذين سَعَوا في مجيء التتر إلى بغداد دار الخلافة ، حتى قتل الكفارُ – يعني التتر – من المسلمين مالا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم ، وقتلوا بجهاتِ بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف ونيّفاً ، وسبعين ألفاً ، وقتلوا الخليفة العباسي ، وسبوا النساء الهاشميات ، وصبيان الهاشميين . إهـ 592/4 – تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

ومن عقيدة الرافضة : (" التُّقْيَة " وهي : أن يظهر خلاف ما يبطن ، ولا شك أن هذا نوع من أنواع النفاق يغتر به من يغتر من الناس ، والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح ...) . (2)

وقال :

(الروافض طائفة غلاة في علي بن أبي طالب وآل البيت وهم من أضلّ أهل البدع ، وأشدّهم كرها للصحابة ψ) .

وقال :

(نحن نتبرأ من طريقة هؤلاء الروافض الذين يسبّون الصحابة ويبغضونهم، ونعتقد أن محبتهم فرض ، وأن الكف عن مساوئهم فرض ، وقلوبنا

---

(1) شرح الواسطية 338/2 ، ط : دار ابن الجوزي ط : 3 .

(2) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين لفهد السليمان (56/3-57) .

– ولله الحمد – مملوءة من محبتهم لما كانوا عليه من الإيمان ، والتقوى ، ونشر العلم ، ونصرة النبي ρ) . (1)

٤ رده على المحتجين بالقدر على فعل المعصية .

قال رحمه الله تعالى :

" وهنا مسألة يحتج بها كثير من العصاة : إذا أنكرت عليه المنكر ؛ قال : هذا هو ما قدره الله عليه ؛ أتعترض على الله ؟ فيحتج بالقدر على معاصي الله ، ويقول : أنا عبد مسير ... " إلى آخر الشبهة .

وأجاب عنها بجواب طويلٍ جاء فيه : فنقول له : إن احتجاجك بالقدر على معاصي الله يبطله السمع والعقل والواقع ... " . (2)

إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى ...

---

(1) شرح الواسطية (2/282 – 284) .

(2) شرح الواسطية (2/225-228) .

٦ بيان الشيخ للكثير من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس .

وله رحمه الله تعالى كتاب مخصص لهذا الموضوع .

ومن تلك الأخطاء :

- **عبارة(لا حول الله)الواجب أن تعدل،فيقال:لاحول ولاقوة إلا بالله**
- **(لا سمح الله) تكره؛لأنها توهم أن أحداً يجبر الله على فعل الشيء .**
- **(لا قَدّر الله) لا بأس بها إذا قصد بها الدعاء .**

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (139/3) .

- وعبارة : (شاءت قدرة الله) لا تصح .

المصدر السابق (132/3) .

- (فلان كان المثل الأعلى) وأنها لا تجوز على سبيل الإطلاق ، فإذا قيدت فلا بأس . المصدر السابق (132/3) .
- (فلان دفن في مثواه الأخير) وأنها حرام لا تجوز .

المصدر السابق (133/3) .

- (إطلاق المسيحي على النصراني ، والمسيحية على النصرانية) لا يجوز . المصدر السابق (133/3) .
- (فلان المغفورله ، أو المرحوم) فيه تفصيل : إذا قصد الخبر لا يجوز ، وإذا قصد الدعاء فلا بأس.المصدر السابق (130/3) .
- إبطاله لعدد من الأيمان الحادثة ، مثل : (والشرف ، والذمة ، حد

الله بيني وبينك ، أنا نصراني إن فعلت كذا) .

المصدر السابق (219/2) .

- بيانه لتحريم تهنئة الكفار بعيد الكريسمس .

المصدر السابق (47/3) .

- قول بعض الطبعيين: (المادة لا تفنى ولا تزول ولا تخلق من عدم) وأن هذا كفر لا يقوله مؤمن . المصدر السابق (130/3) .
- قول البعض (فال الله ولا فالك) قال : لا يجوز أن يقال فال الله، لأن هذا يوهم أن يكون الفال صفة لله ، لكن إن أراد الفال الذي يجعله الله في (ولا فالك) فهذا لا بأس به ، فالكلمة موهمة ينبغي تجنبها . ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة (41/2) .
- قول البعض عند حصول شيء عظيم (يا وجه الله ، يا دين الله) قال : لا يجوز . المصدر السابق (39/2) .
- قول البعض (يا رحمة الله ، يا عزة الله) قال : الواجب أن يقول يارب العالمين ، يا أرحم الراحمين ، وما أشبه ذلك مما جاءت به السنة ولا يدعون الصفة ، فالصفة لا تدعى ، إنما الذي يُدعى هو الموصوف وهو الله تعالى . المصدر السابق (34/2) .
- قول البعض (العبد مسيَّر ، ما هو مخيَّر) قال : هذا غير صحيح ، بل الإنسان له إرادة واختيار يختار ما شاء .

  المصدر السابق (23/2) .
- قول بعض الناس في وصف بعض الآيات (الإيقاع الموسيقي لهذه الآية) قال : لا يحل ، الموسيقى من آلآت العزف ، وهي حرام ، ولا يوصف القرآن بوصف محرم .

  المصدر السابق (44/2) .

- دعاء البعض (اللهم لا نسألك رد القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيه) قال : هذا محرم لا يجوز ؛ لأن الدعاء يرد القضاء ، كما جاء في الحديث " لا يرد القضاء إلا الدعاء " .

المصدر السابق (45/2) .

- قول (شاءت قدرة الله ، أو شاء القدر) لا يصح ، لأن القدر والقدرة أمران معنويان ، ولا مشيئة لهما ، وإنما المشيئة لمن هو قادر ومقدر . المصدر السابق (48/2) .

7 بيان الحكم الشرعي لعدد من المكتشفات الحديثة ، من ناحية تعلقها بالعقيدة الإسلامية .

من ذلك :

أ- علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته ، هل هذا يخالف ما جاء في قوله تعالى :

[وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ] [لقمان : 34] .

فأجاب رحمه الله تعالى بجواب جاء فيه :

" إذا تبين ذلك فقد قيل : إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلآت الدقيقة للكشف عما في الأرحام ، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً ، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام ، وإن كان صدقاً فإنه لا يعارض الآية ؛ حيث إن الآية تدل على أمر غيبي ، وهو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة ، والأمور الغيبية في حال الجنسين ، هي : مقدار مدته في بطن أمه ، وحياته وعمله ، ورزقه ، وشقاوته أوسعادته ، وكونه ذكراً أم أنثى ، قبل أن يخلق ، أما بعد أن يخلق فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب ؛ لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة ، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة ، التي

لو أزيلت لتبين أمره ، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى ، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة ، وكذلك لم تأت السنة بذلك ... " إهـ [1] .

ب- حكم لباس السوار لعلاج (الروماتيزم) .

وهل هذا يعارض ما جاء في حديث عمران بن حصين τ أن النبي ρ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر ، فقال : " ما هذه " قال : من الواهنة ، فقال : " انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو مُتّ وهي عليك ما أفلحت أبداً " . رواه أحمد [2] بسند لا بأس به ، كما في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

" ظهر في الأسواق منذ سنتين حلقة من النحاس ، يقولون : إنها تنفع من (الروماتيزم) ، ولها اسم لا أذكره ، يزعمون أن الإنسان إذا وضعه على

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (68/1) .

(2) مسند أحمد (445/4) .

عضده ، وفيه (روماتيزم) نفعته ، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا ؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح ؛ لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا دليل حسي يدل على ذلك .

وهي لا تؤثر على الجسم ، فليس فيها مادة دهنية حتى نقول : إنّ الجسم يشرب هذه المادة وينتفع بها ، فالأصل أنها ممنوعة ، حتى يثبت لنا دليل

صحيح صريح واضح أنّ لها اتصالاً مباشراً بهذا (الروماتيزم) حتى ينتفع بها " إهـ [1] .

ج- دوران الأرض ، ودوران الشمس حول الأرض .

قال رحمه الله تعالى :

" خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات ، لا في الكتاب ولا في السنة .

أما رأْيُنَا حول دوران الشمس على الأرض ، الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار ، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار ، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه – وأنّى ذلك – فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد (189/1) ط : دار العاصمة ، وانظر أيضاً مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (111/1) .

في هذه الأمور وغيرها .. " . [1]

د – الصعود إلى القمر :

أشكل على كثير من الناس ما يُدّعى من صعود بعض الناس إلى سطح القمر ، وهل هذا يتعارض مع قوله تعالى : [وَجعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً] وكان الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ينفي صعود أحد إلى القمر ، وأن هذا لا يمكن لدلالة الآيات على أن القمر في السّماء .

ويقول إن صح هذا يقيناً فأنا لم أفهم القرآن ، أو كما قال رحمه الله تعالى :

" فكتب شيخنا ابن عثيمين في ذلك رسالة سمَّاها (رسالة في الوصول إلى القمر) .

قال في أولها بعد المقدمة :

أما بعد : فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات ، وقد أثار هذا النبأ تساؤلات ، وأخذاً وردّاً بين الناس ...

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (70/1) .ولشيخ الإسلام في عصره العلامة عبد العزيز ابن باز رسالة يقرر فيها ثبوت الأرض ، وعدم دورانها ، وكذلك للعلامة الشيخ حمود التويجري كتابٌ حافلٌ بالأدلة على إبطال قول من يقول بالدوران ، أسمّاه (الصواعق الشديدة في الرد على علماء الهيئة الجديدة) رحمهم الله تعالى وغفر لهم .

إلى أن قال : وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر ، فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه ، فليس في صريح القرآن ما يخالفه ؛ كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده ... " . (1)

وقال في نهاية البحث : " وبعد فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره ، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته .

فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن ، والآخرون جعلوه مطابقاً للقرآن ، فأحببت أن أكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر ، وعلمي المحدود . وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده ، والحمد لله رب العالمين " . إهـ [2]

هـ – حكم ربط نزول المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي .

سئل رحمه الله تعالى عن هذه المسألة التي يكثر الحديث عنها ، بل قد تكرر بصفة يومية في الإذاعات العربية وغيرها ..

والتي قد يعتمد عليها العديدُ من الناس ممن لا علم لهم بحكمها .

فقال رحمه الله تعالى :

" تعليق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي ، وهو إن كان قد يكون

---

(1) صـ21. ضمن مجموعة رسائل في العقيدة .

(2) رسالة الوصول إلى القمر ، ضمن (رسائل في العقيدة) من صـ121. إلى صـ126. . ط : مكتبة دار المعارف بالرياض .

سبباً حقيقياً ، ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب ، بل يقال : هذا من رحمة الله ، هذا من فضله ونعمته ، قال الله تعالى : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ] . [سورة النور : 43] . وقال عز وجل : [اللهُ الّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثير سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاءً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ] . [الروم : 48] . فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه .

وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نسبة إيجاد ، وهذه شرك أكبر .

القسم الثانِي : نسبة سبب ، وهذه شرك أصغر .

القسم الثالث : نسبة وقت ، وهذه جائزة . والله أعلم " . [1]

α α α

(1) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (193/2) . وانظر أيضاً (271/5-272) عما يأتي في الإذاعات من التنبأ بنُزول المطر .

أهم المؤثرات في توجه الشيخ للعقيدة السلفية

إنّ توجه طالب العلم والعالم إلى العقيدة السلفية ليس أمراً سهلاً ، والأصعب من ذلك الثّبات عليها رغم الشبهات الكثيرة التي يبثّها

أصحاب العقائد الزائغة ، وقد كان لثبات الشيخ على هذه العقيدة عدة مؤثرات بعد توفيق الله تعالى ، منها :

1 تتلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرفوا بعقيدتهم السلفية ، واتباعهم سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة .

2 تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، كما أشار هو إلى ذلك حيث قال : " الإنسان يقرأ ويتأثر ، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر ، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لإيمان العبد ومعرفته بأسرار الشريعة وبالنسبة لقوة الحجة ، والإقناع ، والدفاع .

ولذا فأنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي أن يقرأ في كتب هذا الإمام ، لأنه حقاً إمام ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم : أسلوبه وإقناعه ، يأخذان بألباب قارئيه .

لكني قد أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم ؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي .

كذلك تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأن له توجيهات طيبة جدّاً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة .

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا ؛ لأنه جيد في عرض المسائل ، وإن كان عليه بعض الأخطاء ، وجل من لا يخطئ ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل . وما أشبه ذلك " . [1]

3 اعتصامه بالدليل ، ودورانه مع الدليل حيث دار ، وهذا جانب بارز جداً في حياة الشيخ سواء في دروسه أو كتاباته أو فتاواه .

قال رحمه الله تعالى :

" ولذلك أنا أدعو إخواني من أهل العلم أن يكون دائماً الأصل الذي يبنون عليه هو الكتاب والسنة ، والتحرر في الأفكار ، لكن الأصح التحرر في التفكير ، وجعل الفكر تابعاً لما دَلّ عليه الكتاب والسنة حتى يكون الإنسان متحرّراً حقيقة ، ثم بعد ذلك يعرض ما بدا له على ما استنبطه أهل العلم ، فلعله يجد خطأ فيما استَنْبَط ، فيُوفَّق للرجوع إليه " . [2]

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

(2) المصدر السابق .

4 عدم تعصبه لمذهب معيّن أو قول معين تقليداً لغيره .

وهذه مسألة عظيمة ، فكثيراً ما أعمى التعصب عيون جهابذة العقلاء عن الحق ، وقادهم إلى مهاوي الضلالة ، خاصة في الاعتقاد .

فكم ممن سمع قولاً لشيخه ، أو اعتقد مذهباً لأستاذه فأعماه عن الحق الواضح الجليّ القريب منه ، وعاش عليه دهراً طويلاً ، إلا أن يتداركه الله برحمته .

والأمثلة على ذلك عديدة ، منها : قصة أبي جعفر الهمذاني مع شيخه أبي المعالي الجويني ، كما رواها الذهبي في سيره ، حيث قال : " أخبرنا يحيى ابن أبي منصور الفقيه في كتابه ، عن عبد القادر الحافظ ، أخبرنا أبو العلاء الهمذاني ، أخبرني أبو جعفر الحافظ (يعني الهمذاني) ، سمعت أبا المعالي : وسئل عن قوله تعالى : [الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى] . [سورة طه : 5] . فقال : كان الله ولا عرش ، وجعل يتخبط ، فقلت : هل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما معنى هذه الإشارة ؟ قلت : ما قال عارف قط : يا ربّاه ! إلاّ قبل أن يتحرك لسانه ، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة – يقصد الفوق – فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة ، فتنَبّئنا نتخلص من الفوق والتحت ؟ وبكيت ، وبكى الخلق ، فضرب بكمّه على السرير ، وصاح بالحيرة ، ومزّق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل يقول : يا حبيبي ! الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة " . [1]

فانظر – رحمك الله – ما الذي جعل الطالب الفقيه يترك ما دَلّ عليه القرآن من إثبات الاستواء على العرش ، ويسأل شيخه المخرج من ضرورة توجه العبيد إلى جهة العلو في دعائهم .

أليس هو التعصب لمذهب الأشياخ ، وما الذي جعل شيخه يتحير ، ويمزق قميصه ؛ حيث لم يجد جواباً لهذه الضرورة الفطرية ، أليس هو السبب نفسه ، وكم فعل التعصب وفعل ، ولذا عده الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من مسائل الجاهلية ، فقال في المسألة الخامسة والخمسين : التعصبُ للمذهب ، كقوله فيها : [وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينكُمْ] . [آل عمران : 73] .

وترتب عليها مخالفة عظيمة ، فقال في المسألة الرابعة عشرة بعد المائة : (قاعدة الضلال ، وهي: القول على الله بلا علم) نسأل الله تعالى العافية .

5 عدم دخوله في علم الكلام .

إن المتتبع لسير أفذاذ من العلماء المخالفين لأهل السنة ، يجد أن من أعظم

أسباب الانحراف لديهم دخولهم في علم الكلام والذي دخل على المسلمين بعد المائة الثانية ، بعدما عُربت الكتب اليونانية والرومانية خاصة في عهد المأمون حيث حصل بذلك شر كثير ، وبلاء مستطير .

وقد كان شيخنا رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن الدخول في علم الكلام ، أو اللجوء إليه في الاستدلال .

---

(1) السير (477/18) .

وقد عقد في كتابه (فتح رب البرية بتلخيص الحموية) باباً كاملاً ، هو الباب الثاني والعشرون ؛ حيث قال فيه :

" الباب الثاني والعشرون في تحذير السلف من علم الكلام " وقال أيضاً " علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها ، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به ، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله ؛ لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك ، حتى قال الإمام أحمد : لا يفلح صاحب كلا م أبداً .

وقال الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على علم الكلام " . إهـ

ثم قال الشيخ معلقاً :

" وهم مستحقون لما قال الإمام الشافعي من وجه ، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم من اتباع مذهبهم ، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم الحيرة ، واستحوذ عليهم الشيطان ، فإننا نرحمهم ونرق لهم . ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به ....

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلى غايته ، ووجه ذلك : أن من لم يدخل فيه فهو في عافية ، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساده ، ورجع إلى الكتاب والسنة ، كما

---

(1) السير (477/18) .

جرى لبعض كبارهم ، فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر " إ هـ [1] .

وقد ذكر الشيخ نموذجاً ممن ضل بسبب علم الكلام ، فقال : " هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى ، مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ρ من البينات والهدى ، والتماسهم علم معرفة الله تعالى ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه ، حتى قال الرّازي وهو من رؤسائهم مبيناً ما يَنْتهي إليه أمرهم :

نِهَايَة إِقْدامِ العُقُول عقالُ وأَكْثَرُ سَعْي العَالمِينَ ضَلالُ
وَأَرْواحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وغَايَةُ دُنْيانَا أَذىً وَوَبالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَال

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات : [الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى] ، [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ] ،واقرأ في النفي [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]،[وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً] ، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .. إهـ

ثم علق على كلامه قائلاً :

" فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقرّوا على أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح

---

(1) تلخيص الحموية ، ص98 .

الدجى ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟ وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم .." إهـ [1] .

6 كثرة ابتهاله إلى الله تعالى أن يثبته على السنة والجماعة ، ويهديه إلى الطريق الأقوم .

ويلهج بهذا الدعاء : " اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم " . [2]

μ μ μ

---

(1) فتح رب البرية ، صـ60 .

(2) رواه مسلم حديث رقم (770) .

2- فقهه .

إن تميز شيخنا المترجم رحمه الله تعالى في الفقه لا يخفى على أحد من العوام أو العلماء وطلاب العلم ، من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين العجم ، فضلاً عن العرب نساءً ورجالاً .

وقد اشتهر شيخنا بالتميز الفقهي أكثر من تميزه في علوم الشريعة الأخرى ، كالعقيدة والتفسير وغيرها ..

فتجد العوام يحرصون على سماع فتواه في المسألة ، ويسألون عنها إذا لم تنقل إليهم فإذا علموا بها انشرحت لها صدورهم وعملوا بها امتثالاً لقوله تعالى : [فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ] .[النحل: 43]. فقد ارتضوا ابن عثيمين العالم العامل مَرجعاً لهم ومبلغاً لأحكام الله ،

وإن شئت قلت :

موقعاً عن ربّ العالمين .

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى فيما نحسبه والله حسيبه أهلاً لذلك . والله تعالى هو الموفق للصواب .

وسنحاول في هذا الفصل إلقاء بعض الضوء على الجانب الفقهي عند الشيخ رحمه الله تعالى بشيء من الإيجاز ؛ لأن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة تفصيلية متأنية موسعة ، لا يتسع لها المقام هنا .

وسنتناول هذا الجانب في أربعة مباحث :

المبحث الأول : **الأسس التي تكونت من خلالها الملكة الفقهية لدى الشيخ .**

المبحث الثاني : **ما تميز به فقه ابن عثيمين ، وفيه سماتُ البحث الفقهي لدى الشيخ**

المبحث الثالث : **النتاج الفقهي العلمي .**

المبحث الرابع : **أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة .**

μ μ μ

المبحث الأول :

ـ الأسس التي تكونت من خلالها الملكَةُ الفقهية لابن عثيمين .

بعد توفيق الله تعالى وعونه ، فإنّ الشخصية الفقهية للشيخ قد تشكلت وبرزت من خلال عدة أسُس قد مرّ بنا بعضها في الباب الأول في مرحلة البناء والتكوين العلمي ، ويأتي بعضها الآخر وسأذكرها بصورة موجزة مع شيء من الأمثلة ، وذلك لأن الاستطراد هنا ، ونقل الأمثلة العديدة سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب .

وما سنذكره يدل على ما وراءه ، والله الموفق .

1 تأثره بشيخه ابن سعدي رحمه الله تعالى .

سبق في ترجمة ابن سعدي رحمه الله تعالى بيان أوجه التميز عنده ، وخاصة من الناحية الفقهية الأصولية .

وقد ذكر شيخنا – كما سبق – أنه تأثر به غاية التأثر ، حتى سأله أحد تلاميذه عن طريقة شيخه ابن سعدي ، فقال : انظر ماذا أصنع أنا فهذه طريقة ابن سعدي ، وقد كان رحمه الله تعالى من حبه لشيخه يقلده في خطه

، وابن سعدي رحمه الله تعالى ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده ، بروزاً منقطع النظير في سعة اطلاعه ، وعمق فهمه ، وقوة استنباطه ، وبلوغه رتبة الاجتهاد .

فشيخنا المترجم قد ارتوى من هذا المعين ، ونهل من هذا البحر الزاخر ، وورث من شيخه هذا التميز الفقهي ، والذي سيأتي الكلام عليه في موضعه .

2 تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى .

فقد دأب الشيخ منذ طلبه للعلم على إدمان النظر في كتب الشيخين ، وجعلهما من المراجع الأساسية خاصة عند اشتداد الخلاف ، أو تعسر الخروج منه ، سواء في ذلك الكتب الصغيرة الحجم أو المطولات ، فكان دائم الرجوع لـ (مجموع الفتاوى ، جمع الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم) وكان سريعَ الاستحضار لمواضع المسائل ، بل ينقل منه الصفحات العديدة معزوّة لأجزائها ابتداءً وانتهاءً .

انظر على سبيل المثال كلامه في شرح شيخ الإسلام لحديث : (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما ..) الحديث ، قال : قال شيخ الإسلام ابن تيمية (146/22) مجموع الفتاوى . [1]

ونقله من اقتضاء الصراط المستقيم صـ70. ، في شرح حديث (هما بهم كفر) كلام شيخ الإسلام في الفرق بين الكفر المعرف بأل والمنكر في الإثبات . [2]

نقله عن ابن القيم في كتاب الصلاة .

(صـ400 ، من مجموعة الحديث) [3] استحالة أن يترك الصلاة من كان في قلبه شيء من الإيمان .

---

(1) نقله في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (271/12) .

(2) المصدر السابق (59/12) .

(3) المصدر السابق (44/12) .

نقله عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (222/23) قوله : اتفق العلماء على أنها – أي صلاة الجماعة – من أوكد العبادات ، وأجل الطاعات ، وأعظم شعائر الإسلام . إ هـ [1]

نقله عن ابن القيم (زاد المعاد238/1) في وضع اليدين بين السجدتين.[2]

نقله عن شيخ الإسلام من (الفتاوى الكبرى 350/1) فتوى في التشويش على المصلين . [3]

وانظر على سبيل المثال من مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ، المواضع التالية :

(279/12) ، (272/12) ، (89/13) ، (87/13) ، (83/13) ، (80/13) ، (149/13) ، وغيرها الكثير ..

وقد سبق نقل كلامه عن تأثره بابن تيمية :

" لكني قد أتأثر بكلام شيخ الإسلام أكثر من تأثري بكلام ابن القيم مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي " . [4]

وقد بلغ من شغف الشيخ بكتب الشيخين أن لخص العديد منها ، وانتقى منها الفوائد الفريدة ، في الفقه والعقيدة ، من ذلك :

1- مختارات من زاد المعاد لابن القيم .

(**1**) المصدر السابق (40/12) .
(**2**) المصدر السابق (197/13) .
(**3**) المصدر السابق (76/13) .
(**4**) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

2- مختارات من إعلام الموقعين له .

3- مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .

وقد ذكر في المقدمة أنه بدأ قراءته في عام 1396هـ .

وهو مع كل ذلك لم يكن مقلداً لابن تيمية ولا لتلميذه ، بل كان يحدوه الدليل في كل ما تبعهما فيه ، وكما أنه قد وافقهما في كثير من المسائل ، فقد خالفهما في عدد من المسائل ، كما سيأتي .

3 حفظ المتون :

قد كان الشيخ يردد كثيراً " من حفظ المتون حاز الفنون " وقد عني الشيخ بحفظ المتون منذ صغره كما أشرنا إلى ذلك في النشأة ، فحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب ، وهو آية في استحضاره لمواضع الاستشهاد من الآيات .

وينبه الشيخ إلى ما يقع فيه بعض طلاب العلم من عدم حفظهم لكتاب الله تعالى في بداية الطلب ، ويعتنون بغيره ، فيقول رحمه الله تعالى :

" وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن ، بل بعضهم لا يحسن القراءة ، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم ، لذلك أكرر أنه

يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن ، والعمل به ، والدعوة إليه ، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح " إهـ [1]

وقد ذكر الشيخ أحسن ما يراه في **طريقة الحفظ** ، فقال :

" وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً

---

(1) كتاب العلم ، صـ45 ، ط : دار الثريا .

صباح اليوم التالي ، فإن هذا يُعين كثيراً على حفظ ما حفظ في اليوم الأول ، هذا شيء فعلته أنا ، فإنّ هذا يعين على الحفظ الجيد ". [1]

وقد حفظ من الأدلة متن (بلوغ المرام) ومارسه كثيراً ، وحفظ (متن زاد المستقنع في الفقه الحنبلي) ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، و (قطر الندى لابن هشام) .

وكان هو وزميله الشيخ عبد الله البسام يرتبان أوقاتاً للحفظ والتسميع ، بعد صلاة العصر ، والساعات الأولى من الليل .

وهذا الحفظ قد نفع الله به الشيخ كثيراً ، فكان يسعفه عند إرادة الاستشهاد على مسألة ما ، أو في كتابة ، أو مناظرة ، أو نحو ذلك ..

وقد قال رحمه الله تعالى : (قرأنا كثيراً وما بقي إلا ما حفظنا) .

وقد كان لهذا الحفظ في التأسيس العلمي الدور الكبير ، مما قد غفل عنه الكثير من طلاب العلم اليوم ، وإلى الله المشتكى .

قال الشيخ سليمان الضحيان : " قد سمعته يشدد على أهمية حفظ المتون العلمية ، يقول : (أحياناً تعزب عنك بعض المعلومات في مسألة من

المسائل ، ثم بمجرد أن تتذكر الفقرة في المتن الذي حفظته تسترجع تلك المعلومات " أو نحو هذا .

ولهذا يشترط على تلامذته الملازمين حفظ المتون ، مثل (زاد المستقنع ، والواسطية ، والبرهانية) " . [2]

---

(1) المصدر السابق ، صـ137. .

(2) مجلة المعرفة ، العدد 69 .

وقد وضح الشيخ المتون التي يبتدأ بها طالب العلم في عدد من الفنون ، فقال رحمه الله تعالى :

" فإذا كنت تطلب **النحو** :

فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن (الآجرومية) ؛ لأنه واضح وجامع ، وحَاصِرٌ ، وفيه بركة .

ثم متن (ألفية ابن مالك) ؛ لأنها خلاصة علم النحو ، كما قال هو عن نفسه :

أَحْصَى مِنَ الكِفَايَةِ الخُلاَصَة كَمَا اقْتَضى غِنىً بِلاَ خَصَاصَة

وأما في **الفقه** :

فمتن (زاد المستقنع)، لأنّه كتاب مخدوم بالشروح والحواشي والتدريس، وإنْ كان بعض المتون الأخرى أحسن منه مِنْ وجه ، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه ، ومن حيث إنه مخدوم .

وأما في **الحديث** :

فمتن (عمدة الأحكام) ، وإن ترقيت فـ (بلوغ المرام) ، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا ، فبلوغ المرام أحسن ؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث ، ولأن الحافظ ابن حجر – رحمه الله – بين درجة الحديث .

وأما في **التوحيد** :

فمن أحسن ما قرأنا متن (كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى) وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت (العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى) فهو كتاب جامع ، مبارك ، مفيد و هلم جرا .

خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه ، واحفظه .

وقال أيضاً :

" لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب ، فهذا من باب الضجر ، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه ، وتضيع عليه أوقاته ، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم ، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه ، ولا تقل : أَقْرَأُ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ، ثم أنتقل للآخر ، فإن هذا مضيعة للوقت " إهـ . [1]

4 تمكنه من علوم الآلة :

علوم الآلة أو العلوم المساعدة كعلم النحو ، والأصول ، والقواعد الفقهية ، والبلاغة من أساسيات طالب العلم الناجح المبرز ، والتي لا يتمكن من الغوص في العلوم الشرعية ، والوقوف على أسرار الشريعة وحكمها إلا بتمكنه في هذا العلم ، وقد بلغ الشيخ في ذلك القدح المعلى، فقد حفظ

ألفية ابن مالك ، والآجرومية ، وقيل إنه أعرب الألفية إعراباً سريعاً في جلسة واحدة ! وكان يستدل كثيراً بشواهد من الألفية.

من ذلك : ما ذكره في الشرح الممتع :

---

(1) كتاب العلم ، صـ237-238. ، ط : دار الثريا .

(فإن

قال قائل : وهل تأتي الكاف للتعليل ؟ قلنا : نعم تأتي للتعليل ، استمع إليها من كلام العلماء ، واستمع إلى مثالها .

قال ابن مالك :

شِبْهٌ بِكَافٍ وَبِهَا التَّعْلِيلُ قَدْ يَعْنِي وَزَائِداً لِتَوْكِيدٍ وَرَدْ) . [1]

وما ذكره أيضاً في جواز حذف النعت وبقاء المنعوت :

قال :

(قال ابن مالك :

وَمَا مِنَ المَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عقلْ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلْ) . [2]

وقال أيضاً في بيان الفرق بين اسم المرة والهيئة :

(قال ابن مالك :

وَفَعْلَةٌ لِمَرَّةٍ كَجَلْسَةٍ وَفِعْلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجِلْسَةٍ) . [3]

وأذكر أننا ونحن في الدرس عندما يطلب إعراب كلمة من أحد الطلاب فيقوم بإعرابها ، فيسأله مبادراً : ما الدليل على هذا من كلام ابن مالك رحمه الله تعالى ؟ .

وأما بالنسبة لأصول الفقه والقواعد فحدث ولا حرج ، فقد بلغ فيها الشيخ كل مبلغ حفظاً ، وتأصيلاً ، وتقعيداً ، واستحضاراً وضرباً للأمثلة، وسيأتي نماذج من ذلك في مبحث التميز الفقهي .

---

(1) الشرح الممتع (231/3) . (2) الشرح الممتع (194/3) .
(3) المصدر السابق (443/3) .

قال الشيخ سليمان الضحيان :

" ويكاد الشيخ ينفرد بالإحاطة في هذه العلوم ، وحسبك أنه يكاد يحفظ (قواعد ابن رجب) مع كثرتها وصعوبتها .. " . [1]

وبناءً على ما سبق فإن الشيخ كان يشرح دروسه بالعربية الفصحى ، وكذا كلامه في الإذاعة ، ودروس الحرم ، وغيرها ، وهذه مزية برز فيها الشيخ ، وساعدت الكثير من مُحِبي العلم ، ومُرِيدِي المعرفة على الإنصات للشيخ والإقبال على دروسه سواء من الرجال أو النساء أو الصبيان ، خاصة من بلاد العجم ، ولعل هذا هو أحد أسباب انتشار أشرطة الشيخ في أمريكا ، ودول أوروبا ، وإفريقيا ، وهذا عامل مهم جداً ، فإن العامية قد تفيد في بلدٍ أنت فيه ، ويتكلم أهله بها ، ولا تفيد في غيره ممن لا يعرف هذه اللهجة ، وقد وقع في هذا عدد من الدعاة في وعظهم وإرشادهم ، فلم يحصل بذلك النفع المرجو ؛ بسبب اختلاف اللهجات . والله الموفق .

5 قوة عقليته ، وحدة ذكائه :
6 عمق نظره ، وطول تأمله :

فالشيخ رحمه الله تعالى قد أتي عقلية فذة ، تبهر المستمع إليه، وتأخذ بلبّه، وقد أهّله ذلك للكلام في المسائل المعقدة ، فيحللها ، ويخرج برأي واضح فيها ، يفهمه العامي وطالب العلم ، ومن ذلك ما استنبطه الشيخ رحمه الله من آية الوضوء من سورة المائدة ، فقد استخرج منها فوائد عجيبة

---

(1) مجلة المعرفة ، العدد 69 .

سيأتي إيرادها كاملة ، وأذكر هنا منها فائدة واحدة تدل على قوة عقليته رحمه الله تعالى :

قال : " من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة ، لقوله : [إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ] . والصلاة على الجنازة صلاة ، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثير عن النبي ρ مثل قوله ρ : " من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط " ، وقال " صلوا على صاحبكم " وفي شهداء أحد ولم يصل عليهم ، وهي أحاديث لا تحصر ، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت ، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة .

بقي عندنا سجود التلاوة ، وسجود الشكر ، إن قلنا : إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة ، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير ، ويختمان بالتسليم ، قال إنهما صلاة وتجب لهم الطهارة ، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير ولا يختمان بالتسليم ، قال : لا يشترط لهما الطهارة " . (1)

7 التأني في الأمور ، وترك العجلة :

فقد كان رحمه الله تعالى ينصح طلبة العلم بالتأني خاصة في طلب العلم ، وعدم العجلة ، وقد سمعته يكرر : (العلم يؤخذ بالأيام والليالي) ، و (ما أُخذ جملة ، ذهب جملة) .

وكذلك اشتهر عن الشيخ تأنّيه في الفتوى ، قال رحمه الله تعالى :

" ويجب على المفتي أن يتريث في الحكم عند الإشكال وألا يتعجّل ، فكم

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1785 .

من حكمٍ تعجّل فيه ، فيندم على ذلك ، وربّما لا يستطع أن يستدرك ما أفتى به ، والمفتي إذا عرف الناس منه التأنّي والتثبت وثقوا بقوله واعتبروه وإذا رأوه متسرعاً والمتسرّع كثير الخطأ لم يكن عندهم ثقة فيما يفتي به ، فيكون بتسرّعه وخطئه قد حَرَمَ نفسه وحرم غيره ما عنده من علمٍ وصواب .. " . [1]

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (335/11) .

8 تحرره الفكري ، وترك التقليد الأعمى :

وقد انتفع الشيخ بهذا كثيراً ، فقد أخرجه ترك التقليد للأسلاف إلى آفاق العلم الرحبة ، حتى فتح للشيخ من أبواب العلم ، ودقائقه ، ومسائله ، ما لم يسبقه إليه غيره ، وقد قلت للشيخ يوماً : إننا نسمع منك في التفسير فوائد على الآيات لا نكاد نجدها في الكتب – وهي غاية في القوة والروعة والاستدلال – لم لا تخرج في كتاب ؟ فقال رحمه الله تعالى وهو في غاية التواضع : (الموجود يكفي) يعني أن كتب التفسير المطبوعة كافية ، ولا حاجة للمزيد من الكتب .

وقد كان الشيخ يكرر لتلاميذه في الدرس قائلاً : إنك لن تُسْأَل عن أحد سوى نبيك ρ ، فلن تسأل في قبرك عن الشخص الفلاني ، أو الإمام الفلاني ، ويردد دائماً قوله تعالى : [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُم الْمُرْسَلِينَ] ، ولم يقل ماذا أجبتم فلاناً وفلاناً .

وقال رحمه الله تعالى : (من يتعصب لمذهب أو شخص مع أن الدليل خلافه، أن هذا المتعصب مقدم على خطر عظيم جداً ، وذلك لأنه أي بتعصبه يستلزم تقديم قول غير الله تعالى ورسوله على قول الله ورسوله ، وهذا خطير جداً ، فالواجب على الإنسان أن يتبع الدليل حيثما كان. صحيح أن الإنسان يتأثر إذا تفقه على يد عالم ، أوعلى مذهب معين ، يتأثر بهذا العالم ، وبهذا المذهب وهذا لا يستلزم أن يكون الإنسان متعصباً لهذا المذهب أو لذلك الرجل ، بل عليه إذا تبين له الدليل أَنْ يتبع الدليل حيثما كان ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ] . [الشورى : 10] ، ويقول : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] . [النساء : 59]) . (1)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : " فالتقليدُ كما قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله تعالى بمنزلة الميتة ، إن اضطررت إليها فكلها ، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك .. " . (2)

ومع كل هذا فلم يكن الشيخ ليجعل أقوال وآراء علماء الإسلام خلفه ظهرياً بل جعلها هي الحادي الذي يحدوه لفهم الدليل ، واستنباط الأحكام على ضوء الأدلة الشرعية ، فهو ليس مبتدعاً لقولٍ جديد لم يُسبق إليه ، وليس مقلداً لغيره ، ويتمثل بقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تقلد دينك الرجال) .

ومما يبين ذلك ما قاله رحمه الله تعالى : " .. حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً ، ويقولون : " متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه " .

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان ، نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله ، وتقتضي هذه الشهادة أن لا نتبع إلا رسول الله ρ ، وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية ، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1776 ، آخر حوار مع الشيخ .

(2) كتاب العلم ، صـ122. ، ط : دار الثريا .

من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم ، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها ، مِن الأمور التي لا يمكن أن يحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها .

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء ؛ نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً ؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه ، يأخذون مثلاً صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث ، مع أن في الأحاديث ما هو عام ، ومخصص ، ومطلق ،

ومقيَّد ، وشيء منسوخ ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك ؛ فيحصل بهذا الضلال الكبير " أ هـ . [1]

π π π

(1) كتاب العلم ، صـ50 ، ط : دار الثريا .

المبحث الثاني :

ـ ما تميز به فقه ابن عثيمين :

مرَّ معنا في المبحث السابق أنّ التأسيس الفقهي المتين للشيخ رحمه الله تعالى قد أنتج فقها متميزاً كان له سمات خاصة ، بلغ به الشيخ مرتبة

الاجتهاد ، واستحق لقب الفقيه ، وقد أطلقها عليه عدد من أهل العلم ، منهم :

شيخنا العلامة :

عبد المحسن بن حمد العباد البدر ، حيث قال عنه : " مكانته العلمية لا تخفى على أحد ، فهو عالم كبير ، وفقيه متمكن ". [1]

الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد الجطيلي :

" بعض العلماء يختص ويتخصص في قسم من العلوم الشرعية ؛ لكن الشيخ محمد العثيمين حاز الأصول والفروع بالتحقيق ، والتدقيق " . [2]

وقال الشيخ مساعد السلمان :

" لقد تميز شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، باستنباطه للفوائد الفقهية من الأدلة الشرعية ،

فتجده رحمه الله تعالى ينتقي الفوائد من النصوص الشرعية دون تكلف وعناء،وكأنما سطرت أمام

---

(1) من محاضرة بعنوان (الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته) .

(2) جريدة الجزيرة ، العدد 1335 .

عينيه .. " . [1]

وقال فضيلة الشيخ صالح بن حميد عنه : " هو الإمام العالم العلامة ، حبر العلوم ، بحر المعارف ، شيخ الفقه وإمام السنة .. " . [2]

وقال فضيلة الشيخ صفوت نور الدين رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، عنه : " العالم الفقيه " . (3)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : " وقد كان صرحاً من صروح العلم والمعرفة ونموذجاً للعلماء والفقهاء المجتهدين .. " . (4)

وقال الشيخ الدكتور سليمان بن حمد الصقري – عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام بفرع القصيم – :

" .. كان فقيهاً مجتهداً له آراء يخالف فيها المذهب صاحب مدرسة فقهية متميزة .. " . (5)

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

" وإن نظرت إلى علم الشيخ في الفقه ؛ فأنت واجدٌ علماً غزيراً ، وفهماً متيناً... " . (6)

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1785 .

(2) جريدة الوطن ، العدد 115 .

(3) جريدة البلاد ، العدد 16230 .

(4) عكاظ ، العدد 12558 .

(5) عكاظ ، العدد 12558 .

(6) جريدة الرياض ، العدد 11891 .

وقال الشيخ سليمان عبد العزيز الربعي :

" فقدت الأمة المسلمة بوفاته – رحمه الله – عالماً موسوعياً كبيراً ، وفقهياً ضليعاً ، مجتهداً ومعلماً أميناً نصوحاً من الرعيل الأول ". (1)

هذا الفقه المتميز للشيخ كانت له معالم وسمات بارزة ، سنلقي الضوء على ما تيسر منها :

1 سهولة العبارة :

تميز فقه الشيخ رحمه الله تعالى بسهولة عبارته ، ويسر أسوبه ، ووضوح كلماته ، فليست ألفاظه بالغريبة الوحشية التي تحتاج معها اصطحاب قاموساً لفك رموزها ، وليست عباراته بالمتقعرة ، بل يستحق أن يطلق على أسلوبه (السهل الممتنع) فيفهمه العامي من أول وهلة ، ويجد فيه طالب العلم بغيته .

ومن أمثلة ذلك :

سُئل رحمه الله تعالى :

إذا خشي الإنسان إن قضى حاجته أن تفوته صلاة الجماعة ، فهل يصلي وهو حاقن ليدرك الجماعة ، أو يقضي حاجته ولو فاتته الجماعة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : يقضي حاجته ويتوضأ ، ولو فاتته الجماعة ، لأن هذا عذر ، وقد قال النبي ρ : " لا صلاة بحضرة طعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان " . (2)

---

(1) جريدة الرياض ، العدد 11893 .

(2) فتاوى أركان الإسلام ، ص340 ، سؤال رقم 264 ، جمع : فهد السليمان .

فانظر – يرحمك الله – إلى طول السؤال ، وقصر الجواب .

وسئل رحمه الله تعالى :

ما هي شهادة الزُّور ؟ وهل تبطل الصوم ؟

فأجاب :

شهادة الزُّور من أكبر الكبائر ، وهي أن يشهد الرجل بما لا يعلم ، أو بما يعلم خلافه ، ولا تبطل الصوم ، ولكن ؛ تنقص أجره . (1)

وسُئِل :

ما المراد بالاضطباع ؟ ومتى يشرع ؟

فأجاب : الاضطباع أن يكشف الإنسان كتفه الأيمن ، ويجعل طرفي الراء على الكتف الأيسر ، وهو مشروع في طواف القدوم ، وأما في غيره فإنه ليس بمشروع . (2)

وهذا لا يعني أنه لا يوجد للشيخ إجابات مُسْهَبة ، بل قد يكون للشيخ رسائل في مسألة واحدة في تعريفها وأحكامها وما يتعلق بها ، وذلك لأن لكل مقام مقالاً ، ولكل حادث حديثاً .

ومن ذلك :

1. رسالة في الصلاة والطهارة،وأهل الأعذار. كتبها سنة 1400هـ.
2. رسالة في مواقيت الصلاة . كتبها سنة 1400هـ.
3. رسالة في سجود السهو . كتبها سنة 1400هـ.

---

(1) فتاوى أركان الإسلام ، س : 434 ، ص : 485 .

(2) المصدر السابق ، س : 496 ، ص : 540 .

4. رسالة في أحكام الأضحية والزكاة .
5. رسالة في أقسام المداينة . وغيرها ..

٦. ربط الحكم بدليله أو تعليله .

وهذا الجانب بارز في فقه الشيخ يقف عليه المتأمل في كتبه ورسائله وفتاواه من أول وهلة ، فهو منهج للشيخ اختطه لنفسه ، ولا يحيد عنه في تعليمه وتدريسه وخطبه وفتاواه .

وقد لفت نظر المهتمين بالعلم ؛ علماء وطلاب ، فوثقوا في فقهه من أجل ذلك ، فهو يدور مع الدليل حيث دار ، ولا يقف عند ذلك ، بل إذا كانت المسألة مما اشتد فيها النزاع فإنه يحقق الدليل ، ويذكر درجته وتخريجه ، وهذا من آثار نبذه للتقليد والتعصب وهو يورد الدليل بين طلاب العلم بالطريقة المنهجية المعروفة من إيراد النص وتخريجه أو عزوه ، أو ذكر القياس وأركانه ، ونحو ذلك .

وأما بالنسبة للعوام ونحوهم ؛ فيبسط لهم الدليل ، ويشرحه لهم بما يفهمه مثلهم ، وهذا من حسن تعليمه ، ودماثة خلقه ، وتمام نصحه للأمة ، لذا أحَبَّه العامي والعالم ، ووثق في فتياه المرأة والرجل ، والصغير والكبير .

فإذا لم يجد دليلاً ظاهراً للحكم فإنه يلجأ إلى التعليل المستقيم المبني على الأصول المشهورة عند أهل العلم ، وإلا فإن الشيخ يحتاط في المسألة ، ويتوقف فيه ، وتكون محل تردد .

ومن أمثلة ذلك :

ما ذكره في مسألة الخلاف بين أهل العلم في حكم مس الذكر هل هو ناقض للوضوء أم لا ؟

قال رحمه الله تعالى :

" والخلاصة أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقاً سواء بشهوة أو بغير شهوة ، وإذا مسه لشهوة فالقول بالوجوب قوي جداً لكنه ليس بظاهر ، بمعنى أني لا أجزم به ، والاحتياط أن يتوضأ " . (1)

ومما يدل على أن الشيخ يدور مع الدليل حيث دار ، رده القول باشتراط ثبات الخف بنفسه ؛ لكي يمسح عليه، حيث رجح الشيخ عدم الاشتراط، وقال :

" على المذهب لا يجوز ، وعلى القول الراجح يجوز ، ووجه رجحانه أنه لا دليل على هذا الشرط ، فإذا قال قائل : فما هو الدليل ؟ نقول : الدليل عدم الدليل .. " . (2)

٣ إظهاره مقاصد الشريعة ، وأسرارها ، وحكمها .

وقد أوتِي الشيخ في هذا فهماً ثاقباً ، وفتحاً مبيناً ، فيأتي من حِكَم الشريعة وأسرارها بما يبهر الألباب ، ويأخذ بقلوب السامعين ، فتخبت قلوبهم لله رب العالمين ، لما وقفوا عليه من آياته العظيمة ، وحكمته الباهرة .

ومن ذلك :

---

(1) الممتع (234/1) ، وقارن بما في مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (203/4) .

(2) الممتع (192/1) .

لما انتشر استعمال (المايكروفون) في المساجد ، وحصل حوله خلاف في شرعيته ، كتب الشيخ لأحد الناس رسالة ، جاء فيها .

وبعد:فإننا لا نرى بأساً بوضع مكبر الصوت الذي يسمى (المايكروفون) في المنارة للتأذين به ، وذلك لما يشتمل عليه من المصالح الكثيرة ، وسلامته من المحذور ، ويدل على ذلك أمور .. " .

وذكر الشيخ ثمانية أدلة ، ملخصها :

الأول : أنه مما خلق الله تعالى لنا في هذه الأرض وقد أحله لنا ، كما يفيده قوله تعالى : [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً] .

الثاني : أنه من القواعد المقررة عند أهل العلم (أن الأصل في الأعيان والمنافع الحِل والإباحة إلاّ ما قام الدليل على تحريمه) .

الثالث : أن قاعدة الشرع الأساسية (جلب المصالح ، ودفع المفاسد) .

والمايكروفون يشتمل على مصالح : كالمبالغة برفع الصوت بتكبير الله تعالى وتوحيده ، والشهادة لرسوله ρ بالرسالة ، والدعوة إلى الصلاة خصوصاً وإلى الفلاح عموماً .

ومن مصالحه : تنبيه الغافلين ، وإيقاظ النائمين .

ومع هذه المصالح ليس فيه مفسدة تقابل أو تقارب هذه المصالح ، بل ليس فيه مفسدة مطلقاً فيما نعلم .

الرابع : أن من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية (أن الوسائل لها أحكام المقاصد) .

والمايكروفون وسيلة ظاهرة إلى أسماع الناس الأذان والدعوة إلى الصلاة ، وإبلاغهم ما يلقى في المساجد من خطب ومواعظ ، وإسماع الناس الأذان

من الأمور المأمور بها بإجماع أهل العلم ، فما كان وسيلة إلى تعميمها وإيصالها إلى الناس كان مأموراً بها أيضاً .

الخامس : اشتراط أهل العلم في المؤذن أن يكون صيتاً ، أي رفيع الصوت ، والمايكروفون من وسائل ذلك بلا شك ، فيكون مطلوباً .

السادس : أن النبي ρ كان يتحرى من كان عالي الصوت في إبلاغ الناس .

السابع : قياس تكبير الصوت على تكبير النظارة للحروف والكلمات فمن أحّل هذه أجاز تلك ولابد .

الثامن : أنه يستعمل في أفضل المساجد : المسجد الحرام ، ومسجد النبي ρ من غير نكير من أهل العلم .. [1] انتهى ملَخّصاً

فانظر – رحمك الله – إلى فقه الشيخ في بيان مقصد الشريعة من الأذان وهو الإعلام برفع الصوت بالشهادتين ، وحث الناس على الصلاة والفلاح ، وكيف بين أن مكبر الصوت وسيلة مفيدة في ذلك .

وأيضاً حرص الشرع على إيصال المواعظ والخطب والدعوة عموماً إلى أقصى ما يُستطاع للأمر العام بالبلاغ ، وأن هذا أحد وسائله .

وقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : فضيلة الشيخ : هل يجوز الصيد بدون حاجة ، بل لمجرد ممارسة

---

(1) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (13/91-95) .

هواية الصيد فحسب ، بحيث إنه يرمي الصيد ويتركه ميتاً ، ولا يستفيد هو منه ولا غيره ، وكذلك ما الحكم في صيدها من أجل أن يتسلى الصغار بها ؟

فأجاب رحمه الله تعالى ما ملخصُّه :

ج : " الصيد لهواً وعبثاً محرم ؛ لما في ذلك من اللهو والغفلة عن ذكر الله، ولأن ذلك يوجب ضياع المال في غير فائدة ، وقد صرّح بعض العلماء بكراهته ، ولكن قواعد الشريعة تقتضي تحريمه ؛ لأن النبي ρ نهى عن إضاعة المال ، ومطاردة الصيد لأجل صيده وتركه لا شك إنه من السّفه وقد قال الله تعالى : [وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً] . [النساء : 5] وأما صيد الصيود من أجل أن يتسلى بها الصغار فلا بأس بها ... " . (1)

4 عنايته بالتقاسيم :

ولقد اشتهر الشيخ رحمه الله تعالى بعنايته بتقسيم الجواب أو الفتيا أو المسألة إلى أقسام؛ والكلام على كل قسم تأصيلاً واستدلالاً، ومن ذلك :

- قوله في التسمية :

(تكون واجبة؛في الوضوء. وتكون مستحبة؛ كالتسمية عند الأكل ، على رأي الجمهور ، وقال بعض العلماء : إنها واجبة وهو الصحيح ، وتكون بدعة عند الأذان مثلاً ، إذا أراد أن يؤذن قال : [بسم الله الرّحمن ـــ

(1) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات ص110. ، جمع خالد أبو صالح .

الرّحيم] ، وكذا عند الصلاة .

أمّا عند قراءة القرآن فتقرأ في أول السورة ، وأما في أثناء السورة فقال بعض العلماء : يستحب أن يقول : بسم الله ، ورد بعض العلماء هذا – وهو الصحيح – وقال إن الله لم يأمرنا عند قراءة القرآن إلاّ أن نقول : [أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] فإذا أردت أن تقرأ في أثناء السورة فلا تسمي) . [1]

- تقسيمه لخروج الناس للنزهة إلى ثلاثة أقسام :

قال رحمه الله تعالى :

(إن كثيراً من الناس في أيام أجازة الربيع يخرجون إلى البرّ للنزهة والأنس مع أصحابهم وإخوانهم ، وهذا من الأمور المباحة ، لكن ينقسم الناس في الخروج إلى ثلاثة أقسام :

1- قسم يكتسبون به إثماً ، فتجد عندهم من آلآت اللهو موسيقى ، أغانٍ ، ألعاب محرمة ، يحصل منها شرّ ، ويكون ذلك وبالاً عليهم .

2- وقسم آخر يقضون هذا الوقت في اللغو واللهو ، وإن لم يصل إلى درجة التحريم .

3- والقسم الثالث : من يستعمله بالدعوة إلى الله ، ويكون إذا بقي في مخيم يتلو كتاب الله ، يقرأ في كتب التفسير، في كتب الحديث ، ويتجول بين المخيمات للدعوة إلى الله عز وجل ، والترغيب والترهيب ، يهدي الله

---

(1) الشرح الممتع (1/132-133) .

به بشراً كثيراً) . [1]

- تقسيمه للناس في كيفية قضاء الإجازة إلى خمسة أصناف :

الأولـــ : من يذهب إلى العمرة وزيارة المسجد النبوي .

الثـــاني : من يخرج للنزهة .

الثـــالث : من يبقى في بلده .

الـرابــع : من يخرج في الدعوة إلى الله .

الخامس : من يخرج خارج البلاد للمتعة . (2)

- تقسيمه لحال المأموم مع الإمام إلى أربعة أقسام :

قال رحمه الله تعالى : (حال المأموم مع إمامه تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأولـــ : مسابقة .

الثـــاني : تخلف .

الثـــالث : موافقة .

الـرابــع : متابعة) . (3)

وشَرَع الشيخ رحمه الله تعالى في بيانها بأدلتِها .

- تقسيم التأويل إلى قسمين :

قال رحمه الله تعالى : (والتأويل قسمان : صحيح مقبول ، وفاسد مردود

1- فالصحيح : ما دلّ عليه دليل صحيح كتأويل قوله تعالى : [وَاسْأَل

---

(1) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرّحلات . إعداد : خالد أبو صالح .

(2) المصدر السابق ، صـ17. .

(3) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (498/12) .

القَرْيَةَ] إلى معنى : واسأل أهل القرية ؛ لأن القرية نفسها لا يمكن توجيه السؤال إليها .

2- والفاسد : ما ليس عليه دليل صحيح كتأويل المعطلة قوله تعالى : [الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى] إلى معنى استولى والصواب أن معناه العُلُوّ والاستقرار من غير تكييف ولا تمثيل) . [1]

ولا شكّ أن تقسيم مسائل العلم أقرب لفهمها ، وأضبط لحفظها ، وأسهل لتذكّرها ، وهي طريقة كثير من المحقّقين من السلف والخلف .

٥ عنايته بالفروق :

كذا عُرف رحمه الله تعالى بعنايته بذكر الفروق في الألفاظ والكلمات أو الأحكام والمصطلحات ، وهذا باب خطير جداً؛ إذا لم يتقنه طالب العلم؛ فإنه سيقع في خلطٍ عظيم واضطراب هائل لتفريقه بين المتماثلات ، وتسويته بين المختلفات ، كما حصل ويحصل ممن لم يتقن هذا الباب ، وقد كتب فيه المتقدمون والمتأخرون ، فمن المتقدمين القرافي رحمه الله تعالى في كتابه (الفروق) ومن المتأخرين شيخ المترجم العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة) ولقد وَرِث المترجم من شيخه السعدي هذا الإرث العظيم ، فقد كان بارعاً رحمه الله تعالى في هذا الباب .

---

(1) الأصول من علم الأصول ص58 ، ط : م الرسالة 1418هـ .

ومن ذلك :

- **الفرق بين مسح الرأس وغسله في الوضوء :**

قال رحمه الله تعالى : (الفرق بين المسح والغسل أن المسح لا يحتاج إلى جريان ، بل يكفي أن يغمس يده في الماء ثم يمسح بها رأسه مبلولة بالماء ، وإنما أوجب الله في الرأس المسح دون الغسل ، لأن الغسل يشق على الإنسان ولا سيما إذا كثر الشعر ، وكان في أيام الشتاء ، إذ لو غسل لنزل الماء على الجسم ، ولأن الشعر يبقى مبتلاً مدة طويلة ، وهذا يلحق الناس به العسر والمشقة ، والله إنما يريد بعباده اليسر) . [1]

- **الفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني .**

قال رحمه الله تعالى : (ذكر العلماء أن بينهما ثلاثة فروق :

الأول : أَنَّ الفجر الأول ممتد لا معترض ، أي ممتد طولاً من الشرق إلى الغرب ، والثاني معترض من الشمال إلى الجنوب .

الثاني : أن الفجر الأول يظلم ، أي يكون هذا النور لمدة قصيرة ثم يظلم، والفجر الثاني لا يظلم ، بل يزداد نوراً وإضاءة .

الثالث : أنَّ الفجر الثاني متصل بالأفق ليس بينه وبين الأفق ظلمة ، والفجرُ الأول منقطعٌ عن الأفق بينه وبين الأفق ظلمة) . [2]

- **الفرقُ بين : الأداء ، والإعادة ، والقضَاء .**

قال رحمه الله تعالى :

(**1**) الشرح الممتع (150/1) .

(**2**) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (207/12) .

(الأداء : ما فعل في وقته لأول مرّة .

والإعادة : ما فعل في وقته مرة ثانية

والقضاء : ما فعل بعد وقته) . [1]

- **الفرق بين الفاسد والباطل .**

قال رحمه الله تعالى :

(والفاسد والباطل بمعنى واحدٌ إلاّ في موضعين :

الأول : في الإحرام ، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما وطئ فيه المحرم قبل التحلل الأول ، والباطل ما ارتد فيه عن الإسلام .

الثاني : في النكاح ، فرقّوا بينهما بأن الفاسد ما اختلف العلماء في فساده كالنكاح بلا ولي ، والباطل ما أجمعوا على فساده ، كنكاح المعتدة). [2]

٦ عنايته بالقواعد الفقهية .

اعتنى الشيخ رحمه الله تعالى بإبراز القواعد الفقهية الكلية أو الأغلبية ، وربط جزئيات المسائل بها ، وتخريجها عليها؛ عناية كبيرة ، لما في ذلك من الفائدة المرجوة للمتعلم .

فطالب العلم الذي يدرس المسائل بدون معرفة قاعدتها سرعان ما تأتيه مسألة أو مسائل لا يستظهر دليلها ، ولا يعرف كيف يردها إلى نظائرها أو إلى قاعدتها ، فيأخذه الاضطراب ويعتريه الخلل ، وقد تكون من أيسر

(**1**) الشرح الممتع (2/72-73) .

(**2**) الأصول من علم الأصول ص18. ، ط : 7 ، م الرسالة 1418هـ .

المسائل .

لذلك كله كان الشيخ رحمه الله تعالى يكثر من إيراد القواعد الفقهية ، ويطالب بها طلابه .

وقد اشتغل رحمه الله تعالى باختصار قواعد ابن رجب رحمه الله تعالى ، وله منظومة فريدة في القواعد والأصول .

ومما يذكره الشيخ من القواعد :

1- العبر في الأمور بمعانيها لا بصورها . [1]

2- يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً . [2]

3- المشقة تجلب التيسير . [3]

4- ما كان معفوّاً عنه شرعاً زال ضرره قدراً . [4]

5- ما كان تحريمه تحريم وسائل أباحته الحاجة . [5]

6- الشارع لا يُفَرّق بين متماثلين ، كما أنه لا يجمع بين متفرّقين . [6]

7- المحرم لا تبيحه إلاّ الضرورة . [7]

وذكر الشيخ محمد صالح المنجّد عدة قواعد أخر :

---

(1) الشرح الممتع (207/1) .

(2) المصدر السابق (434/1) .

(3) المصدر السابق (439/1) .

(4) المصدر السابق (357/1) .

(5) المصدر السابق (211/2) .

(6) المصدر السابق (207/1) .

(7) المصدر السابق (211/2) .

8- البدل له حكم المبدل منه .

9- عدم السبب المعين لا يقتضي سبب المعين .

10- اليقين لا يزول بالشك .

11- الشيء في معدنه لا حكم له .

12- ما شك في وجوده فالأصل عدمه .

13- الفرع أضعف من الأصل .

14- كل ما وجب في العبادة فإن فواته مبطلٌ لها .

15- القضاء يحكي الأداء . [1]

وذكر أحد تلاميذ الشيخ وهو الأخ خالد بن صالح النزال أنه قرأ على الشيخ هو وأحد الطلاب أكثر من مائة قاعدة فقهية ، وهو يمشي ، وهي مسجلة كاملة . [2]

وسأذكر عدداً من القواعد الفقهية والأصولية التي دونتها أثناء حضوري لدروس الشيخ رحمه الله تعالى في شرح بلوغ المرام ، ومعها بعض الفوائد الأخرى ، وذلك في حدود سنة 1403هـ ، وما بعدها .

- فوائد وقواعد فقهية وأصولية متنوعة مما كتبته خلف الشيخ .

من التعليقات على بلوغ المرام :

1) قاعدة : لازم قول العالم ليس قولاً له .

---

(1) محاضرة للمنجد بعنوان 100 فائدة من الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

(2) جريدة الرياض ، العدد 11893 .

2) قاعدة : لا يلزم من العدل المساواة .

3) فائدة : اسم (الصمد) أجمع ما قيل فيه أنه الكامل في صفاته ، المفتقر إليه جميع مخلوقاته .

4) فائدة : الحصر في العدد يوجب تذكر المعدود .

5) فائدة : التفصيل بعد الإجمال أشوق للسامع .

6) سميت الدنيا دنيا لدنوّها زمناً ودنوها رتبة ، لأنها دون الآخرة .

7) قاعدة: العلة المنصوصة يلحق بها كل ما يشترك معها في الحكم .

8) فائدة : الصحيح أن آخر وقت العشاء منتصف الليل ، وينبني على هذا : إذا طهرت الحائض بعد منتصف الليل فإنه لا يلزمها القضاء .

9) فائدة : سجود الشكر ، ذكرٌ ، يجوز بغير وضوء .

10) قاعدة : إذا جاء الخبر بمعنى النهي فهو تأكيد له .

11) قاعدة : والشّك بعد الفعل لا يؤَثّر

وهكذا إذا الشّكوك تَكثرُ

12) قاعدة : وكلّ ما أتى ولم يحدّد بالشرعِ

كالحِرز فبالعرف احددِ

معنى القاعدة : أن ما جاء من الأمور ولم يحدّد شرعاً رجع فيه إلى العرف .

13) قاعدة : قال : قال شيخ الإسلام : (لا يوجد حكم متعلقٌ بشخص ، ولا تتعلق الأحكام إلاّ بالمعاني) .

14) فوائد قرن الحكم بالعلة :

أ- بيان سمو الشريعة .

ب- طمأنينة القلب .

ج- شمول الحكم بوجود العلة .

15) قاعدة : كلّ شيء وُجد سَببه في عهد الرّسول ρ ولم يفعله ؛ ففعله غير مشروع ؛ لأن فعله ρ سنة ، وتركه سنة .

16) فائدة : على العابد أن :

أ- ينوي العبادة .

ب- ينوي الامتثال .

ج - ينوي نية المعمول له .

د - استحضار الاتباع .

17) فائدة : العَجَب نوعان :

- عجب إنكار .

- عجب استحسان .

18) قاعدة : إذا كانت العلة منصوصة فتخصص العمُوم ، وإلا فلا .

19) قاعدة : إذا كان القيد أغلبيّاً فلا مفهوم له ، مثاله قوله تعالى : [وَرَبَائِبُكُم اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ] .

20) النهي عن الشيء يتعلّق بكلّه وجزئه لأنه مفسدة ، والأمر بالشيء يتعلق بالشيء كله ، فلا يحصل الامتثال إلا بكلّه .

21) قاعدة : الشرط العرفي المطرد كالشرط اللفظي .

22) قاعدة : اذا اختلف العلماء على قولين مع عدم وجود دليل مرجح ؛ فالأخذ يكون بالأيسر على الأمة .

23) فائدة لغوية : ابتداء الغاية داخل ، وانتهاؤها خارج ، وهذه ليست قاعدة مطردة بل أغلبية ، ويعرف ذلك بالقرينة .

24) قاعدة : مباشرة الممنوع للتخلص منه جائز .

25) قاعدة : لا يمكن لدليلين قطعيّين أن يتعارضا .

7 ميله لترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى ، ومخالفته لهما فيما ترجح عنده خلافه .

قد سبق بيان أن الشيخ تأثر كثيراً بكتابات الشيخين ، وكانت كتبهما له صبوحاً وغبوقاً ، وذلك لقوة استدلالهما ، وثبات منهاجهما .

ومع ذلك فإنه لم يكن مقلِّداً لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ولا لتلميذه ، ولم يكن ظلاًّ لهما ، بل كان يأخذ بما قويت فيه الحجة، وظهرَت المحجّة، ويكرّر كلمة ابن القيم رحمه الله تعالى : (شيخ الإسلام حبيب إلينا ، والحقّ أحبّ إلينا من شيخ الإسلام) .

ومن المسائل المشهورة التي وافق فيها شيخ الإسلام :

1- (مسألة إيقاع الطلاق الثلاث واحدة ، وهو أيضاً مذهب شيخه العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى .

2- مسألة عدم تحديد مسافة القصر بمقدار معين ، بل ما يطلق عليه السفر هو المبيح للقصر .

3- مسألة عدم قبول توبة ساب الرسول عليه الصلاة والسلام . [1]

4- جواز عيادة أهل الذمة للمصلحة ، كالدعوة إلى الإسلام . [2]

5- مشروعية أخذ الجزية من كلّ كافر . [3]

ومع ذلك فقد خالف شيخ الإسلام في أمور ظهر له أن الدليل خلافها ، وقد ذكر الأخ وليد الحسين عدداً من هذه المخالفات، أذكرها نقلاً عنه :

1- يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة ، ويرى شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى أنها واجبة .

2- يرى شيخ الإسلام أن المتمتع في الحج يكفيه سعي العمرة عن سعي الحج ، ويرى شيخنا أن سعي العمرة لا يكفي عن سعي الحج .

3- يرى شيخ الإسلام جواز سفر المرأة بلا محرم مع الأمن ، ويرى شيخنا عدم جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً .

4- يرى شيخ الإسلام جواز الجمع بين الأختين من الرضاع ، ويرى شيخنا التحريم .

5- يرى شيخ الإسلام جواز دفع الزكاة في قضاء دين الميت الذي لم يخلف وفاء ، ويرى شيخنا عدم الجواز .

6- يرى شيخ الإسلام جواز تعفير الوجه بالتراب تذلّلاً لله تعالى ، ويرى شيخنا ضعف هذا القول ؛ لأن الأصل في العبادات المنع

---

(1) الشرح الممتع (100/8) .

(2) المصدر السابق (86/8) .

(3) المصدر السابق (63/8) .

والحظر ، حتى يقوم دليل على المشروعية .

7- يرى شيخ الإسلام أن للأم الثلث مع الإخوة المحجوبين بالأب ، ويرى شيخنا أن للأم السدس ، أي أن الإخوة يحجبونها حجب نقصان مع أنهم غير وارثين .

8- يرى شيخ الإسلام جواز الزيادة بين الربويّيْن من جنس واحد في مقابلة الصنعة ، ويرى شيخنا عدم الجواز للعمومات الدالة على أن الذهب بالذهب لا بد فيه من التساوي سواءً بسواءٍ .

9- يرى شيخ الإسلام أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية وهو المذهب ، ويرى شيخنا وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية) . [1] إ هـ

ومما لم يذكره :

10- مسألة الشراء ممن أُكره على بيع الشيء ، هل يشرع الشراء منه أو يحرم ؟

يرى شيخ الإسلام صحة الشراء ، ويرى شيخنا التفصيل ، فإذا كان ترْك الشراء سيجعل المُكره يرجع عن إكراهه حَرُم الشراء ، وإلا جاز لأنه من باب الإحسان إليه . [2]

٨ سعة استنباطاته من الأدلة .

وقد اشتهر رحمه الله تعالى بسعة فقهه ، وقوة استنباطاته من الأدلة ،

---

(1) مجلة الحكمة ، العدد الثاني 1414هـ .

(2) الشرح الممتع (123/8) .

وغزارة الفوائد التي يستخرجها من الآية الواحدة .

وقد ذكر الشيخ أنه استنبط من آية القصاص أكثر من إحدى وعشرين مسألة . (1)

وذكر الشيخ سليمان الضحيّان أن الشيخ استنبط منها (بضعاً وثمانين) فائدة . (2)

وسأكتفي هنا بذكر آية واحدة استنبط منها الشيخ ثلاثاً وثلاثين فائدة ، ألا وهي آية الوضوء .

قال تعالى : [يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] . [المائدة : 6] .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (يؤخذ من هذه الآية الكريمة عدة فوائد :

أَوّلاً : أهمّية الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر بقسميها : المائية والترابية ، ونأخذ الأهمية من أنّ الله صدّر الخطاب عنها بالنداء .

ثانياً : أن الوضوء من مقتضيات الإيمان ، لأن الخطاب به صدَّر بـ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] وأن الإخلال به نقص في الإيمان .

---

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

(2) مجلة المعرفة ، العدد 69 .

ثالثاً : عناية الله سبحانه وتعالى بالصلاة ؛ حيث فرض علينا أن نتطهّر إذا قمنا إليها ، فغيرها من العبادات لا يشترط له الطهارة ، ولم يجمع العلماء على أن شيئاً من العبادات تشترط له الطهارة إلا الصلاة ، وما عداها ففيه خلاف .

فمثلاً : الطواف بالبيت جمهور أهل العلم على أنه يشترط له الطهارة ، وذهب بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنّه لا يشترط له الطهارة .

مس المصحف : جمهور العلماء أو أكثرهم على أنه لا يجوز إلا بطهارة ، وذهب بعض العلماء ومنهم الشوكاني إلى أنه لا يشترط له الطهارة ، وأظُن أهل الظاهر كذلك .

رابعاً : من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة ، لقوله : [إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَة] . والصلاة على الجنازة صلاة ، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثيرة عن النبي ρ مثل قوله ρ : " من شهد الجنازة حتى يُصلي عليها فله قيراط " وقال : " صلوا على صاحبكم " ودفن شهداء أحُد ، ولم يصَلّ عليهم .

وهي أحاديث لا تُحصر ، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت ، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة .

بقي عندنا سجود التلاوة ، وسجود الشكر – إن قلنا إنهما صلاة اشتُرط لهما الطهارة ، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير ويختمان بالتسليم قال : إنهما صلاة ، وتجب لهما الطهارة ، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير ، ولا يُختمان بالتسليم قال : لا يُشْترط لهما الطهارة .

خامساً : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الوجه في الوضوء ، وتأخذ من قوله : [فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ] والأصل في الأمر الوجوب .

سادساً : ومن فوائد الآية الكريمة تحريم مسح الوجه لقوله : [اغْسِلُوا] وقوله في الرأس : [وَامْسَحُوا] ففرّق الله تعالى بين الغسيل والمسح .

سابعاً : من فوائد الآية أنه يجب في الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء لأنه لو كان على العضو مانع يمنع الماء لم يصدق عليه أنه غسله ، ولهذا يجب على الذين يمارسون الشغل في " البوية " أن يلاحظوا ذلك ، لأن " البوية " تمنع وصول الماء فإذا منعت وصول الماء لم تصح الطهارة .

ثامناً : من فوائد الآية الكريمة شرف الوجه ، لأن الله بدأ به .

تاسعاً : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب غسل الكفين قبل غسل الوجه : يعني لو أن الإنسان توضأ ، وبدأ بغسل وجهه دون أن يغسل كفيه ، فوضوؤه صحيح ، ما وجه الدلالة من الآية ؟

لأن الله لم يذكر ذلك ، ولو كان واجباً لذكره الله عز وجل ، لكن غسل الكفين في مقدمة الوضوء سنة ، فعله النبي ρ .

عاشراً : من فوائد الآية الكريمة وجوب المضمضة والاستنشاق ، وتؤخذ من قوله : [اغْسِلُوا وجُوهَكُمْ] لأن الأنف والفم داخلان في مسمى الوجه ، وعلى هذا فتجب المضمضة والاستنشاق .

المضمضة هي : إدارة الماء بالفم ، والاستنشاق هو : سحب الماء إلى داخل الأنف، وقد أمر النبي ρ بالمبالغة في الاستنشاق إلاّ أن يكون الإنسان صائماً .

الحادية عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل اليدين إلى المرفقين لقوله تعالى : [وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ] ولكن هل تدل الآية على أن الإنسان يبدأ بغسل يده من أطراف الأصابع إلى المرفقين ؟

الجواب : قال بعض العلماء : إن في الآية دليلاً على أنه ينبغي أن تغسل اليد من أطراف الأصابع مارّاً بها إلى المرفق .

الثانية عشرة : ومن فوائدها وجوب مسح الرأس لقوله : [وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ] وأن المسح يَجب تعميم الرأس به ، لقوله : [بِرُؤُوسِكُمْ] ولم يقل: ببعض رؤوسكم .

مسألة : لو غسل الإنسان الرأس بدل مسحه ، هل يجزئه ؟

الجواب : هذا ينبني على تقييد النص بالعلة ، نحن نعلم أن الحكمة في مسح الرأس هو التخفيف عن الأمة ، لأن الرأس لو غسل والغالب أن فيه شعراً تأذى الإنسان منه ، ولا سيما أيام الشتاء ، قال بعض العلماء : إنه يجزئه غسله بدلاً عن مسحه ، وقال بعض العلماء : إن الغسل لا يجزئ ، لماذا ؟

الجواب : لأنه خلاف أمر الله ، وقد قال النبي ρ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " إذاً فلا يجزئ الغسل بدلاً عن المسح .

وقال آخرون : يجزئ الغسل إن أمرَّ يده على الرأس لأنه أتى بالمسح وزيادة ، وهذا القول أرجح ، ومع ذلك فإننا نقول إن هذا خلاف الأولى وأن الأولى أن يمسح الإنسان رأسه كما أمر الله به .

الثالثة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب مسح الأذنين لأن الأذنين من الرأس ، وعلى هذا فتكون الآية دالة على وجوب مسح الأذنين لأنهما من الرأس .

الرابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين ، لقوله : [وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ] .

الخامسة عشرة : من فوائدها جواز المسح على الخفَّين والجَوربَينِ على قراءة : [وَأَرْجُلِكُمْ] بالكسر .

السادسة عشرة : من فوائدها وجوب الترتيب بين الأعضاء الأربعة ، فنبدأ بالوجه ، ثم اليدين إلى المرفقين ، ثم الرأس ، ثم الرِّجلين ، ويؤخذ من أن الله بدأ بها

مرتّبة ، ولأن الله عز وجل أدخل ممسوحاً بين المغسولات ، والبلاغة تقتضي أن تذكر المغسولات وحدها والممسوح وحده إلاّ لسبب ، ولا نعلم لذلك سبباً إلا مراعاة الترتيب ، وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على الترتيب من وجهين .

الوجه الأول : أن الله ذكرها مرتّبة ، والنبي ρ حين أقبل على الصفا ليسعى قرأ : [إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ] ثم قال : " أبدأ بما بدأ الله به " وفي رواية للنسائي " أبدوا بما بدأ الله به " بصيغة الأمر .

الوجه الثاني من الدلالة على الترتيب : أن الله تعالى أدخل الممسوح بين المغسولات ولا نرى لذلك فائدة إلا مراعاة الترتيب .

السابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب الترتيب بين اليمنى واليسرى ، وأنه لو قدّم اليسرى على اليمنى أجزأه ، ويؤخذ من أنه قال : [وأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ] ولم يقل واليد اليمنى ، ثم اليد اليسرى ، وقال : [وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ] ولم يقل اليمنى قبل اليسرى ولكن مع ذلك التيامن أفضل ، قالت عائشة رضي الله عنها : "كان النبي ρ يعجبه التّيمن في تنعّله وترجّله وطهوره وفي شأنه كلّه " .

الثامنة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب الموالاة ، يعني ألا تُؤَخر غسل عضو عن الذي بعده بزمن كبيرٍ تنقطع به الموالاة ، لأنها ذكرت متوالية ، وهي واقعة في جواب الشرط . والشرط [إِذَا قُمْتُمْ] وجواب الشرط [فَاغْسِلُوا] ومعلوم أن جواب الشرط يلي المشروط ، فإذا كان جواب الشرط يلي المشروط ، وقد ذكرت الأعضاء مرتّبة دلّ على ذلك أنه لا بد من الموالاة ، وقد جاءت السنة بذلك ، وأنّ الرجل لو أخّر غسل عضوٍ عن الذي قبله بزمن كثير يعد منفصلاً وجب عليه الإعادة .

التاسعة عشرة : وفي الآية الكريمة جواز المسح على الخفين ، وكذلك على الجوربين ، وقد سبق الفرق بين الخفّين والجوربين : وأن الخفين من جلود وشبهها ، والجوربان تكون من الصوف والقطن والكتان وما أشبه ذلك ، وتسمى الجوارب عند الناس " الشُّرّاب " وعلى هذا فيجوز المسح على الخفين أو الجوارب بدلالة القرآن في هذه الآية ، كما أن السنة متواترة به ، فقد تواتر عن النبي ρ أنه مسح على الخفّين ، وجاء فيه عن النبي ρ وعن الصحابة نحو أربعين حديثاً .

وقد قال الناظم :

مما تواتر حديث مَنْ كَذَب

ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض

ومسح خفين وهذي بعض

وهنا نتكلم بعض الشيء عن المسح على الخفين فنقول : يشترط لجواز المسح على الخفّين :

– أن يتقدم لبسهما طهارة ، ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : كنت مع النبي ρ في سفر فتوضأ ، فأهويت لأنزع خفيه ، فقال : " دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين " ، فلو أن أحداً لبسهما على غير طهارة للتدفئة ، ونسي فمسح عليهما ، وصلى ، هل وضوؤه صحيح وصلاته ؟

الجواب : ليس وضوءه صحيحاً ولا صلاته كذلك ؛ لأنه لم يطهّر رجله الطهارة الواجبة ، وهذا ليس من باب فعل المحظور ، ولكنه من باب ترك المأمور ، وفي حديث المغيرة دليل على أن من كان عليه خفٌّ فإن مسحهما أفضل من الغسل ، ويؤخذ من قوله " دعهما " . فلو سألنا سائل : أيّهما أفضل : المسح على الخفّين أو غسل الرجلين ؟

الجواب : قلنا : الأفضل لمن كان لابساً للخفّين المسح ومن لم يلبس الخفّين فالغسل ، ثانياً : من شروط جواز المسح على الخفّين أن يكون في المدة المحدّدة ، وهي يومٌ وليلة للمقيم ، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر ، دليل ذلك حديث علي رضي الله عنه قال : " جعل النبي ρ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم يعني للمسح على الخفّين .

وحديث صفوان بن عسال رضي الله عنه ، قال : "كان رسول الله ρ يأمرنا إذا كنا سفراً " ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلاّ من جناية ، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ" .

متى تبدأ هذه المُدّة ؟

الجواب : قيل وهو قول شاذٌّ ، تبدأ من اللبس ، وقيل : تبدأ من الحدث بعد اللبس، وقيل : تبدأ من المسح بعد الحدث .

والقول الراجح أنها تبتدأ من المسح ، لأن النبي ρ قال : " يمسح " بعد الحدث .

ولا يتحقق المسح إلاّ بوجوده فعلاً ، فابتداء المدة إذاً من أول مرّة مسح بعد الحدث ، ثم عدّ أربعاً وعشرين ساعة بعد المسح إذا كنت مقيماً ، واثنتين وسبعين ساعة بعد المسح إذا كنت مسافراً ، ومن شروط المسح على الخفين أن يكون المسح في الحدث الأصغر ، أما في الجنابة فلا مسح ، ودليل ذلك حديث صفوان المتقدم وفيه " إلا من جنابة ، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ " . فإذا حصل للإنسان جنابة ، وعليه خفّان فإن الواجب عليه أن يخلعهما ليغسل رجليه ؛ لأن طهارة الجنابة أغلظ من طهارة الحدث الأصغر ، ولهذا يحرم على من عليه جنابة ما لا يحرم على من كان عليه حدث أصغر .

وإذا تمت المدّة فهل ينتقض الوضوء ؟

الجواب : الصحيح أنه لا ينتقض وضوؤه ، وأن وضوءه باقٍ ولو تمت المدّة ، لكن لا يمسح بعد تمام المدّة .ووجه كون ذلك هو القول الصحيح أن النبي ρ إنّما وقّت

المسح ، ولم يوقِّت الطهارة ، ما قال الطهارة يومٌ وليلة ، فإذا أتم اليوم والليلة فإن مقتضى ذلك ألا أمسح ، وليس مقتضاه أن يبطل وضوئي ، هذا وجه .

الوجه الثاني أن هذا الذي مسح قبل تمام المدّة بنصف ساعة ، ثمّ تمت المدة وهو ماسح، قد صحّ وضوؤه بمقتضى دليل شرعي، وما صحّ بمقتضى دليل شرعي فإنه لا يمكن إفساده إلا بدليل شرعي ، وليس لمن قال : إنه ينتقض بتمام المدّة دليل شرعي يدلّ على ذلك .

لو أن الرّجل خلع الجورب الذي مسحه ، أو الخف ، فهل تنتقض طهارته ؟

الجواب : فيه خلاف ، لكن الصحيح أن طهارته لا تنتقض ، كيف ذلك ؟

الجواب : لأننا نقول هذا الرجل الذي مسح على الجورب أو الخف صحت طهارته ، لأن المدة ما زالت باقية ، فإذا خلع الخفّ فإننا نقول : ما دامت طهارته قد صحت بمقتضى دليل شرعي فإننا لا ننقضه إلاّ بدليل شرعي .

وأين الدليل على أن خلع الخفّ ناقضٌ للوضوء ؟ ليس هناك دليل .

وأيضاً : لو أن رجلاً توضأ وعليه شعرٌ كثير على رأسه ومسحه ، ثم بعد أن أتم وضوءه حلقه ، فزال الممسوح ، فهل ينتقض وضوؤه ؟

الجواب : لا ينتقض ، حتى على قول من يقول إن الوضوء ينتقض بخلع الخفّ ، وعلى هذا إذا خلع خفّه فإن طهارته باقية ، لا تنتقض ، ولكن لا يمكن أن يعيد الخفّ مرةً أخرى إلاّ بعد أن يتوضأ ويغسل رجليه .

العشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيَمُّم ، بل وجوبه عند عدم الماء أو عند التضرُّر باستعماله ، ودليل ذلك قوله تعالى : [وَ إِن كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ] .

الحادية والعشرون : من فوائدها أن التيمُّم يكون في الحدث الأكبر والأصغر لقوله : [أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ] على التفسير الصحيح لقوله [أَوْ لاَمَسْتُمْ] بأنه الجماع .

الثانية والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الغائط ناقضٌ للوضوء ، ويؤخذ من قوله : [أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ ...] .

وهل مثله البول ؟ نعم مثله ، لأنه خارج من السبيل .

وهل مثله الريّح ؟ نعم لأنه خارج من السبيل ، وقد ثبت عن النبي ρ أنه قال : " إذا وجَد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه : أخَرَج منه شيء أم لا ؟ فلاَ يَخرُجنّ من المسجد حتّى يسمع صوتاً ، أو يجد رِيحاً " .

وهذا دليل على أن الرّيح ناقض للوضوء .

لو خرَج من السبيلين دمٌ ، ليس بولاً ولا غائطاً ولا ريحاً ولكنه دمٌ ، مثل لو كان في الإنسان بواسير ، أو تنجرح المثانة فيخرج الدم ، هل ينتقض الوضوء أم لا ؟

الجواب : نعم ، ينتقض الوضوء ، ولهذا نقول : كل خارج من السبيلين فإنه ناقضٌ للوضوء سواء كان بولاً أو غائطاً أو دماً أو ماءً أو مذياً ، أمّا المني فإنه يوجب الغسل .

الثالثة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيمم على كل أجزاء الأرض لقوله : [فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً] فيجوز التيمم على الأرض سواء كانت رملية أو طينية أو ذات تراب – غبار – أو ليس لها غبار ، لأن الله تعالى لم يفصّل .

ولأن النبي ρ وأصحابه كانوا يسافرون ، ويمرّون بالأراضي الرملية والترابية ويتيممون ، وهذا دليل على أنه يجوز التيمم بكل ما كان على وجه الأرض ، هذا إذا كان من التراب ، يعني مِنْ أصل الأرض كالأحجار والأتربة ، وما أشبه ذلك .

فإذا كانت فرشاً فهل يتيمم عليها الإنسان ؟

الصحيح أنه لا يتيمم عليها إلا إذا عدم مكاناً من الأرض وكان عنده فرش وفيها غبار فحينئذٍ يتيمم عليها .

الرابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أنه يشترط للتراب المتيَمَّمُ به أن يكون طاهراً لقوله : [فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً] .

الخامسة والعشرون : من فوائده : تساوي الطهارتين في التيمم طهارة الحدث الأصغر والحدث الأكبر لقوله تعالى : [أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ مِنْهُ] ، بينما الأعضاء المغسولة في طهارة الماء تختلف : ففي الجنابة يغسل جميع البدن ، وفي الوضوء لا يغسل إلا الأعضاء الأربعة ، أما التيمم فإن الطهارتين فيه على حدٍّ سواء ، والفرق ظاهرٌ ؛ لأن المقصود بالتيمم إظهار التّعبد لله ؛ حيث إن الإنسان يمسح أشرف أعضائه بهذا التراب ، وهذا لا يختلف فيه الموجب للغسل والموجب للوضوء ، فإن التعبد حاصل بخلاف الطهارة بالماء ، فإن فيها تنظيفاً ، فلذلك خصت الأعضاء الأربعة بالوضوء ، وجميع البدن بالغُسل .

السادسة والعشرون :

من فوائد الآية الكريمة : وجوب مسح الوجه بالتيمم ، ويؤخذ من قوله : [فَامْسَحُوا بِوجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ منْهُ] .

فلو أن رجلاً هبّت عاصفة أمامه وليس عنده ماء ، وهو ممن جازله التيمم ، فاستقبلها بوجهه حتى امتلأ وجهه ، واستقبلها بيديه حتى امتلأت غباراً ، فهذا لا يجزئه لأنه ليس فيه مسح ، والله عز وجل أوجب المسح .

السابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن التيمم مطهر ، لقوله : [وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] وقد جاءت السنة أيضاً بما جاء به القرآن ، وهو أن التيمم

مطهّر مثل قوله ρ : " جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً " متفق عليه ، عن جابر رضي الله عنه .

وبناءً على ذلك : لو تيمم الإنسان لصلاة الفجر وبقي على طهارته إلى صلاة الظهر هل يصلي بالتيمم صلاة الظهر ؟

الجواب : نعم ، يصلي صلاة الظهر وإن بقي على طهارته إلى العصر صلى العصر، وإن بقي على طهارته إلى المغرب صلى المغرب ، وإن بقي إلى العشاء صلى العشاء، لأن هذا التيمم طهرة بمقتضى دلالة القرآن والسنة ، والطهارة إذا ثبتت بدليل شرعي فلا ترتفع إلا بدليل على أن التيمم يبطل بخروج الوقت ، وعلى هذا فما دمت على طهارتك فإنك تبقى على طهارتك ولا تتيمم .

وهذا القول : إن التيمم رافع للحدث هو القول الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وجماعة من المحققين ، لكن رفعه للحدث رفع مؤقت إذا وجد الماء ، أو زال المانع من استعمال الماء وجب عليه أن يتوضأ إن كان تيممه عن حدث أكبر ، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين في قصة نقص الماء عليهم ، وأخذهم المزادة من المرأة المشركة ، وتوضئهم منها .

وكان هناك رجلٌ لما فرغ النبي ρ من صلاته رآه معتزلاً ، فقال له النبي ρ : " ما منعك أن تصلي معنا ؟ " فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء ، فقال له النبي ρ : عليك بالصعيد فإنه يكفيك " أي : يكفيك عن الماء ، وهذه الجملة دليل على أن التيمم رافع للحدث لأن الماء رافع للحدث ، ثم جلس الرجل ، فلما جيء بالماء وارتوى الناس ، واستقوا ، وبقي بقية ، قال النبي ρ للرجل : " خذ هذا فأفرغه على نفسك " .

فقوله : " خذ هذا فأفرغه " يدل على أن التيمم رافع الحدث عنه رفعاً مؤقتاً حتى يجد الماء ، فإذا وجده وجب استعماله .

وكذلك قوله ρ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " الصعيد وضوء المسلم ، وإن لم يجد الماء عشر سنين ، فإذا وجد الماء فليتق الله ، وليمسه بشرته " .

الثامنة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : إثبات الإرادة لله في المعنى الشرعي ، لقوله : [مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ].

التاسعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الحَرَجَ منفيٌّ شرعاً .

ولهذا يقول العلماء : كلما وجِدت المشقّة وجِد التّيسير ، وبعضهم يعبّر بعبارة أخرى ، فيقول : المشقّة تجلب التيسير ، وهذا صحيح ، قال النبي ρ لعمران بن حصين : " صلّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ " وهذا تيسير لوجود المشقّة .

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : جمع النبي ρ بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء في المدينة ، من غير خوفٍ ولا مطر ، قالوا : ما أراد بذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته . أي : لا يشق عليها .

وصلى النبي ρ بأصحابه في رمضان ثلاث ليالٍ ، ثمّ ترك ذلك في الليلة الرابعة أو الثالثة ، ثم قال : " إني خشيت أن تفرض عليكم ، فتعجزوا عنها " .

وقال ρ : " لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاةٍ " وقال حين تأخر في صلاة العشاء إلى ثلث الليل : " إن هذا لوقتها ، لولا أن أشق على أمتي".

والنصوص في هذا كثيرة ، كلها تدلّ على أن هذا الدين ليس فيه حرج ولا مشقة، لا في أصل العبادات ، ولا فيما إذا وجِد طارئ يقتضي التخفيف ، فالصوم مثلاً إذا سافر الإنسان فإنه يفطر ، وإذا كان مريضاً فإنه يفطر ، لأن الصوم قد يشُقّ عليه .

الثلاثون : ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا يجوز أن يمسّ القرآن رجلٌ بغير وضوءٍ ، ويؤخذ من قوله : [وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] وقد قال النبي ρ : " لا يمس القرآن إلا طاهر " فإذا قرنت الحديث بالآية عرفت أن معنى الطاهر هو الذي توضأ أو

تطهر بالماء أو بالتيمم ، وعلى هذا فلا يجوز أن يمس المصحف إلا طاهر ، وقد قال بعض العلماء : إنه يجوز لغير الطاهر أن يمسّ القرآن ، يعني لغير المتوضئ، وقالوا : إن قوله ρ : " لا يمس القرآن إلا طاهر " أي إلا مؤمن .

واستدلّوا لقولهم بقول النبي ρ : " إن المؤمن لا ينجس " وبقوله تعالى : [إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ] ، فقالوا : المراد بالطاهر أي المؤمن ، أي لا يمس القرآن إلا مؤمن ، سواء كان متوضِّئاً أم غير متوضئ ، ولكن هذا ليس بصواب ، لأننا ما عهدنا أن النبي ρ يعبر عن المؤمن بالطاهر ، وإنما يعبّر عن المؤمن بالإيمان ، ألم ترَ إلى قوله تعالى : [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ولم يقل : إنما الطاهرون ، [كان شيخنا – رحمه الله – يرى عدم اشتراط الطهارة لمس المصحف لكن ترجح عنده أخيراً أنه يُشترط] .

الحادية والثلاثون : من فوائد الآية : أن الشرع من تمام النعمة ، لقوله : [وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ] ويدلّ على أن الشرع من تمام النعمة قوله تعالى : [اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً] ولا شك أن أكبر نعمة ينعمها الله على العباد أن يشرع لهم ديناً يوصلهم إليه ، ففتح الطريق الشرعي الموصل إلى الجنة ، لا شك أنه إحسان ، ولا طريق يوصل إلى الجنة إلا التمسك بشريعة الله عز وجل ، فإن الله عز وجل قد سدّ جميع الطرق إلا الطريق الذي جاء به النبي ρ .

الثانية والثلاثون : وجوب الشكر لله ، لقوله : [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] .

الثالثة والثلاثون : من فوائدها : إثبات الحكمة في أفعال الله عز وجل وشرعه ، لقوله : [وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] . (1)

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1758 ، بقلم الشيخ : مساعد السلمان .

٩ تناوله للمسائل المعاصرة :

يُعد شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى ممن جمع بين أصالة السلف من جهة الإحاطة بالأدلة وطرق الاستدلال ، والتمكن في الآلات ، وأدوات الاجتهاد ، وبين الإلمام بواقع الناس وقضاياهم ، أو ما أطلق عليه حديثاً " فقه الواقع " .

فنتج عن هذين الأمرين أمور ، منها :

أ- تقريب الشيخ لفقه السلف ، وخاصة المسائل الكبار ، وبعض المسائل التي يعنى طلاب العلم في فهمها ، ومعرفة معانيها ، والموجودة في كتب الأئمة المتقدّمين ، كالمغني والمبسوط والمجموع ، أو كتب المتون، كالزاد ونحوه .

ب- إفتاء الشيخ وبيان رأيه في عدد من القضايا العصرية الحادثة ، سواءً كانت صغيرة أم كبيرة .

مثل :

01- أحكام التأمين .

02- حكم البطاقة الائتمانية والتخفيضية .

03- حكم الجمعيات التعاونية .

04- حكم التعامل بالشيكات في بيع الذهب .

05- الصلاة خلف المذياع .

06- التعامل من خلال الإنترنت .

07- حكم العدسات اللاصقة .

08- استخدام الميكروفون في الأذان والصلاة .

09- غسيل الملابس بالبخار في المغاسل الآلية .

10- لبس الرجال للسلاسل .

11- حكم الأسنان الذهبية .

12- تكرير الماء المتلوث بالنجاسات ، واستعماله في السقي والطهارة .

13- أحكام الصلاة في الطائرة ، والطهارة فيها .

14- حكم التطيّب بالكولونيا ، والصلاة مع ذلك .

15- حكم الزواج بنية الطلاق .

16- حكم لبس الساعة المطليّة بالذهب .

17- حكم حجز مكان في المسجد الحرام لشخص معيّن .

18- حكم الصلاة خلف الدفايات الكهربائية .

19- حكم وضع مدخنة البخور أمام المصلّين في المسجد .

20- حكم تحديد القبلة بالبوصلة .

21- حكم لبس المرأة للبنطلون أمام النساء أو المحارم .

22- حكم ما يعرف بالعباءة الفرنسية .

23- حكم المسح على الغترة ، والشماغ ، وخمار الرأس .

24- حكم الصلاة في الدّور الثاني في المسجد الحرام مع وجود مكان في الدور الأول .

25- كيف نعيّن الصف الأول في المسجد الحرام .

26- حكم اقتناء الدّش وإدخاله على الأولاد .

27- حكم من يلبس نظارات كبيرة لا تمكنه من السجود .

28- حكم المصافحة بعد الصلاة ، وقول (تقبّل الله) .

29- حكم دفع الزكاة للمجاهدين في أفغانستان والشيشان .

30- حكم إدخال علب السجائر إلى المصلى .

31- حكم بيع المرابحة .

32- حكم المصافة خلف النساء في المسجد الحرام أو معهن .

33- حكم الصلاة بالبنطال .

34- حكم الصلاة خلف شارب الدخان .

35- حكم الرطوبات الخارجة من فرج المرأة .

36- حكم الصلاة خلف التلفاز دون رؤية الإمام .

37- حكم قصر الصلاة للمبتعثين .

38- كيف يفعل المصاب بالربو في الوضوء والصلاة .

39- حكم التّبول في البانيو أثناء الاستحمام .

40- إمام يقرأ الفاتحة باللغة الإنجليزية ، فما حكم صلاة من خلفه .

41- حكم بنوك الحليب الذي يشترى من الأمهات الحوامل .

فهذه إحدى وأربعون مسألة من المسائل المعاصرة أجاب عنها الشيخ ، وغيرها كثير ..

انظرها مع الإجابة عليها في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ، جمع الأخ فهد السليمان ، أمّا المسائل الثلاث الأخيرة فهي من

أسئلة المنجّد للشيخ ، ذكرها في محاضرته عن الشيخ بعنوان (100 فائدة من الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى) .

وذكر الكثير غيرها من المسائل المعاصرة ، فانظرها هناك .

يقول الشيخ الفقيه عبد الله الركبان :

" يتميز فضيلة الشيخ محمد العثيمين بالعمق العلمي ، وسعة الأفق ، ودقة النظر ، واستيعاب المتغيّرات التي وجدت في هذا العصر، وتنزيل الوقائع الجديدة على القواعد الشرعية " . [1]

- سمات البحث الفقهي لدى الشيخ :

في هذه الأسطر أذكر سمات البحث الفقهي لدى الشيخ بصفة إجمالية ليكون ذلك نهجاً لطالب الهدى والرشاد سائلاً المولى التوفيق والسداد .

01- البعد عن الهوى .

02- التجرّد الموضوعي في البحث .

03- الأدب في المناظرة .

04- العدل مع المخالف .

05- رسوخ وسائل البحث عنده .

06- التحرير الدقيق للمسائل .

07- تحديد المصطلحات .

08- ثبات المنهج البحثي واطراده .

09- استحضار القواعد الأصولية العامة .

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1778 .

10- استحضار القواعد الفقهية الكلّية .

11- الانضباط في القياس .

12- الاستقامة في تفريع المسائل .

13- مناقشة القول المرجوح وأدلته بعناية .

14- رجوعه عن قوله إذا تبين له الصواب .

15- توقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت .

هذه خلاصة ما كتبه عدد من الباحثين حول سمات البحث لدى الشيخ ، ولا شك أن كل واحدة تحتاج إلى شرح وضرب للأمثلة لا يتسع لها المقام هنا ، ولعلّه يأتي من يقوم بدراستها وتحريرها في دراسة موسعة .

ولكن هذه لفتة مجملة لها دور بارز في تميز الشيخ الفقهي رحمه الله تعالى وغفر له .

μ μ μ

المبحث الثالث :

- الحصاد الفقهي العلمي :

بعد هذه الحياة العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً ، وتقعيداً ، وبذلاً ، وعطاءً بارك الله عز وجل في هذا العمر ، فنتج عن ذلك حصيلة مباركة على الأمة تمثلت في :

1. **الشروح الفقهية والأصولية .**
2. **المؤلفات المستقلة .**
3. **الرسائل الخاصة .**
4. **الأشرطة .**
5. **الفتاوى .**

وسأتكلم بصفة موجزة عن كل واحد مما سبق ، فأقول وبالله التوفيق .

1 الشروح الفقهية والأصولية .

أ – يبرز في مقدمة الشروح الفقهية المطبوعة ، شَرح الشيخ لزاد المستقنع المسمى بـ (الشرح الممتع) والذي فرغ من الأشرطة ، ثم قام الشيخ بمراجعته وطبعه بعناية الشيخين : د . سليمان أبا الخيل ، و د . خالد المشيقح ، مذيلاً بتعليقات واستطرادات نفيسة في الحواشي ، بلغ ثمانية مجلدات ، من أول الطهارة إلى آخر باب الصرف من كتاب البيوع .

ثم أعاد الشيخ طبعه بحذف التعليقات ، وبتحقيق جديد ، وصدر منه جزءان فقط حتى وفاته رحمه الله تعالى .

ويعتبر هذا الشرح من أنفس الشروح على زاد المستقنع ، ومن أجمل ما كتب الشيخ رحمه الله تعالى ؛ حيث إنّه يتميز بالآتي :

– سهولة العبارة .

– التعليق على المسائل الحادثة المعاصرة .

– تصحيح القول الصحيح ، وبيان أوجه ضعف القول المرجوح .

– التعليق على أخطاء بعض الفقهاء .

– التنبيه على بعض الأقوال الشاذّة .

– إبراز الكثير من توجيهات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً منقطع النّظير ، وكان بحقٍّ اسماً على مسمّى .

ب –كتاب الكافي في الفقه الحنبلي .

قام الشيخ بشرحه في الدروس ، وهو مسجّل على الأشرطة .

ج – البرهانية في الفرائض .

قام الشيخ بشرحها ، وقد فرغت بخطّ اليد، وهي مسجّلة على الأشرطة.

د – شرح عمدة الأحكام .

لم يكتمل .

هـ– شرح بلوغ المرام .

طبع منه مجلّد ، وقد أوقف الشيخ طباعته لعل ذلك لأمور فنية خاصة بالطباعة ، والمراجعة ، والتحقيق .

و – شرح المنتقى .

لم يكتمل ، مسجّل على الأشرطة .

ومن الشروحات الأصولية :

أ – شرح مختصر التحرير (مسجّل) .

ب – شرح قواعد ابن رجب (مسجّل) .

ج – شرح كتابه : الأصول من علم الأصول (مسجّل) .

د – شرح المنظومة في أصول الفقه (مسجّل) .

هـ– شرح القواعد والأصول (مسجّل) .

و – شرح نظم الورقات للعمريطي ، بدأ في شرحه في الخامس عشر من شهر صفر عام **1415**هـ ، وانتهى منه في غرة ربيع الثّاني من العام نفسه ، كما في مقدمة الكتاب الذي صدر عن مكتبة الكلباني (كتابة على الكمبيوتر) وهو أيضاً (مسجّل) .

هذا وقد يضاف للشروحات الفقهية الشروحات لأبواب الفقه على صحيحي البخاري ومسلم .

ومن ذلك : أبواب كتاب الوضوء ، والصلاة ، والأذان ، والجمعة ، والعيدين ، والوتر ، والاستسقاء ، والكسوف ، والنكاح ، والأطعمة ، واللباس ، والاستئذان ، والأيمان ، والنذور ، والكفارات، والفرائض ، والحدود ، والمحاربين ، والمعاندين ، من صحيح البخاري .

ومن صحيح مسلم : الطهارة ، والصّلاة ، والمساجد ، ومواضع الصلاة ، وصلاة المسافرين ، والجمعة ، والعيدين ، والاستسقاء ، والكسوف ، والزّكاة ، والصيام ، والحج ، والنكاح ، والجهاد .

حسب فهرسة تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة . والله أعلم .

2 المؤلفات الفقهية :

مع تمكن الشيخ رحمه الله تعالى ورسوخ قدمه في الفقه إلاّ أن ضيق وقته لانشغاله بالدروس والفتوى ربما كان هو المانع لاشتغاله بالتأليف وكتابة المؤلفات الكبار التي تليق بمكانته العلمية ، ومع ذلك فقد ترك لنا عدداً من الرسائل تعالج قضايا فقهية متنوعة .

من ذلك :

أ – رسالة في الوضوء والغسل والصلاة .

ب – رسالة في كفر تارك الصلاة .

ج – رسالة في الأضحية والزكاة .

د – كتاب تسهيل الفرائض .

هـ– رسالة في الحجاب .

و – رسالة في صلاة وطهارة أهل الأعذار .

ز – رسالة في مواقيت الصلاة .

ح – رسالة في سجود السهو في الصلاة .

ط – رسالة في المداينة .

ي – رسالة في زكاة الحليّ .

ك – رسالة في المسح على الخفّين .

ل – رسالة في الدماء الطبيعية للنساء .

م – رسالة في أحكام الميّت وغسله .

ن – رسالة في الرّبا وأقسامه .

س – مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب .

ع – رسالة في الزّواج .

– المؤلفات في القواعد والأصول :

لم أقف للشيخ على مؤلفات في القواعد والأصول سوى كتابين فقط ، هما :

1– الأصول من علم الأصول ، وقد كان كتبه لطلاب المعهد العلمي .

2– منظومة القواعد والأصول ، وهي منظومة لطيفة جامعة مفيدة .

3 الرسائل الخاصّة :

كان من عادته رحمه الله تعالى الإجابة عن أسئلة المستفتين بنفسه في رسائل خاصة بهم ، ترسل إليهم على عناوينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان من تلك الفتاوى رسائل مطوّلة تصلح أن تكون أبحاثاً مستقلّة في مسائل معيّنة .

تجد الكثير منها في مجموع فتاوى ابن عثيمين ، جمع الشيخ فهد السليمان .

وهي تصلح لأن تجمع في مجلّد مستقلّ باسم الرّسائل الشخصية ، وانظر على سبيل المثال :

المجلّد : 12/ الصفحات : 59 ، 86 ، 150 ، 154 ،330 .
المجلّد : 13/86 ، 88 ، 96 ، 125 ، 207 ، 247 ، 255 ، 271 ، 276 ، 363 ، 410 .
المجلّد : 14/22 ، 65 ، 143 ، 181 ، 210 ، 214 ، 255 ، 273 ، 293 ، 307 .
المجلّد : 15/23 ، 25 ، 35 ، 38 ، 60 ، 76 ، 93 ، 160 ، 166 ، 177 ، 198 ، 200 ، 217 ، 221 ، 244 ، 261 ، 281 ، 284 ، 288 ، 315 ، 332 ، 334 ، 339 ، 342 ، 345 ، 346 ، 348 ، 352 ، 357 ، 365 ، 370 ، 378 ، 385 ، 394 ، 397 ، 403 ، 409 .

4 الأشرطة المسجّلة .

كان الشيخ رحمه الله تعالى حريص جداً على تسجيل دروسه وفتاواه ، ويهتم بذلك ، ويساعد القائمين على ذلك ، ويشجّع من يريد تسجيل الفتاوى أو المحاضرات .

وذكر أحد المرافقين له وهو العقيد الركن / علي بن محمد الخشان : أنه يوماً كان الشيخ سيذهب معه في السيارة ، ثم قام بإعلامه بأنه لديه بعض الفتاوى ، فقال الشيخ : هل عندك مسجّل ؟ قال : لا ، فدخل الشيخ منزله وأحضر مسجّلاً صغيراً ثم أعطاه إياه لكي يسجّل . [1]

---

(1) مجلة الجندي المسلم ، العدد 102 .

وقد بلغت تسجيلات الشيخ لدى مؤسسة الاستقامة **5000** ساعة . [1]

وذكر الشيخ المنجّد أن أشرطة الشيخ بلغت **3183** شريطاً . [2]

وهذا بلا شك في كلّ الفنون، وسيكون نصيب الفقه منها الشيء الكبير.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحرص على مراجعة ما سجّل ، وتدارك ما يحصل من خلل في التسجيل .

يقول مدير إنتاج دروس الشيخ ، الأخ/ موسى الهادي بمؤسسة الاستقامة بعنيزة :

(الشيخ رحمه الله تعالى يقوم بمراجعة ومتابعة جميع ما نسجّل ، ومتابعتنا فيما يمكن تداركه من سقط أو نسيان ، أو تحريف مسألة ، أو فوات حديث ، أو آية،وكان شديد الحرص على تسجيل جميع ما يلقيه من الدّروس ، وكان الشيخ أيضاً رحمه الله تعالى يتصل بي بعد كلّ تسجيل لمراجعة ما سجّل له ، وتوجيهي بحذف سؤال قد لا يستفيد منه العامة ، أو يكون له تأثير على الأوضاع العامة ، وكان رحمه الله في أغلب دروسه شديد التوجيه للناس على طاعة ولاة الأمور ، وبتوحيد الكلمة وعدم الفرقة).

وقال أيضاً :

(لقد قمت بتسجيل وإنتاج جميع الدروس التي يلقيها في الجامع الكبير بعنيزة ، وكذلك الدروس التي تقام في منزله ، ومن أبرز الدروس التي

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1778 .

(2) شريط : 100 فائدة من الإمام ابن عثيمين .

قمت بتسجيلها (زاد المستقنع في الفقه) و (بلوغ المرام) و (الصحيحين) و (آداب طالب العلم) وفي (السيرة) و (التفسير) ، ومن ضمن لقاءات المنزل التفسير المفصّل من جزء الذاريات ، وجزء عمّ ، وكذلك تسجيل أسئلة العامة ، والإجابة عليها) . [1]

5 الفتاوى .

قد جُمعت فتاوى الشيخ الفقهية وترجيحاته في عدد من الرسائل قام بنشرها عدد من طلبة العلم لدى الشيخ بعد إذنه بذلك ، وكثير منها مكرر ؛ من ذلك :

أ – فتاوى الصيد .

ب – فتوى وتوجيهات في الإجازة والرّحلات .

ج – الاختيارات والترجيحات .

د – فتاوى في تربية الشّباب .

هـ– فتاوى نور على الدّرب .

و – فتاوى لقاء الباب المفتوح .

ز – فتاوى اللقاء الشهري .

ح – مجموع دروس وفتاوى الحرم المكّي .

ط – 70 سؤالاً في أحكام الجنائز .

ي – 52 سؤالاً عن أحكام الحيض .

ك – فتاوى أركان الإسلام .

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1778 .

ل – فتاوى منار الإسلام .

م – فتاوى سؤال من حاج .

ن – جلسات رمضانية .

س – جلسات الحج .

جمع أكثر هذه الفتاوى الشيخ / فهد السليمان في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين – ولا يزال المجموع لم يكتمل – .

μ μ μ

المبحث الرابع :

ـ أثر ذلك على النهضة العلمية ، والدعوة إلى الله تعالى .

لا يشكّ الناظرفي حياة الشيخ محمد بن عثيمين أنه أثّر تأثيراً عظيماً على سير النّهضة العلمية ، وترشيد ما يعرف بالصحوة الإسلامية .

لأن الدّعوة إلى الله لا بد فيها من فقه ، بل من فقه صحيح منضبط مبني على أسسٍ شرعية .

وكثيراً ما حصل الاضطراب لشباب الصّحوة في عدد من الأماكن بسبب عدم وجود رؤية فقهية صحيحة يُرجع فيها إلى العلماء الربّانيين أمثال الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

فدعوة بلا فقه هي دعوة متخبّطة فاشلة ، والمتأمل في تاريخ عدد من الدول الإسلامية وغيرها يجد في ذلك أعظم عبرة .

فشباب الصحوة أو النهضة الإسلامية المعاصرة ، جعل الكثير منهم من الشيخ مرجعاً له في الحوادث المدلهمّة ، سواء في قضايا الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، أو دعوة الكفّار ، أو السّفر إلى بلاد الكُفر ، أو البقاء فيها ، أو ما يتعلّق بقضايا المرأة المعاصرة والغزو الفِكري لبيوت المسلمين بالصحون الهوائية ، وتعدّد الأحزاب والجماعات الإسلامية ، وغير ذلك من المسائل المصاحبة للصحوة المعاصرة .

من ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الخميس :

قال : (في أيام الحج بأحد الأعوام السالفة جاءته بمنى طائفتان ، وكل طائفة مكونة من أربعة أشخاص ، وكلّ واحدة تتهم الأخرى بالكفر واللعن ، وهم جميعاً من الحجاج ، وملخّص قصّتهم أن إحدى الطائفتين اتّهمت الطائفة الأخرى أنّها إذا قامت تصلّي وضعت اليد اليمنى على اليسرى فوق الصّدر ، وهذا كفرٌ بالسّنة ؛ حيث أن السّنة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين بينما تقول الطائفة الأخرى إن إرسال اليدين على الفخذين دون جعل اليمنى على اليسرى كفرٌ مبيح للعنة ، وكان النّزاع بينهما شديداً ، وبفضل الله تعالى ، ثم بجهود الشّيخ وآخرين معه حسم النّزاع بينهم وتم تبيين الحقّ لهم ، وما يجب أن يكونوا عليه من الائتلاف ، وتفرقوا ، وقد رضيت كلّ طائفة عن الأخرى بعد أن كانت تكفّرها وتلعنها) . [1]

وقد استفاد شباب النهضة من جهة أخرى لا تقلّ أهميّة عن السابقة ، وهي تلمذتهم على الشّيخ أو كتبه أو أشرطته في مشارق الأرض ومغاربها

حتى إن مِن المسلمين في أمريكا من يعقد الدروس وكأنّ الشيخ موجود بينهم فيأتون بأشرطة الشيخ ويلتفّون حولها في وقت محدد ، وبعد الانتهاء من الشريط أو الدّرس يأخذون في الأسئلة والمناقشة ، وكأنّ الشيخ حاضر معهم .

وقد حدّث بعض محبّي الشيخ أنه وجد في أمريكا أشرطة للشيخ لم يقف عليها في الجزيرة العربية .

قال الشيخ عبد الله الجلالي : (قبل حوالي خمسة عشر عاماً زرت أمريكا، فالتقيت بطائفة من الشباب هناك، وعرضت عليهم هل عندكم من كتب

---

(1) جريدة البلاد ، العدد 16230 .

الشيخ محمد العثيمين وأشرطته ؟ فقال أحدهم : عندي ثلاثمائة وخمسون شريطاً له ، فوجدت أنّ هذه الأشرطة لم أسمعها أنا بنفسي ولم أرَها ، وعرفت أن الشيخ قد منّ الله عز وجل عليه بما يناسب فضله بأن هيّأ له قلوباً وإخواناً نشروا علمه في أصقاع العالم حتّى في أمريكا) . [1]

هذا في أمريكا ، وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من العَالَم في روسيا الشيوعية ، وتحت سياط العذاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت إلى هناك تحت الأقبية إلى شباب وشيوخ الصحوة .

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان : (في حج عام 1416هـ كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجّاج – كعادته كل سنة – يسلّم عليهم ويحدثهم ، ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبد العزيز بجدة ، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات

الإسلامية التي كانت تحت الحكم الرّوسي ، وكان أصغرهم سنّاً قد بلغ السّتين ، وليس فيهم من يتكلم العربية ، فسأل الشّيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم ، فلم نجِد إلاّ شاباً سعودياً كان في استقبالهم يتحدّث بلسانهم ، فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ ، فوافق ، وأخذ الشيخ يتحدّث والشاب يترجم ، وفي أثناء حديثه دخلَ شابٌّ يركض – علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة – وإذا به يتحدّث العربية بطلاقة ، وطلب أن يقوم بالترجمة ، وأخذ مكبّر الصوت ، وهو لا يعلم

---

(1) (شريط الإمام ابن عثيمين ، مجموعة من العلماء والدّعاة) تسجيلات (صدى التقوى) بالرياض .

من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثمّ جاء يسلّم ، فقلنا له : هذا الشيخ محمد بن عثيمين ، وإذا بالشاب ينظر إلى الشّيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه ، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ ، وقلنا : نعم ، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدّموع تنهال من عينيه وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحاً ، ثم ما لبث أن أخذ مكبّر الصوت ، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشّيخ ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون ، وارتفعت أصواتهم وهم يردّدون اسم الشّيخ : الشيخ العثيمين ، وقال الشّاب : يا شيخ هؤلاء كلّهم طلاّبك ، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض لمّا كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً ، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم ؟ وأذن لهم الشّيخ ،

فأقبلوا يقبّلونه ويقبّلون رأسه ويديه وهم يبكون ويردّدون اسمه ، فكان من أشَدّ المواقف تأثيراً ، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلاّ وبكى تأثّراً بما رأى وسمع) . [1]

قال الدكتور عبد الرحمن السديس : (أذكر أنّي مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية ، وفيه مكتبة متواضعة ، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الدّيار من محبّي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه ، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله يقرؤونها ويبذلون جهودهم في ترجمتها بلغتهم ، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا ـــــ

(1) البلاد ، عدد 16223 .

القبول حتّى في مجاهل الغرب وأقاصي الدّنيا ، ولقد بشّرته بذلك فسُرّ كثيراً) . [1] وقد تكلّم الشيخ في العديد من الضوابط التي تنهض بالدعوة المعاصرة ، وتُرَشِّد مسارها ، والتي ينبغي على طالبي الإصلاح في الأمة بحثها ودراستها ، ودراسة كيفية تطبيقها ، وذلك لترشيد فقه الدعوة المعاصر وتنقيته مما دخله من الشوائب والمعوقات ، من ذلك :

1-ضوابط مهمة لإنجاح الصّحوة الإسلامية من كتاب الصّحوة الإسلامية [2] .

الضابط الأول : التمسّك بالكتاب والسّنة .

الضابط الثاني : العلم والبصيرة .

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه .

ثانياً : أن يكون على بصيرة بحال الدعوة .

ثالثاً : أن يكون على بصيرة في كيفية الدّعوة .

الضابط الثالث : الفهم .

الضابط الرابع : الحكمة .

الضابط الخامس : التآلف والتّواد .

الضابط السادس : الصبر والاحتساب .

الضابط السابع : التّخلق بالأخلاق الفاضلة .

الضابط الثامن : كسر الحواجز بين الداعية وبين النّاس .

(**1**) الجزيرة ، العدد 10335 .

(**2**) إعداد الأخ علي بن حسين أبو لوز – دار القاسم للنشر ط : 3 .

الضابط التاسع : استعمال الرفق واللّين .

الضابط العاشر : اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء .

الضابط الحادي عشر : تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل .

الضابط الثاني عشر : إقامة الزيارات بين الشّباب .

الضابط الثالث عشر : عدم اليأس .

الضابط الرابع عشر: الاتصال بولاة الأمور .

2- صفات الداعية إلى الله :

1- الإخلاص لله تعالى .

2- أن يعتقد أنه بدعوته إلى الله وارث لنبيه ρ .

3- أن يكون ثابتاً في دعوته إلى الله .

4- أن يصبر ويصابر .

5- أن يسلك طريق الحكمة .

6- أن يكون الدّاعي عالماً بشريعة الله .

7- أن يكون الدّاعي على جانب كبير من الدين والأخلاق .

8- أن يكون الدّاعي وقوراً .

وغير ذلك من الأمور المهمة الكثيرة ، والأسئلة المتعلّقة بالدعوة المعاصرة تقف عليها في الكتاب المذكور ، وبالله التّوفيق .

μ μ μ

3 – الشيخ مفسراً .

قد آتى الله الشيخ المترجم فقهاً في التفسير وبصراً في كتاب الله العزيز ، بما لو أقسمت بين الرّكن والمقام أنني لم أر مثله في أحدٍ من علماء هذا العصر ما كنت حانثاً إن شاء الله تعالى .

فقد كنت في مجلس الشيخ أستشعر وهو يفسّر آيات الكتاب العزيز كأنني بين يدي عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم، وجمعوا أدوات الاجتهاد وآلآت الاستنباط .

وقد سمعت من الشيخ في التفسير سورتي الروم والعنكبوت ، وكتبت خلفه دفاتر فقدتها في أسفاري .

وقد كان الشيخ يكثر التأمّل ويتعمّق في الاستنباط ، ويحثّ على الفكرة والتدبّر ، ويغوص وراء المعاني ؛ حتى إنه يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة وينوّعها .

وقد يأتي بفوائد مقررة من أدلّة أخرى ، لكن الشيخ كان يقول إنها يستفاد منها في كثرة الأدلّة وتضافرها .

وقد سألت شيخنا ذات مرّة وقلت له : يا شيخ إننا نسمع منك تفسيراً قد لا نجده – أحياناً – في العديد من التفاسير ؛ فهلاّ تفكّر في طباعة تفسير مستقلّ ؟

فكان ردّ الشيخ عليّ أن قال :

الموجود يكفي إن شاء الله تعالى .

وقد كان من براعة الشيخ في التفسير ما لاحظه القاصي والداني في مكة المكرّمة في المسجد الحرام في درس الشيخ عندما ينتهي إمام الحرم من القراءة في صلاة المغرب أو الفجر يقوم الشيخ باستفتاح درسه بتفسير هذه الآيات التي تُليت في تلك الصلاة في أيّ موضع من القرآن كانت ، وبدون تحضير سابق لها أو استعداد ، ويفسّرها كأحسن تفسير كأنه قام بتحضيرها ويستخرج فوائدها .

وهذا مما أبهر العقول ، وتكلّم به الناس في الآفاق ممن يحضر درسه ، وهذا يدلّ على تمكّنه ورسوخه في هذا العلم العظيم .

ومن المناسب هنا أن أذكر بحثاً عن منهج الشيخ في التفسير لأحد تلامذة الشيخ الّذين أوصى لهم بالتدريس في جامعه الكبير بعنيزة وهو الشيخ عبد

الرحمن الدهش ، وإن كنت أرى أن منهج الشيخ في التفسير يحتاج إلى بحثٍ موسّع ومراجعة لتفسير الشيخ سواءً التّفسير العام أو تعليقاته على الجلالين ، أو التفسير على المقاطع التي كان يتلوها بعض أئمّة الحرم في رمضان وغيره ، وكان الشيخ يقوم بتفسيرها .

أو في برنامجه المشهور في إذاعة القرآن الكريم : (من أحكام القرآن) ، وهذا نوع آخر من الكتابة لعلّ الله يعين عليه ويوفّق من شاء لذلك .

ولعلّي أخصّ بالذكر طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير في الجامعات الإسلامية المختلفة ، والله الموفّق والهادي إلى سبيل الرشاد .

قال الشيخ عبد الرحمن الصالح الدهش المحاضر في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرع القصيم :

منهج الشيخ في التفسير

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الحديث عن منهج إمام من أئمة الدين في علم كان من اهتماماته ، وأمضى فيه جزءاً من عمره ، وخصَّه بنصيب وافرمن دروسه ، وكثيراً ما وجَّه طلابه للعناية به ، بل والبداءة به – حديث لا يمكن أن تستوعبه مقالةٌ كهذه ، ولذا سيكون الحديث فيها منصبّاً على بعض منهجه في تفسيره . وقبل الحديث عن منهجه أشير إلى موضوعين متعلقين بتفسيره :

الأول : دروسه في التفسير حيث كان تفسيره القرآنَ لطلابه [1] على ثلاثة طرق :

1- الطريق الأول : التفسير العام ؛ حيث لم يرتبط الشيخ بكتاب تفسير ينطلق منه ، وهذا يشمل الدرس الخاص بالطلبة ، وابتدأ الشيخ في التفسير فيه من أوَّل القرآن وانتهى فيه إلى سورة الأنعام ، ولم يتمَّها . ويشمل تفسيره في اللقاءات العامة حيث فسر الشيخ خلالها كثيراً من المفصَّل ، ومواضع متفرقة من القرآن .

2- الطريق الثاني : التفسير الذي ارتبط فيه الشيخ بتفسير الجلالين ، فكان منطلقاً له ، ولم يقتصر عليه ، وبلغ فيه سورة الزخرف ، ولم يتمها أيضاً .

---

(1) يخرج بهذا ما كتبه الشيخ – رحمه الله – من تأليف في التفسير .

3- الطريق الثالث : التفسير المفرَّق ويتمثل في تفسير الشيخ للآيات التي تمر في أثناء شرحه لكتاب ما ، وهي كثيرة، وربما أسهب الشيخ في تعليقه عليها ، ورجَّح فيها . [من ذلك شرحه للآيات في كتاب التوحيد والواسطية ومقدمة التفسير وغيرها] .

ومع تعدد الطرق التي تناول الشيخ التفسير من خلالها إلا أن منهجه فيها متقارب ، حيث اتفقت في كثير من المعالم .

الثاني : مصادره في تفسيره :

الغالب في طريقة الشيخ – رحمه الله تعالى – ألا يذكر مصادره التي نقل منها ، ولا أسماء العلماء الذين يذكرُ أقوالهم ، بل تراه يبهمُ أسماءهم ،

ويـذكرُ الأقـوال منسـوبة إلى بعـض أهـل العلـم ، أو بعـض المفسـرين دون تحديدهم ، إلا أنه قد ينصُّ في بعض الأحيان على بعضهم ، ومنهم على سبيل المثال : ابن حزم (البقرة 222، 228) ، الزمخشري (آل عمران : 1) ، ابن تيمية ، ابن القيم (البقرة : 1، 228) ، ابن اللبان صاحب الاختيـــارات الفقهيـــة (البقـــرة : 228) ، محمـــد رشـــيد رضـــا (البقرة:219)،وشيخه عبد الرحمن السعدي (البقرة:229) وغيرهم ..

المنهج العام للشيخ في التفسير :

لقد كان الشيخ – رحمه الله تعالى – موسوعيَّ المعرفة ، درس علوم الشريعة وتفقه فيها ، وكان لها الأثر الواضح في تفسيره .

وقـد عمـد الشـيخ إلى تقريـب التفسـير لعامـة النـاس فضـلاً عـن طلابـه والمستفيدين منه ؛ فالسهولة في العبارة والبعد عن غامض التراكيب واضحٌ في العرض ، ولـذا خـلا تفسـير الشـيخ مـن الأقـوال الكثيرة ، والتفريعـات البعيـدة التي قـد تجدها في بعض التفاسير ، وكـذا التعقيـدات البلاغيـة ، أو الأعاريب المطولة .

ومع هـذا تجد في تفسير الشيخ ما تجده عند غيره من الاعتماد على بيان القرآن بالقرآن وجمع نظائر الآية ، وبيان القرآن بالسنة ، وذكر للقراءات وتوجيهها معنى أو إعراباً ، وبيان المشكل ، وكذا الشعر ، وهو قليلٌ نسبياً ، وفي غالبه شاهد لغوي ، أو ضابط نحوي أو نحو ذلك .

ويجد القارئ والسامع في أثناء ذلك الترجيح المبني على قاعدة ، أو التنبيه على خطأ في فهم آية، ففي تفسير قوله تعالى [وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِت]

[آل عمران : 27] يرجح الشيخ أن الآية عامة في الحياة الحسية ، كإخراج الإنسان من النطفة ، والمعنوية كإخراج الكافر من المؤمن ، ويعلل الشيخ لهذا الترجيح بقوله : (إذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تنافٍ بينهما فالواجب حمله عليهما) وعند قوله – تعالى – في وصف يحيى – عليه السلام –: [وسَيِّدَاً وَحَصُوراً] [آل عمران :39]

قال الشيخ : (أي حاصراً نفسه عن أراذل الأخلاق ، ,أما من قال من المفسرين إن (الحصور) الممنوع عن إتيان النساء ، فإن في هذا نظراً واضحاً ؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً، ولكنه عيب ، وفيها قول آخر أنه لا يأتي من النساء من لا تحل له فيكون وصفاً له بكمال العفة ، لكن ما قلناه أشمل من هذا القول ، فهو مقدم على المعنى الأول) ، وعند قوله – تعالى – : [كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ] [آل عمران : 37] . ينبه الشيخ على خطأ من كتب الآية على طاق القبلة ، يظن أنه هو المحراب المراد بالآية ، وإنما هو مكان العبادة .

والشيخ حريص كل الحرص على عدم الوقوع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من حشد الإسرائيليات والاعتماد عليها ؛ فعند قوله – تعالى – [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً] [البقرة : 67]،قال الشيخ: (وقد ذكر المفسرون هنا إسرائيليات كثيرة حول هذا الموضوع ولكن لا يعنينا أن نُعيّن مَن هذا القاتل ومن هذا المقتول ! وإنما المقصود أنه قتلت نفس فادارؤوا فيها ، أي : تخاصموا) .

ثم هو يشك فيما قيل – عن مريم – عند قوله –تعالى – : [وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً] [آل عمران: 37] ، إنها تنمو في العام ما ينمو غيرها في عامين قال الشيخ : (ولعلها من الإسرائيليات ... فالله أعلم) .

وعند قوله – تعالى – : [وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً] [آل عمران : 37] .

قال الشيخ : (قال بعض المفسرين – وهو من الإسرائيليات – يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء) .

وبعد هذه المعالم العامة نجدنا مضطرين إلى إبراز معالم أساسية في منهج الشيخ في تفسيره وهي :

أولاً : التفصيل في أحكام القرآن ، وبيان الراجح منها بدليله ، دون تعصب لمذهب معين :

وهذا أشهر من أن يُذكر فيه مثالٌ ؛ لأن الشيخ – رحمه الله تعالى –كان فقيهاً مجتهداً ، وكان لا يمرُّ بآية من آيات الأحكام إلا فصَّل في ذلك الحكم وبينه .

ثانياً : ذكر القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية،وبيان الحكم فيها :

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله – تعالى – : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ] [البقرة : 219] ، قال : (فلو تقامرا على شيء من المال بأي صفة من الصفات ؛ فإن ذلك يعتبر مَيْسراً ، ومن ذلك ما يسمى بالحظ والنصيب ، فإنه ميسر ، ومن ذلك التأمين على الأموال أو على السيارات أو على البيوت أو على النفوس أو ما أشبه ذلك) .

ثالثاً : تنزيلُ الآيات على الواقع المعاصر ، وربطها به :

ففي قوله – تعالى – [وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ] [البقرة : 221] ، قال : (إن في الآية رداً واضحاً على الذين أطلقوا أن دين الإسلام دين مساواة ؛ لأن التفضيل ينافي المساواة.

والعجيب أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة لفظ المساواة أبداً ؛ لأن الله ما أمر بها ، ولا رغب فيها ؛ لأنها ليست صحيحة ، فإذا قلت بالمساواة دخل الفاسق والكافر والمؤمن والذكر والأنثى ، وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين ، لكن جاء الإسلام بكلمة هي خير من تلك الكلمة ، وليس فيها احتمالٌ أبداً ، وهي : [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] [النحل : 90]، فكلمة العدل تقتضي أن نسوّي بين الاثنين حيث اتفقا في الصفات المقتضية للتسوية ، وأن نفرق بينهما حيث اختلفا في الصفات المقتضية للتفريق) .

وانظر أيضاً حديثه في هذه الآية عن التنبيه على الدعوة التنصيرية التي يقوم بها النصارى في هذا العصر ، وانظر ذكره فائدة في قوله – تعالى – [نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ] [البقرة : 223] ، فقد ذكر الدعوة إلى تحديد النسل ، وردَّ عليها . وغيرها كثير من القضايا المعاصرة التي تطرَّق إليها الشيخ أثناء تفسيره .

رابعاً : الاهتمام بالجانب التربوي الذي تشير إليه الآيات .

ويظهر ذلك في جانبين : الأول : الجانب الوعظي :

ومن ذلك تفسيره لقوله – تعالى – [وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ] [البقرة : 223] ، قال : (والله لو كانت قلوبنا حيَّةً لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا ؛ لأنها من كلام الله – عز وجل – مصدَّرة بـ (اعلموا)،لكن ، واللهِ القلوبُ ميتة ، والشكوى إلى الله عز وجل) .

الثاني : جانبُ الإرشادات والتوجيهات لطالب العلم :

ومن ذلك تعليقه على قوله – تعالى – [وَيُبَيّنُ آيَاتِهِ للنَّاسِ لَعَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] [البقرة : 221] ، قال : (وأنت إذا آمنت بهذه الجملة ، وهي قوله : [وَيُبَيّنُ آيَاتِهِ للنَّاسِ]، فإنه قد يعرض لك مسألة لا تجدها في كلام الفقهاء ولا في كلام المحدثين ، وعندما تتأمل القرآن تجدها واضحة صريحة ، أو عندما تتأمل السنة تجدها واضحة مبينة فيها ، وهذا شيء معلوم ، ولهذا أحثكم أنتم – طلبة العلم – على أن يكون دأبكم في الوصول إلى غائص المسائل الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ولا حرج أن نستعين بكلام أهل العلم ؛ لأن اعتماد الإنسان على نفسه في فهم الكتاب والسنة قد يحصل فيه خلل كثير ؛ فلا بد أن يعرف القواعد التي قعَّدها السلف من الصحابة والتابعين ، مستنبطين لها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) .

وعند قوله – تعالى – [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ] [آل عمران : 7] ، قال الشيخ : (ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخاً في العلم لا جامعاً كثيراً منه ؛ لأن العبرة بالرسوخ في العلم ؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يُقرِّب العلم

بعضه من بعض ، ويقيس ما لم يُنَصَّ عليه على ما نُصَّ عليه ، ويكون العلم لديه كالطبيعة الراسخة) .

خامساً : النواحي اللغوية :

كان الشيخ – رحمه الله – يولي عناية واضحة بالنواحي اللغوية ، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية ، أو صرفية ، أو بلاغية ، والشيخ – رحمه الله – من خلال وقفاته تلك يهدف فيما يهدف إلى الناحية التطبيقية لطلابه ، ولا أدل على ذلك من إعرابه بعض الآيات واضحة الإعراب إعراباً تفصيلياً [1] ، ومثله استطراداته الكثيرة في قضايا نحوية بحتة فعند

---

(1) انظر إعرابه لقوله – تعالى – : [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد] [آل عمران : 4] .

قوله – تعالى – [وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ] [آل عمران : 19] ، استطرد الشيخ في بيان سبب ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء ، بطريقته الحوارية في الدرس مع الطلبة ، وذكر ما ذكره النحاة في ضابط ذلك :

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس

وقريبٌ منه استطراده حول الاسم الممنوع من الصرف عند كلامه على قوله – تعالى – [أَنَّ الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى] [آل عمران : 39] ، حيث أشار إلى الخلاف في عربية اسم (يحيى) واستطرد من خلاله إلى موانع الاسم من الصرف بطريقته السابقة .

وأما وقفات الشيخ الصرفية فهي قريبه في منهجها من وقفاته النحوية ، فيذكر وزنَ بعضَ الكلماتِ واشتقاق بعضها ليصلَ إلى معنى الكلمة القرآنية ، فعند قوله – تعالى – [نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ] [آل عمران:3] قال الشيخ : (هو هذا القرآن ، وهو (فِعال) بمعنى : (مفعول) ؛ لأنَّه مكتوبٌ فهو كتابٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ ، كما قال – تعالى – : [إِنَّه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ] [الواقعة : 77،78] . وفي تفسير قوله – تعالى –: [ذُرِيَّةً بَعْضُهَا منْ بَعْضٍ] [آل عمران : 34] . قال الشيخ : والذرية مأخوذة من (ذرأ) بمعنى (خلق)؛ لقوله–تعالى–: [يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ] [الشورى : 11] ، يذرؤكم فيه : أي : يخلقكم ، وقيل : من (وذر) بمعنى (ترك) ، فعلى الأول تكون الذرية شاملة للأصول والفروع ، لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون ، أما إذا جعلناها من (وذر) بمعنى (ترك) ، فهي للفروع فقط ، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع ، ثم يتساءل الشيخ – رحمه الله – : هل في القرآن ما يدلُّ على أن الذرية تطلق على الأصول ؟

فيجيب بقوله – تعالى – : [وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ] [يس : 41] . فإن الذين حُمِلوا من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون ، أي أصول) .

والشيخ – رحمه الله – بإيجازه هذا غير المخل ، وتساؤله الذي جاء عرضاً قد أجاب عن إشكال استوقف كثيراً من المفسرين ، ومن آخرهم شيخه

عبد الرحمن السعدي (ت : 1376 هـ) ، حيث قال في تفسيره عند هذه الآية : (وهذه الآية من أشكل المواضع عليّ في التفسير) . [1]

وأما اللفتات البلاغية فلم يخلُ تفسير الشيخ –رحمه الله – من وقفات عندها ، ومن ذلك تفسيره قول الله – تعالى – : [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ] [آل عمران : 14] .

أشار الشيخ إلى قوة التعبير القرآني ؛ حيث سلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء ؛ لأن هذه الأشياء حبُّها قد يكون محموداً إذا لم يكن سبباً لصده عن دين الله .

---

(1) تيسير كريم الرحمن ، ص 696 ، تحقيق : اللويحق .

وفي قوله – تعالى – : [وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ] [آل عمران : 15] ، يشير الشيخ إلى نقطة العموم في إطلاق (مطهرة) لتشمل التطهير الحسيَّ والمعنويَّ معتمداً على قاعدة : أن حذف المعمول يُؤْذن بعموم العامل . قال الشيخ : (ولهذا أمثلة كثيرة – مثلاً – قوله – تعالى –: [أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى] [الضحى: 6–8]، فالرسول صلى الله عليه وسلم وجدهَ ربُّه يتيماً فآواه، وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن ، ضالاً فهداه وهدى به ، عائلاً فأغناه وأغنى به) .

سادساً : استنباط الفوائد :

تُشكِّل الفوائد في درس التفسير جزءاً لا يغفل في منهج الشيخ ، وتأتي أهمية الفوائد من حيث إفرادها في الكلام بمبحث الفوائد عقب آية أو آيات يتم الشيخ تفسيرها والكلام عليها ، ومن ناحية أخرى توسُّع الشيخ فيما يذكره تحت هذا المبحث ؛ فهو لا يقتصر على الفوائد المباشرة في الآية ؛ إذ يذكر الفائدة ثم يتبعها بما قد يتفرع أو يُشْكل عليها ويجيب عنه . فعند قوله – تعالى – : [وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] [آل عمران : 27] .

يقول الشيخ – رحمه الله – : (ومن فوائد الآية الكريمة أن الرزق بيد الله لقوله – تعالى – : [وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ] ويترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلاً عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس ، وإنما يطلبه من الله – عز وجل – ، ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة) . وعند قوله – تعالى – عن امرأة عمران : [وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ] [آل عمران : 36] ، يذكر الشيخ – رحمه الله – من فوائد الآية تسمية المولود حين يولد ، ثم يقول : (وهذا هو السنة : أن يُسَمَّى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهيأ الاسم فإنه يسمي في اليوم السابع ، وبهذا تجتمع الأدلة ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما وُلِد إبراهيم ، قال : (وُلِد لي الليلة غلام ، فسميته باسم أبي إبراهيم) [1] وفي حديث العقيقة قال : (تذبح يوم سابعه ، ويحلق ويسمى ..) [2] . والفوائد مجال رحب عند الشيخ – رحمه الله – لتقرير العقيدة السليمة ، وتصحيح الأخطاء العقدية بشيء من الاستطراد

والبسط ؛ فعند قوله – تعالى – : [قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيّاماً مَعْدُودَاتٍ] [آل عمران : 24] . يقول الشيخ – رحمه الله – :

(ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن هؤلاء يؤمنون بالبعث ؛ لقولهم : [لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيّاماً مَعْدُودَاتٍ] ، ويتفرع على هذا أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولاً ، وإذعاناً ؛ فإن مجرد التصديق لا يعتبر إيماناً ؛ إذ لا بد من القبول والإذعان ، ولهذا أدلة) .

وفي تفسير قوله – تعالى – : [وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] [آل عمران :34] :

---

(1) أخرجه مسلم ، ح / 2315 ، أبو داود في الجنائز ، ح / 2719 .

(2) رواه أبو داود ، ح / 2455 .

يقول الشيخ – رحمه الله – : (ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله ، وهما (السميع والعليم) ، فالسميع يتعلق بالأصوات ، والعليمُ يتعلق بكل شيء بالأصوات ، والأحوال ، والأعيان) .

ثم يستطرد الشيخ في تقسيم أسماء الله إلى متعدية ولازمة ، وما يتضمنه كل نوع من الدلالة ، ثم يستطرد مرة ثانية إلى الفرق بين دلالة التضمن والاستلزام وتطبيق ذلك على اسم (الخالق ، والرحمن ، والحي) . وفي مجال تصحيح الأخطاء العقدية يذكرُ الشيخ –رحمه الله– عند كلامه على آيات عموم القدرة في أكثر من موضع – يذكر مقالة السيوطي – رحمه الله – في تفسير قوله – تعالى – : [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهَوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [المائدة : 120] ، حين قال :

(وخصَّ العقل ذاته فليس عليها بقادر) [1] ،ثم يتعقبها، ففي تفسيره لقوله – تعالى – : [قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير][آل عمران: 29]،يقول الشيخ–رحمه الله–بعد ذكره مقالة السيوطي السابقة:

(فإن هذه كلمة باطلة ، هو أراد معنى – والله أعلم – لكن التعبير بهذا خطأ ، نقول : إن الله – تعالى – قادرٌ على كل شيء يتعلقُ بفعله ، أو بفعل عباده ، كل شيء يفعله الله فهو بقدرته – سبحانه وتعالى – ـــ

(1) تفسير الجلالين ، 1 / 547 بحاشية الجمل .

(و)كل شيء يفعله العباد فهو بقدرته ، وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح ، بل العقل يشهد لله – تعالى – بكمال أو بعموم القدرة وأنه على كل شيء قدير) .

وفي مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحي البشر ، وهي مسألة أطال فيها بعض العلماء النَّفَسَ ، وحشدت لأجلها الأدلة يوردها الشيخ – رحمه الله – من فوائد قوله – تعالى – : [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ] [آل عمران : 33]، يوردها بقوله : (من فوائد الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، ثم يقول: (وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم ؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا : إن فلاناً أفضل من جبريل ، أو جبريل أفضل من فلان ..؟)،وبعد إشارته لشيء من أدلة الفريقين، يقول :

(وجمع شيخ الإسلام – رحمه الله – بين هذين القولين ، فقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، وصالحي البشر أفضل باعتبار النهاية) . ثم ينهي الشيخ – رحمه الله – عرضه للمسألة بقوله : (ومع ذلك فإني أرى أن الإمساك عن هذا أولى.. وأمَّا أيهم أفضل فهذا أمر لم نكلف به).

والحق أن الجانب العقدي في تفسير الشيخ سواء ما يتعلق منه بتوحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات ، أو غيرها من مباحث العقيدة يستحق أن يفرد بدراسة استقرائية وافية يُبرز من خلالها منهج الشيخ في ذلك .

سابعاً: كثرة القواعد العلمية التي يذكرها ويذكر تطبيقها في الآية، وهي قواعد متنوعة من لغوية ونحوية وأصولية وغيرها ومنها :

- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً .
- الأصل أن الوصف متحقق في الموصوف حتى يتبين خروجه عن ذلك .
- من تأمل الشريعة وجد أنها تعتني بالمعنى أكثر من الاعتناء باللفظ .
- لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم .
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- عند التنازع نرد المسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله .
- العام لا يدل على جميع أفراده دلالة قطعية ، بل دلالته ظنية .

ولو جمعت هذه القواعد العلمية العامة مع تطبيقاتها ، لشكلت كتاباً نافعاً لطلبة العلم .

وبعد ، فما ذُكر في هذه المقالة غيضٌ من فيض ، وقليل من كثير ، وعسى الله أن يُقيض من يقوم بدراسة منهج الشيخ في عموم العلوم التي برع فيها ، فيُبرز فيها ما يفيد طلبة العلم من تراث الشيخ المبارك ولا نملك في الختام إلا أن ندعو له بالمغفرة والرحمة ، ونسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى جزاء ما قدم ، إنه سميع قدير ، وبالإجابة جدير .

4 – زهده .

اشتهر الشيخ بزهده في الحطام الفاني ، وقد زرته في بيته القديم بعنيزة عندما دعاني لطعام الإفطار في رمضان ، وقد كان من الطين ، وكان بيتاً بسيطاً جدّاً يذكر ببيوت الأوائل وزهدهم .

وكان الشيخ يؤثر أن يمشي من بيته إلى الجامع على قدميه غالب الأحيان، ويعتذر لمن يريد أن ينقله في السيارة ، ويحب أن يمشي هذه المسافة التي تتراوح ما بين عشر دقائق وربع ساعة على رجليه ، وقد كان يقرأ ورده من القرآن أو الأذكار .

وذلك في شدة الحر أو شدة البرد ، فهذا ديدنه الذي أدركته عليه في بيته القديم ، وقد حصل أن زارني الشيخ في مكة سنة **1407**هـ عندما رزقت بابنتي الكبرى، وعند انصرافه قلت له : يا شيخ ألا ترغب أن يقوم أحد

بتوصيلك إلى الحرم بالسيارة – حيث كان المنزل في مكان جبلي في منطقة أجياد – فقال : لا ، والحمد لله أنني لا أحسن قيادة السيارة .

وقد سألته في هذا المجلس عما يدعيه بعض العلماء من الاستدلال لجماعة التبليغ على توقيت الخروج ، بقوله تعالى : [قُلْ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ] . وقوله تعالى : [وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ] . إلى آخر ما استُدِل به .

فكان جواب الشيخ بعد أن تبسم : هذا لا يصدر من عالم .

ومن زهد الشيخ : أنه كان يلبس نعلاً معروفاً لها أصبع ، لا تتجاوز قيمتها خَمسَة عشر ريالاً ، ويلبسها دوماً .

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

(كان – رحمه الله تعالى – زاهداً في الدنيا ، ليس من أهل العقارات والأموال ، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله ، وقد أُعطي سيارة جديدة فلم يستعملها ، فلمّا علاها الغبار سحبت من أمام البيت .

وأُعطى بيتاً كبيراً فوهبه لطلبة العلم .

وسيارته قديمة (مازدا) في الثمانينات (يعني الموديل) ، ومن تأمّل غترته وبشته ، ونعاله عرف أنه رجلٌ زاهد غير متعلّقٍ بالدنيا) . [1]

قال الشيخ فهد بن عبد الله السنيد : (وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ريع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية ، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه ، وتوزيعه مجاناً) . [2]

وقال سليمان السالم الحناكي : (وقد ذكر لي من أثق به موقفين للشيخ يعبّران عن صفة الزّهد لديه :

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشّرعية ، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق ، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً : إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني (أحد أعيان البلد) وأبى الشيخ إلا أن الشّخص ألحّ عليه ، فأخذ الشيخ المفاتيح ، وركب ذلك الشّخص السيارة الأخرى وذهب .

---

(1) محاضرة للمنجد بعنوان (100 فائدة من العلامة ابن عثيمين) ، وجاء في الاقتصادية بعدد : 2652 أن السيارة من نوع (كريسيدا) .

(2) مجلة الدّعوة ، العدد 1781 .

فيقول محدّثي :

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقلّب المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقاً ، وفجأة أتى شاب وسلّم على الشيخ ، وقال : يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره ، ولكنّ الشيخ تعذّر لبعض الارتباطات، ولكنّ الشّاب ألح عليه بالحضور ، فلاطفه الشّيخ وقال إن ظروفه لا تساعده ، ولكن خذ مفاتيح هذه السيارة فهي هديّة مني لك ، وأخذ الشّاب السيارة وذهب ، وعاد الشّيخ لحديثه وكأن شيئاً لم يكن .

وموقف آخر :

وهو أن الملك خالد رحمه الله تعالى زار الشيخ في بيته كعادة ولاة الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم ، ولمّا رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه

أن يبني له داراً جديدة ، فشكره الشيخ وقال : إنني أبني لي داراً في الصالحية (حيّ في عنيزة) ولكن المسجد والوقف التّابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات ، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه يا شيخ ما علمنا أنّك تبني داراً في الصالحية ، فقال الشيخ : أليست المقبرة في الصالحية !!! .[1]

وقال الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي :

أذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر :

أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب (الكادر) الجامعي، وكانت الإجراءات لبعض

---

(1) جريدة الجزيرة ، العدد 10336 .

الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص ، فلم يتقدّم بأي بحث ، وحينما فوتح برّر ذلك بأن العالِم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات ، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله ، وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به . [1]

وقال الشيخ محمد العبد الله الحميدي : (عينت مديراً للمعهد العلمي بعنيزة عام 1391هـ في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد بن عثيمين لا يزال في موقعه كمدرّس ولاحظت بأنه رحمه الله كان يتحرج من دخول المسابقات في الوظائف (نظام المراتب القديم) لاقتناعه الكامل فيما جاء بالأثر (ما جاءك من هذه الدنيا فخذه ، وما لم يأتك فلا تتطلع إليه)

ولزهده في الدنيا وقدراته العلمية والرغبة في الاستفادة منها في مجال التعليم) . [2]

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

(ومما تحلى به الشيخ ذلك الزهد الذي يذكرك بزهد السلف الصالح وورعهم ، وكان ذلك في لباس الشيخ المتواضع ، وفي بعده عن كثير من مظاهر الأبهة التي يتعاطاها كثير من النّاس ، وجملة القول أن الشيخ قد زانه الله بخلق كريم ، في بيته ومع أهله وطلابه وعموم الناس) . [3]

وقال محمد إبراهيم السبيعي :

(أما عن زهده فحدّث ولا حرج ، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن

---

(1) مجلة الفيصل ، العدد 294 . (2) الجندي المسلم ، العدد 102 .

(3) جريدة الرياض ، العدد 11891 .

عبد العزيز يرحمه الله في منزله الطّيني البسيط في عنيزة ، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر ، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب .

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر ، فآثر أن يوجه هذا التّبرع لشراء العمارة القريبة من الجامع ، لتكون مكتبة لطلبة العلم ، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة) . [1]

وقال الشيخ راشد الزهراني :

يقول أحد الإخوة وكان مرافقاً للشيخ : (رافقت الشيخ إلى زيارة أحد المسؤولين ، فلما دخلنا قصره هالني ما رأيته من أنواع الأشجار والورود وجمال الطبيعة ، فقلت وتذكرت نعمة الجنة : نسأل الله عز وجل أن يرزقنا

الجنة ، فقال رحمه الله : سبحان الله ، سبحان الله ، أو يحرك ذلك ما في قلبك عن الجنة ؟ إن الجنة أعظم بكثير من أن تقارنها بهذه الدنيا الفانية .

يقول : ولمّا دخلنا المسجد لأداء الصّلاة ، خرج الشيخ فلم يجد حذاءه ، فبدأنا بالبحث عنها ، فأُمر له بحذاء ، فأبى ، فرأيت جندِياً يبكي ، فقلت: ما يبكيك رحمك الله ؟ فقال : أبكي لما أرى ، هذا ابن عثيمين الذي ملأ اسمه الآفاق ، وهو بهذه الثّياب ، ويبحث عن حذائه !) . [2]

---

(1) الاقتصادية ، العدد 2650 ، وذكرتها للزيادة عما سبق .

(2) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين ، بواسطة (صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح العثيمين) لحمود المطر .

وقال الشيخ أحمد القاضي: (وحتّى حين عيّن على المرتبة الممتازة التي من خصائصها تعيين سائق وسيارة لصاحبها ظَلّ لا يستعملها إلا في التنقلاّت المتعلّقة بالعمل ، حتّى لربّما تمرّ الأيام دون أن تتحرّك) . [1]

— — —

(1) المجلة الإسلامية ، إذاعة القرآن الكريم .

5- ورعه .

الزهد والورع صفتان نبيلتان يتحلى بهما كرائم الرّجال ، والزهد كما عرفه أهل العلم : هو ترك ما لا ينفع في الآخرة ، والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة .

والشيخ رحمه الله تعالى قد تحلّى بكلا الصفتين الكريمتين ، وقد سبق الحديث عن زهده ، وهذه نماذج من ورعه .

قال الشيخ الدّكتور يوسف بن عبد الله الزامل :

(جئته مع وفدٍ اقتصاديٍّ في أمسية عصرٍ جميلة في منزله القديم ، وتحدّثنا في بعض الأمور ، وشكونا إليه شخصاً مسيئاً ، فكأنّ الشيخ تكلم فيه بضع كلمات تبين أذاه ، ثم تحدثنا في موضوعات أخرى وقضينا بعد مدةٍ مجلسنا ، وكان المجلس مسجّلاً في شريط ، وعندما أردنا أن نخرج قال لي: انتظر ، أعطني الشريط ، أريده ثم أرجعه لك ، ثم بدا له فقال : أتعرف تلك الكلمة التي في الشريط عن فلان ، امسحها) . [1]

وقال الشيخ عائض الردادي :

(وما زلت أذكر موقفَ الشيخ من اسم برنامج (مِنْ أحكام القرآن) في إذاعة القرآن الكريم ، فقد أقرته الإذاعة باسم (أحكام القرآن) فأصرّ

---

(1) مجلة الأسرة ، العدد 92 .

الشيخ على أن يكون الاسم (من أحكام القرآن) التزاماً منه بخلق العلماء ، وتواضعهم وورعهم ، فهو لم يرد أن يوصف ما استنبطه من آيات الذكر

الحكيم بأنه كلّ ما في الآيات من أحكام، بل أدخلَ (مِن) ليكون ما يقوله شيئاً مما استُنْبِطَ من الآية) . [1]

وقال الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

(إنه عرض لمسألة في المسح على الخفّين ، وذكر أنّ فهمه للدليل كذا ، ولولا أنه لا يعرف من قال بها من السلف لأفتى بها) . [2]

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

(وكان متحرّياً للدقة ، وحتى في تصحيح درجات الطلاب فربما يعطي واحداً من خمسٍ وأربعين ، وواحداً من ثمانين ، فيقول له بعض من حوله من المدرّسين : إلى هذه الدرجة الدّقة ! فقال : لا أستطيع أن أزيده فأظلم غيره ، ولا أن أنقصه فأظلمه) . [3]

وقال الشيخ الدّكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

(في عام 1417هـ وفي شهر شوّال ، استضافته جامعة الإمام في دورة المبتعثين في المعهد العلمي بجدّة في محاضرة علميّة للمبتعثين ، ليجيب على أسئلتهم الشّرعية ، وقد تزامن ذلك مع اجتماع هيئة كبار العلماء في مدينة الرياض ، فاعتذر الشيخ عن المحاضرة إلاّ أن يأذن له سماحة الشّيخ ـــ

(1) الجزيرة ، (2) مجلة الدّعوة ، العدد 1776 .

(3) الدعوة ، العدد 1777 .

عبد العزيز بن باز ، فأذن له ، فحضر وقد شرفت بمرافقته وقراءة الأسئلة على فضيلته ، وفي نهاية المحاضرة طلبت منه توقيع أنموذج يتم من واقعه صرف مكافأة لصاحب المحاضرة، فلمّا صلى الشيخ رحمه الله تعالى المغرب

وجلست بجواره لاستكمال الإجابة على الأسئلة ، قال لي : أين الورقة التي قبل قليلٍ ؟ فأعطيتها إيّاه ، فمزّقها ، فقلت له : لما فعلت هذا يا شيخ أحسن الله إليك ؟

قال : نحن محسوبون الآن على هيئة كبار العلماء بالرياض .

فأكبرت هذا الورع العظيم في شخصه رحمه الله تعالى حيث رفض مكافأة الجامعة على هذه المحاضرة رغم تكلفة مشقّة السفر إلى جدّة معلّلاً ذلك بأنه في حال انتداب إلى الرّياض لحضور اجتماع الهيئة ، فرحمه الله رحمة واسعة) . [1]

وقال الشيخ عبد الرحمن العشماوي :

(ومما رواه لي بعض الأخوة الثّقات عن أمانة الشيخ : أحد الإخوة كان ينقله معه من عنيزة إلى بريدة للعمل في الجامعة ، ويقول : أنا في نقل الشيخ معي كنت أستفيد فائدة كبيرة ؛ علم ، وأسئلة ، والشيخ يجيبني ، وأفاجأ به في آخر كلّ شهر عندما يستلم راتبه يأخذ المبلغ المقتطع للنقل ويسلمه لي ، وأنا أحاول ردّ المبلغ ، فيقول : لا يمكن لأن هذا المبلغ مخصص للنقل ، وأنت نقلتني فيجب أن تأخذه) . [2]

---

(1) مجلة الدعوة ، العدد 1776 .

(2) مجلة الدّعوة ، العدد 1776 .

وقال أيضاً :

(ومن الأشياء العجيبة عنه أنه كان إذا استخدم قلمه في الجامعة واضطر أن يملأ قلمه بالحبر من (الدواة) من مكتبة الجامعة ، بعد أن ينتهي من

العمل ، وقبل أن يخرج يفرغ ما بقي من الحبرفي قلمه في (الدواة) بالمكتب ، ثم ينطلق) . [1]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النّهابي إمام وخطيب جامع الصالحية ، وعضو الجمعية الخيرية الصالحية :

(وفي مجالس الجمْعية لاحظت الورع في تعامله رحمه الله ، فلا يمكن أن يدخل على الجمعيّة ما لا يصحّ أن يدخل فيها أو يخرج منها ، ما ليس فيه مصلحة ظاهرة ، أو منفعة تعود على الجمعية .

ومن ذلك :

أنه وصلنا تبرع من آل الإبراهيم وفقهم الله بمبلغ مائة ألف ريال ، وكان مزيل في الشيك أنّه زكاة ، فعرضنا ذلك على فضيلته ، فقد كان أفتى بعدم صرف الزكاة لجمعيّات تحفيظ القرآن الكريم ، وقلنا سنضعه في الطّلاب الفقراء والمعلمين المحتاجين ، فقال : ليُرد عليهم المبلغ ، أو يراجعون في تحويله لصرفه لغرض الزكاة .

وكان يقول : نحن مسؤولون عن هذا المال الذي بين أيدينا فلا نستهين ولا بريالٍ واحد) . [2]

---

(1) المصدر السابق .

(2) جريدة الجزيرة ، العدد 10346 .

وقال الدّكتور عبد الله بن علي الجعيثن :

(ومن أمثلة ذلك : أنه كان رحمه الله يميل إلى قوة القول بأن لابس الخفّ لو نزعه وهو على طهارة مسحاً أنه له إعادته والمسح عليه ، لكنه أوقف

القول به على وجود قائلٍ به ممن سبقه ، حيث قال – رحمه الله تعالى – فالذي يمنعني من القول به هو أنني لم أطلع على أحدٍ قال به ، فإن كان قال به أحد من أهل العلم فهو الصواب عندي) . [1]

ومن ذلك أن الشيخ أفتى بفتيا اتّهمه الناس على إثرها بتهم شتّى تتعلّق باعتقاده ، وذات مرّة سأله أحد طلبة العلم عن تلك الفتوى وما أثارته ، فأجابه الشيخ ، وقال ضمن إجابته : (إن النّاس إذا رأوا إنساناً مشهوراً تكلموا عليه ، وطعنوا فيه حسداً من عند أنفسهم) وفي المساء طلب الشيخ شريط التسجيل الذي تضمّن هذا الكلام ، وطلب حذفه ، وقال: (قَوْلي : إنساناً مشهوراً ما كان ينبغي لي قولها ، فهذه فيها تزكية للنفس) [2] .

وقال في شرح زاد المستقنع في أحد الدّروس :

(قضيّة الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة ، لأننا لوقلنا بوجوب كل أمرٍ لكلفنا الناس ، وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تنضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي ، لأنه يخرج من الوجوب

---

(1) الدعوة ، العدد 1777 .

(2) الأسرة ، العدد 92 .

كثير من الأوامر بالاتفاق ، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح). [1]

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهيبي :

(وكان رحمه الله يرفض أن يتسلّم رواتب الدروس التي يتخلّف عن تدريسها في الجامعة ، نظراً لبعض انشغالاته) . [2]

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

(خرج الشيخ مرّة مع شخصٍ في سيارته من عنيزة إلى بريدة في مهمة في مشروعٍ خيري ، فأسرع السائق المرافق للشيخ ، وكان في الطريق نقطة تفتيش على السرعة الزائدة ، فأوقفوا السيارة لإعطائه المخالفة ، فنظر العسكريّ في السيارة ، فإذا فيها الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستحيا وقال : تفضّلوا امشوا ، فمشت السيارة ، وبعد برهة يسيرة ، قال الشيخ للذي معه : لماذا أوقفونا ؟ قال : لأجل السرعة الزائدة ، قال : ارجع إلى هذه النقطة ، فاستدار ورجع إلى أمر الشيخ ، فلمّا وصل إلى المكان قال لهذا العسكريّ : لماذا أوقفتنا قبل قليل ؟ قال : يا شيخ كان فيه سرعة زائدة ، قال ولماذا تركتنا نمضي ؟ قال : قلت لعلّكم مستعجلين وعندكم مسألة مهمّة ، قال : لا ، كم هي مخالفة السّرعة ؟ قال : يا شيخ ما فيه داعي ؟ قال :كم مخالفة السّرعة ؟ ثلاثمائة ، هذه مائة وخمسون منّي ومائة وخمسون تأخذها من هذا لأنه خالف ولأني ما نصحته، وأصرّ على دفع

---

(1) المصدر السابق .

(2) الاقتصادية ، العدد 2650 .

المبلغ). [1]

وقال الدكتور أحمد بن سليمان العريني :

(عندما درّسنا لمادة العقيدة في كلّية الشريعة بالقصيم ، وأجرى لنا امتحان أعمال السنة ، كان الامتحان يوم الأحد ، وفي السّبت الذي يليه أحضر أوراق الإجابة مصحّحة ، بينما عدد الطّلاب يفوق الثمانين ، فسلّم لنا الأوراق وقال : اقرؤُوها ، ومن وجد أنّي ظلمته في شيء من الدرجات أثناء التصحيح فليُراجعني ، وأذكر أن أحد الزّملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له) . [2]

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

(كان رحمه الله لا يستخدم أقلام وأوراق الدوائر الحكومية في أعماله الخاصة والشّخصية ، حدّثني أحد طلاب الشيخ : أنه في أيّام الحج يقول : كنّا في صحبة الشيخ ، وقد وفّرت له الدّولة وفّقها الله هاتفاً مجّانياً بالصّفر الداخلي ، وإذا أراد أن يتصل الشيخ اتصالاً شخصياً اتصل بهاتفه الخاص ، وكان يقول : هذا هاتف يستقبل ولا يرسل ، بل ويقول نفس طالب الشيخ :

اتصل بي في إحدى المحاكم بالمملكة وقال : لديّ ورقة خاصة أريد أن أرسلها لك بالفاكس ، أعطني رقم الفاكس ، فقلت : هذا الرقم يا شيخ يتحول إلى فاكس ، فقال الشيخ : أليس هذا رقم المحكمة ؟ قلت : بلى ،

---

(1) شريط 100 فائدة من العلامة ابن عثيمين .

(2) الدعوة ، العدد 1777 .

قال : والفاكس أليس للمحكمة ؟ قلت : نعم ، قال : كيف أرسل ورقة خاصة على حساب بيت مال المسلمين ؟ اذهب واشتري فاكساً لأرسل لك الورقة ، وتم ذلك) . [1]

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل :

(دعاني الشيخ ابن عثيمين للطعام ، وكان نوعاً واحداً على السفرة ، وبعد أن تناولنا الغداء أعطاني كيساً فيه مبلغ كبير من المال جُمع في المسجد لصالح المسلمين ، ولما خرجت لحقني الشيخ مسرعاً قبل ركوبي ، وينادي ، فقلت : ماذا تريد يا شيخ ؟ فقال : انتبه ، إن في الكيس نصف ريال ، فقلت : أبشر يا شيخ، وعندما فتح الكيس وعددنا الأموال وجدنا نصف ريال، وكان الشيخ من حرصه على أموال النّاس وصدقاتهم خائفاً أن ننسى هذا النصف ..) . [2]

قال الأخ خالد بن صالح الشبل :

(كان للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة ، ولما حضر كنت أحضرت معي إناءً صغيراً فيه رطب ، وكان الرطب في بدايته ، ولما قَدّمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً ، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت ، لكني قلت له : إن هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد ، وتُسقى من ماء المسجد ، ويأكل منها جماعة المسجد والمارة ، فتغيّر وجهه وقال لي ولم يكن معنا أحد : يعني ـــ

(1) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر .

(2) جريدة الرياض ، العدد 11891 .

ليست عندك في البيت ؟ قلت : لا ، فأخرج من جيبه عشرين ريالاً ، ومدّها لي ، فحاولتُ ردّه ، لكنه رفض بشدّة ، فأدخلت المبلغ للمسجد، وندمت إن كنت أسأت إلى الشيخ من حيث لا أريد ذلك ، وإنّما أحببت أن يطعم منها حُبّاً له) . [1]

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

(ذات مرة ونحن في الغرفة التي يجلس بها في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين ازدحمت الغرفة كثيراً بسبب وفود قدمت من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ، وجاء وقت الإفطار ، فأخذ يوزّع التمر على الضيوف بنفسه رحمه الله ، وقام أحد الطلبة بإدخال أحد ترامس الماء التي خارج الغرفة بجوار الباب لكثرة الناس داخل الغرفة ، وكان التّرمس الذي بداخلها لا يكفي ، فقال الشيخ : لا تُدخله ، فهذا لم يوضع لنا داخل الغرفة ، وإنما للمصلين الذين بالخارج .

ومن ذلك أيضاً : أنه كان يقتصد في الإضاءة داخل الغرفة ، فعندما أشعل الأنوار وقد تكون ثلاثاً أو أربعاً ، يقول : يكفي واحدة أو اثنتان ويأمرني بذلك) . [2]

وقال د . أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

(من عجائب ورعه ودقّته أنه إذا تغيّب عن إمامة الجامع بسفرٍ أو نحوه دفع ما يقابل راتب الإمامة لمن استخلفه ، وكان إبان تدريسه بالمعهد

---

(1) الجزيرة ، العدد 10339 .

(2) ملحق الأربعاء ، عدد يوم 1421/10/29هـ .

العلمي كما حدّثونا من سبقونا أنه إذا تأخّر عن الدّوام ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجلّ الحضور والانصراف ، وكتب أمامه : بغير عذرٍ) . [1]

ومن أبرز مظاهر الورع عند الشيخ رحمه الله تعالى ما اشتهر عنه من رفضه للمناصب الكبرى ، ومنها منصب القضاء .

فقد أصدر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاتها أمره بتولّي الشيخ – المترجم – القضاء في محكمة الإحساء رئيساً لها .

فاعتذر الشيخ ولم يقبل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى اعتذاره لما يجده في الشيخ ابن عثيمين من القدرة على تولّي هذا المنصب الهام والخطير في نفس الوقت ، لكن الشيخ محمد ألحّ في رفضه ، وبعد اتصالات مع الشيخ ابن إبراهيم – رحمه الله تعالى – قبِل اعتذاره .

وقال الشيخ عبد القادر محمد العماري ، رئيس المحاكم الشرعية بقطر سابقاً :

(فابتعاده رحمه الله عن القضاء على الرّغم من إلحاح فضيلة الشيخ محمد ابن إبراهيم عليه يدلّ على زهده وورعه ، ولكن إلحاح الشيخ محمد باعتباره رئيس القضاء كان مبنياً على أن من مسؤوليته أن يتولّى الأكفاء

---

(1) جريدة البلاد، العدد 16244 .

والنُزَهاء ، وأن من واجبهم المشاركة في المسؤولية حتى لا تخلو الساحة من الأكفاء والمخلصين ، ويترك الحبل على الغارب ، وتكون النتيجة عكسية ، فيتحمل مسؤوليتها الجميع أمام الله ...) . [1]

— — —

(**1**) المستقبل الإسلامي ، العدد 115 .

6- تواضعه .

إنَّ سجية التواضع من السّجايا التي تحلّى بها الشيخ ، وألقت له المحبّة والقبول في نفوس العامة والخاصة من النّاس ، فهو متواضعٌ في ملبسه وممشاه ، وجلوسه مع الناس ، وتعامله معهم ، وفي حله وترحاله ، وفي سائر شؤونه رحمه الله تعالى وغفر له .

قال الدكتور يوسف بن عبد الله الزّامل : (اتّجهت صباح أحد الأيام إلى المطار لأسافر إلى الرّياض لمناقشة رسالة [ماجستير] في الاقتصاد الإسلامي ، ولم أشعر وأنا أمرّ بالفحص الأمني إلاّ والشيخ رحمه الله تعالى يمرّ بجانبي ، فسلمت عليه بشعور اختلط فيه السرور ، مع المفاجأة ، وكان الشيخ خفيف المحمل فلم يكن معه حقيبة ، ولذلك سرعان ما تقدّم حتى ابتعد كثيراً ، وما إن جمعت حقيبتي بعد فتحها حتّى هرولت مسرعاً للحاق به ، وما إن صعدنا الطائرة حتى قال له أحد المضيفين : تقدّم ياشيخ ، فالمقاعد في الدرجة الأولى خالية ، فقال: لا ، وإن أذنتم جلسنا في مؤخرة الدرجة السياحية خلف الناس ، فبادر المضيف : (تفضّلوا) ، ولما أردنا الجلوس خلع الشيخ (البشت) أي [العباءة] فقال المضيف: أعطنا

نعلّقه،فقال الشيخ:لا ،ما يحتاج (عتيق) أي أن البشت قديم لا يستحقّ مزيد عناية وطواه بنفسه ووضعه في الكرسيّ الوسط وجلس إلى النافذة وجلست بجانبه على كرسيّ الممر..) . [1]

---

(1) مجلة الأسرة ، العدد 92 .

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

(ولا أنسى في هذا المقام أنني عاتبت أخانا الفاضل عبد الكريم المقرن – المذيع بإذاعة القرآن الكريم – حيث قلت له : لماذا عند التعريف بالشيخ عند تقديم برامجه – مثل نور على الدرب – وسؤال على الهاتف، وتفسير آيات الأحكام ، لا تذكرون أنه عضو هيئة كبار العلماء ، لأنه أعلى الألقاب للشيخ ؟ فقال : إن الشيخ يرفض ذلك بتاتاً ، وقد حاول معه بعض المشايخ وطلبة العلم ، ومع ذلك رفض) . [1]

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي عن خروج الشيخ معهم في رحلة برّية وهم طلاب في المرحلة الثانوية :

فقال الشيخ عبد الرحمن : (أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب ، ابتدأنا بالسباق على الأقدام فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب ، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوّة جريه ، ثم تتابع السّباق) . [2]

وقال الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي :

(ولقد حضرت مناسبات ومآدب لفضلاء أجلاء من كبار العلماء والمشايخ والوجهاء ، والشيخ من المدعوين لها ، فيأتي المدعوون بمظهر أنيق ، وسيارات فارهة بما أباحه الله لعباده ، ويأخذون مجالسهم في هدوء ـــ

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

(2) الجزيرة ، العدد 10346 .

منهم ومن الحاضرين ، ويأتي الشيخ متأخراً ، أين سيارته ، إنها هذا الونيت ، أو الجيب ، أو تلك السيارة الصغيرة التي يزدريها النظر لأحد طلبته من صغار السّن ، وإذا بالشيخ بقامته القصيرة ، وجسمه النحيل ، وعباءته المتواضعة ، قد قصر ثوبه ، ووضع غترته البيضاء على رأسه من غير تكلّف ، وقد أحاط به محبّوه من كل مكان .

فإذا أقبل تسابق المستقبلون للحفاوة به ، وإذا دخل المجلس ارتج المجلس لحضوره ، يحيونه ويكرمونه بصدر مجلسهم ، والشيخ هاش باش يرد التحية بأحسن منها ، ويقابل الثناء بالدعاء ، تأخرت علينا يا شيخ ، فيعتذر : نعم ، نعم ، لقد كان عندي درس وتأخرت لإجابة السائلين والمستفتين ، ولم أتمكن من الحضور إلا الآن ، فإذا جرى الكلام كان كلامه مقدّماً ورأيه ظاهراً).[1]

وقال العقيد الركن / علي بن محمد الخشان : (دُعي مرّة لإلقاء محاضرة في المعهد الملكي الفنّي بالقصيم ، فلما أنهى المحاضرة صار الخروج من باب غير باب الدخول ، فسارع أحد الطلبة للإتيان بحذاء الشيخ ، وقال ذلك الطالب : سأحمل الحذاء حتى تخرج ، فرفض الشيخ ، وقال مازحاً : أتريد

أن تأخذها لك ، وكان أيضاً إذا دخل المسجد حمل حذاءه بنفسه ، ووضعه بجواره حيث يوجد عازل ؛ لئلا تؤذي المأمومين) . (2)

---

(1) الدعوة ، العدد 1778 .

(2) مجلة الجندي المسلم ، العدد 102 .

وذكر الشيخ عبد العزيز بن حميّن الحمين رئيس محكمة محافظة الرّس مظهراً من مظاهر تواضعه :

(إفشاء السلام على الصغير والكبير ، حتى على عمّال النظافة والباعة في الأسواق ، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلّف ولا عناء ، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب ، تطبيقاً لقوله ρ : " أفشوا السلام " الحديث .. وهو أسلوب تربويّ دعوي لا يكلّف شيئاً لكنه عظيم الأثر ، عميق التأثير) . (1)

قلت : ومن تواضع الشيخ قوله عن نفسه :

(ولست من الذين يصحّ نسبتهم إلى علم الحديث ، ولكني اتجهت إلى علم الحديث) . (2)

فليتعظ بهذا من يحفظ حديثاً أو حديثين فيدعى بين الأنام محدّثاً .

وقال الأخ كمال أحمد صابر (أمين مكتبة السكن الطلابي) :

(في مرحلة إنشاء السكن الجديد للطلاب كان الشيخ رحمه الله تعالى يأتي يومياً لمتابعة المبنى ، ويتطلع على الأمور والمستجدات بنفسه مع العمال والمهندسين ، وفي ذات يومٍ وهو يقوم بالتفقد للسكن أراد الشيخ رحمه الله

تعالى أن يطمئن على خزان الماء الأرضي للسكن ، فقام برفع غطاء الخزان الأرضي ليتأكد من نظافته ، وذلك مما يدل على تواضع الشيخ وحرصه الشديد على طلابه) . [3]

---

(1) جريدة الرياض ، العدد 11896 . (2) الدعوة ، العدد 1776 .
(3) الدعوة ، العدد 1777 .

وقال أيضاً :

(كان من تواضعه أنه رحمه الله يحمل معي بنفسه صناديق الكتب التي تأتيه إلى البيت ، حيث إن الشيخ يقوم بالاتصال عليّ في المكتبة ، ثم أذهب إليه في البيت ، ثم أقوم بعمل فهرسة هذه الكتب التي تأتي من داخل البلاد وخارجها ، فكان الشيخ رحمه الله تعالى يحمل معي الكتب ، ويجلس على الأرض) . [1]

ويقول إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين عن والده المترجم :

(كان للشيخ نفقات كثيرة وخدمات متعددة من الصعب أن أعرفها حتى لو علمت منها أشياء ، فهناك الكثير الذي لا أعلمه ، والسبب في ذلك أنه كان يدير أمواله وأعماله بنفسه ، لم تكن له سكرتارية ومكتب ، أو مثل هذه الأشياء ، ورغم ذلك كان منظماً حتى مخاطباته كان يكتبها بخط يده) . [2]

ومن بساطته رحمه الله تعالى ما ذكره الشيخ عبد المحسن القاضي :

(أن الشيخ ذات مرّة حين كان قادماً من مسجده إلى بيته على رجليه أراد الجنود منْعه من المرور بجوار منزله نظراً لأن ولي العهد سيقوم بزيارة الشيخ

ابن عثيمين ، فأخبرهم بأنه ابن عثيمين الذي سيزوره ولي العهد ، ولم يعرفه الجنود حينها) . [3]

(**1**) الدعوة ، العدد 1777 .

(**2**) الأسرة ، العدد 92 .

(**3**) جريدة الوطن ، العدد 112 ، بتصرف يسير .

وقال محمد الناصر العريني :

(كان من شدة تواضعه لا يكتب اسمه تحت لقب الشيخ ، ولا بالابن ، وإنما يكتب محمد الصالح العثيمين كما ترونها في فتاواه وتزكياته ، وسمعته في محرابه يقول لشخص : اذهب لفلان ، وقل له يقول لك محمد العثيمين كذا وكذا) . [1]

وقال الطالب عبد الرحمن الوكيل :

(وأذكر قصة حدثت في أحد تلك الدروس (في الحرم المكي) حيث كنت جالساً إلى جوار الشيخ ، وعندما انتهى من الدّرس قدم له أحد طلابه كوباً من الماء ، فشرب نصفه ، وقدم لي نصفه الآخر ، فكان موقفاً لا ينسى بالنسبة لي) . [2]

وقال الشيخ فهد بن عبد الله السنيد :

(كنت آكل معه رحمه الله أكلة السحور في مكة ، وكنت جالساً إلى جانبه ، فلمّا شرع في أكل الفاكهة صار يعطيني منها ، وهذا يدلّ على تواضعه ، وحسن ملاطفته لطلاّبه .

وأذكر أيضاً : في عام 1406هـ في عنيزة أن بعض الحاضرين أحضرَ نَعْليْ الشيخ – رحمه الله تعالى – لما أراد الخروج من المسجد ليلبسهما ، فرفض الشيخ ذلك ، وأمره بأن يعيدهما إلى مكانهما) . (3)

---

(1) الجزيرة ، العدد 10335 .

(2) الجزيرة ، العدد 10336 .

(3) الدعوة ، العدد 1781 .

قلت :

ومما أذكره مما رأيته من تواضع شيخي رحمه الله تعالى أنه في عام1406هـ بعد تخرجي من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، احتجْت إلى عدد من شهادات التعريف (التزكيات) من الشيخ لأتقدم للحصول على الماجستير فطلبت من الشيخ أن يكتبها لي ، وقد كان في الحرم المكي فجلس على الدرج النازل من الدّور الثاني إلى الدور الأولّ ناحية باب الملك عبد العزيز ، وبدأ يكتب لي هذه التعاريف ، وأذكر أنها كانت خمسة مقدمة إلى خمس جهات .

ومما أذكره أيضاً أنه في عام 1413هـ أتى الشيخ للعمرة ، ولم يكن كثير أحد يدري أنه في الحرم ، فطلبت منه أن أصحبه في عمرته لأنظر ماذا يصنع ، وبعد الانتهاء من العمرة اتّجه إلى السيارة التي أتى فيها ، وقام بتبديل ملابسه بجوار السيارة الواقفة أمام مستشفى أجياد كما يفعل الفقراء والضعفاء ممن لم يتيسر لهم مسكن بمكة ، وهذا من تواضعه رحمه الله وغفر له ، وفي هذه المرّة وبعد صلاة العصر أراد الشيخ الخروج من الحرم،

فذهب أحد محبّيه لإحضار نعله ، فغضب الشيخ وقال له : تب إلى الله ، فقال حاضر يا شيخ سأفعل لكن ليس الآن ، فقال : بل الآن .

وفي هذه السنة 1413هـ احتجت أيضاً إلى تعريف من الشيخ ، فطلبت منه ذلك ، فجلس في الصحن حول الكعبة ، وكتبه لي ، ولا يزال معي إلى الآن [1] . فرحمه الله تعالى وغفر له .

---

(1) انظر صورة منها في مقدمة الكتاب .

وقبل هذا بسنوات في عنيزة كنت جالساً مع فضيلته في المسجد المؤقت أثناء بناء المسجد الجامع الجديد ، وتعطل الميكروفون ، فقلت للشيخ : هل تسمح لي بإصلاحه ، فقال : إذا أردت أن أعلمك طريقة الإصلاح فأنا على استعداد لذلك ، أو كما قال رحمه الله تعالى وغفر له .

وقال الشيخ عبد المحسن القاضي :

(مرة كان في إحدى حلقات التعليم ، أحد طلابه ذهب إلى دورة المياه ، فانكسرت (أنبوبة) الماء ، فأتى إلى الشيخ في وسط الحلقة وأخبره بذلك فما كان من الشيخ رحمه الله – وكان في مسجد بجوار بيته يدرس في الصباح – إلا أن ذهب وأتى بعدّة الإصلاح (السباكة) هو والطلاب ، واجتمعوا وأصلحوا هذه (الماسورة) ، ثم رجع لدرسه ليكمل) . [1]

وقال النقيب صالح بن عبد العزيز العجلان :

(أذكر في ذات مرّة كنت في مجلسه في منى أثناء موسم الحج ، وكان في نفس المجلس (المخيّم) سماحة مفتي الدّيار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حيث يجلس بجانبه ، من أجل الفتوى لعامة الناس ،

وبينما الزّحام يختلف من وقتٍ لآخر وكلاهما رحمهما الله مشغولٌ في الفتوى والإجابة على الأسئلة دون كللٍ أو ملل حتّى خفّ الزحام ، ولم يبق لديهما من يسأل ، ثم أقبل رجلٌ يريد الإجابة على سؤال ، ثم اتّجه لفضيلة الشيخ ابن عثيمين ، وسأل الرّجل ، ثم رفض الشيخ محمد الإجابة وأشار لفضيلة الشيخ ابن باز قائلاً : (انظر الوالد) أي اسأل الوالد ابن ـــــ باز) . [1]

(1) برنامج (معكم على الهواء ، حلقة خاصة عن الشيخ) بواسطة صفحات مشرقة، ص8 .

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

(في مرّة كان له محاضرة في كلية البنات بمكّة ، وأنزلته بجوار باب الإدارة وكان في استقباله المسؤول ، وذهبت أبحث عن موقف للسيارة ، وبقي ينتظرني عند الباب حتّى عُدت ، ولم أكن أعلم أنه ينتظرني) . [2]

وقال إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين :

(أذكر في وقت مرضه كان في المسجد في الجامع الكبير بعنيزة صلى معه شخص قد جاء من (حفر الباطن) للسلام على الشيخ والاستفادة من علمه ، وكان معه (طواقي) المعروفة والتي توضع على الرأس ، فكانت اثنتين يقول أنهما من صديق له ، والدته قامت بصنعها بيديها وهي من أهل جازان ، فقام من تواضعه وبساطته رحمه الله بأخذها ، وقام بنزع غترته وطاقيّته ، ثم قام بوضع إحدى تلك الطاقيتين رغبة منه رحمه الله بجبر خاطر ذلك الرجل ، وخرج من المسجد وهي على رأسه) . [3]

وقال الشيخ محمد الشرافي :

(أحد الإخوة واسمه عبد الصمد سأل الشيخ مرة في درس التفسير قال : يا شيخ حفظك الله ، إنا نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يذكر السمع مفرداً ، والبصر مجموعاً ، كقوله تعالى : [فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ

---

(1) الأربعاء عدد يوم 1421/10/29هـ .

(2) المصدر السابق .

(3) الرياض ، العدد 11897 .

وَلاَ أَبْصَارُهُمْ] . [الأحقاف : 26] وقوله:[وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ] . [السجدة : 9] فلماذا ؟ فأطرق الشيخ برهة ، وقد أشرعنا أقلامنا لكتابة الجواب ، ولكن كان الجواب أحسن مما نتوقع ، فقال الشيخ : لا أعلم ، فوالله ما أُعطينا فائدة في تلك الليلة أعظم من تلك الفائدة) . [1]

وقال د . سعود حسن مختار بعد أن ذكر إجابة الشيخ للدعوة ، قال : (ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات ، فقد رأيته مرّة في مكان عام بمكة ، وقلت له : يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرّة وتجلس إلى إخواني وأهلي ، فقال : أين عنوانك ، قلت : في جدّة ، فقال: إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك ، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك ، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني رحمه الله بالعزيزية ، فقلت له : متى آتيك يا شيخ لآخذك ، قال : لا ، أنا آتيك ! وأخذ العنوان ، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق ، فقلت : لعلّه نسيني، وهذا من الطبيعي من مثله لمثلي وإذا به يقف أمامي ، ثم أدخلته إلى المنزل ، وذهبت لأحضر مسجّلاً

لأسجّل كلامه ، فجئت بالمسجّل ، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي ، فلمّا رجعت رأيته قد غيّر مكانه إلى مكانٍ آخر ، وجهّز المسجّل بعد أن أزاح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء ! وأنا مندهش لتواضعه ، ثم قال : لا تكلّف على ـــــ

(1) شريط الإمام ابن عثيمين ، مجموعة من طلبة الشيخ (تسجيلات صدى التقوى بالرياض) .

نفسك ؛ الفول زين بمكة ، ويكفينا للعَشاء) . [1]

وقال أحد محبّي الشيخ رحمه الله تعالى : (كان رحمه الله تعالى مع أحد محبّيه بسيارة قديمة ، كثيرة الأعطال فكانت تمشي وتتوقف ، وفي مرة من المرات توقفت وهو في طريقه إلى الجامع ، فما كان منه رحمه الله إلا أن قال للسائق : ابق مكانك ، وسأنزل لأدفع السيارة ، فنزل الشيخ رحمه الله تعالى ودفع السيارة بنفسه حتى تحركت) . [2]

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

(كنت يوماً بجواره في احتفال المعهد العلمي بعنيزة ، وسألني قائلاً : هل لك كلمة في الحفل ؟ فقلت : لم يُطلب مني ذلك ، فدعا مدير المعهد خلال الحفل ، وقال له : اجعلوا كلمة للشيخ حمد ، فخجلت من نفسي أن يقول الشيخ عنّي شيخاً ؛ وزاد على ذلك أن قال لمدير المعهد: اجعلوا كلمته قبل كلمتي ، فزاد من حرجي وحيائي) . [3]

وقال د . محمد رزق طرهوني بعد أن ذكر قصة لطيفة في تقبيل رأس الشيخ :

(وبعد صلاة التراويح بدأ درسه كالعادة بتفسير آية من الآيات تلاها إمام الحرم ، ثم بدأ في درسه ، وكان عنوانه (السلام) وتكلم كلاماً ـــــ

(1) المدينة ، العدد 13779 .

(2) جريدة البلاد ، العدد 16237 بواسطة صفحات مشرقة صـ58 .

(3) جريدة الجزيرة ، العدد 10341 .

عجيباً وكأني لأول مرة أسمعه ، ثم استفاض في ذلك كعادته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، ثم أجاب عن الأسئلة المطروحة عليه ، بعد ذلك قال : يا إخوتي ويا أبنائي أرجو منكم بعد مغادرتي لهذا المكان ألا تتجمعوا عليّ وتقبّلوا رأسي، ومن أراد السلام عليّ ففي المكان ، وتكفي المصافحة ومن الأمام فقط ومن الأمام فقط ، ثم قال رحمه الله تعالى : أرجو أن يسامحني كل من جفوته ، أو نهرته ، أو قسوت عليه ، فلا أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وأريد أن يكون طالب العلم متحلّياً بسمات العالم ، متميزاً عن غيره) . [1]

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

(مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني ، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد ، فلمّا أتى لينزل من السيارة جعل حذاءه داخل السيارة ونزل ، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة ، فقال الشيخ : لا ، دعها ، ونزل حافياً فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيماً) . [2]

وكان الشيخ مع أهله مثالاً للتواضع ولين الجانب ، من ذلك ما ذكره ابنه إبراهيم حفظه الله تعالى قائلاً :

(كان لا يقدم على أمرٍ يتعلّق بنا أو بالأسرة إلا بعد مشورتنا ، فدائماً كان يكرّر رحمه الله كلمة : سوف نعقد مؤتمراً عائلياً وهو يمازحنا ، فكان يجتمع بنا ويستشيرنا ، فرداً فرداً ، ويطلب الرأي من الصغير والكبير ، ـــ

(1) انظر صفحات مشرقة صـ124. ، وعزاه لجريدة المدينة ، العدد 13779 .

(2) الجزيرة ، العدد 10334 .

فيجمع الآراء ، ونتفق سويّاً) . [1]

قلت :

ومما أذكره من تواضعه رحمه الله تعالى واحترامه لأهل العلم : أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الرّاجحي بالرياض بالربوة في (أحداث الشيشان) في يوم الأربعاء 1420/8/16هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه ؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، وكان قد توفّي منذ فترة ، فأجاب الشيخ قائلاً : (مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة ، ونشهد الله على حبِّه ، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث ، ونفع الله به الأمة ؟!!) رحمه الله وغفر له .

(وفي أحد المرات دعي لافتتاح تسجيلات إسلامية فوجد لكل صاحب أشرطة لوحة كبيرة عليها اسمه ، ولاحظ أن لوحة الشيخ الألباني صغيرة ، فأنكر عليهم ، وأمرهم بتكبير لوحة الألباني ، أو تصغير لوحات المشايخ الآخرين) . [2]

---

(1) شريط الإمام ابن عثيمين ، بعض أقرباء الشيخ ، تسجيلات (صدى التقوى) بالرياض .

(2) مجلة الأسرة ، العدد 92 .

6- عدم محبته للمديح ، والثناء عليه .

وقد كان رحمه الله تعالى لا يحب الإطراء عليه ، أو مدحه والثناء عليه عند الناس ، ويمنع من ذلك ، بل يُحرج من يفعل ذلك إذا استمرّ عليه ، ويوقفه عن ذلك :

من ذلك ما اشتهر عنه أنّ أحد طلابه استأذن منه أن يتلو أمامه قصيدة ، فأذن ، فقال الطالب :

يَا أمتِي إن هذَا الليلَ يَعقبهُ فَجرٌ وأَنوَارهُ في الأَرضِ تَنتَشِرُ
والخَيرُ مُرتقبٌ والفَتْح منْتَظرٌ والحقّ رغمَ جُهُودِ الشّر منْتَشِرُ
بِصَحوةٍ بارِكَ البَاري مَسِيرَتَهَا نقِيّة مَا بهَا شَوبُ وَلاَ كَدَرُ
مَا دَام فِينَا ابنُ صَالح شَيْخُ صَحْوَتِنَا بِمِثْلِهِ يُرْتَجَى التّأييدُ وَالظّفَرُ

فاعترض الشيخ على الطالب ، وقال : أنا لا أوافق على هذا البيت لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص ، فإذا ربطنا الحقّ بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد ييأس الناس .

ثم قال : إذا كان يمكنك أن تبدل البيت :

ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله ρ هذا طيب .

فقال الطالب : ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله – ابن عثيمين – فاعترضه الشيخ قائلاً : لا ، الله يهديك ، لا ، لا هذه لا تجيبها أبداً .. وقّف وقّف .

ثم قال من حوله : (خلّه يواصل يا شيخ) .

فاعترض قائلاً : لا ، لا والله ما أرضى ، لا ، لا ما أرغب .

ثم علّق قائلاً : (أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن ، أن لا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال ، الرجال أولاً يضلّون ، حتى ابن مسعودٍ يقول : من كان مستنّاً فليستَنّ بمن قد مات ، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة ، الرّجال إذا جعلتم الحقّ مربوطاً بهم يمكن الإنسان يغترّ بنفسه – نعوذ بالله من ذلك – ويسلك طرقاً غير صحيحة ..) . [1]

(1) من شريط (100 فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجّد .

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

(طلبت منه رحمه الله أن نعقد معه لقاء عبر برنامج (في موكب الدّعوة) المعروف ، الذي يذاع عبر إذاعة القرآن الكريم ، لنتناول شيئاً من سيرته وحياته ، وطلبه للعلم ، ومشائخه ، وتوجيهاته لطلبة العلم ، فلبّى بكلّ تواضع ، فصدرت ذلكم اللقاء بتقديم موجز مختصر ، أثنيت فيه على الشيخ رحمه الله بما هو أهله من الأوصاف العلمية ، والمديح الصادق .

فأوقفني وأوقف التسجيل ، وطلب محو وإزالة تلك المقدّمة ، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح ، أو إطراء ، أو ثناء) . [1]

وسمعت الشيخ محمد صالح المنجّد يقول :

(كان الشيخ رحمه الله تعالى من تواضعه لا يرضى أن يقال له : العلامة ، وإذا سجّل أحد طلابه ذلك في شريط ، قال : امسح ، امسحه من

الشريط وقلت له مرّة : يا شيخ هذه المسائل التي سألتك إياها سنجمعها في كتاب مسائل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، قال : لا نريد العلامة ولا غيرها) . (2)

قلت :

وهذا الذي أشار إليه سمعته بنفسي من الشيخ ، فقد كان الشيخ يلقي محاضرة في مدينة بريدة في الجامع الكبير حوالي سنة 1404هـ ، وقدّم ـــ

(1) جريدة الرياض ، العدد 11893 .

(2) شريط (100 فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالحرس الوطني بالرياض .

له المقدّم بالثناء عليه ووصفه بالعلامة ، وبعد أن انتهى عقب الشيخ عليه قبل بدأ المحاضرة منكراً عليه وصفه بالعلامة ، ثم قال : إن العلامة هو من يجمع علوماً كثيراً ، وأنا لست كذلك وإنما يصح هذا على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ونحوه ، أو كما قال رحمه الله تعالى .

وقد حدث مثل هذا الموقف في الرياض في مسجد علي بن المديني في عام 1421هـ قبل وفاة الشيخ بأشهر قليلة .

وأيضاً كان الشيخ يمنع إطلاق كلمة (الإمام) على كل عالم أو داعية ، ويقول : إن الإمام من له أتباع يتبعونه في مذهبه وقوله ، كالأئمة الأربعة ونحوهم ولا يصح أن تطلق على كلّ عالم ، ومن ذلك ما ذكره عن الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى معلقاً في شرح زاد المستقنع على قول الحجاوي رحمه الله تعالى : (أما بعد : فهذا مختصر في الفقه من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قولٍ واحد ..) قال : (قوله : الإمام) هذا من باب التساهل بعض الشيء لأن الموفق ليس كالإمام أحمد أو الشافعي ، أو

مالك أو أبي حنيفة ، لكنه إمام مقيد له من ينصر أقواله ويأخذ بها ، فيكون إماماً بهذا الاعتبار .

أما الإمامة التي مثل إمامة الإمام أحمد وما أشبهه ، فإنه لم يصل إلى هذه الدرجة ، وقد كثر في الوقت الأخير إطلاق الإمام عند الناس ، حتى إنه يكون الملقّب بها من أدنى أهل العلم .

وهذا أمرٌ لو كان لا يتعدى اللفظ لكان هيناً ، لكنه يتعدى إلى المعنى ، لأن الإنسان إذا رأى هذا يوصف بالإمام تكون أقواله عنده قدوة مع أنه لا يستحقّ ...) . [1]

8- إخلاصه .

الإخلاص لوجه الله جل وعلا أمره عظيم ، وهو في نفس الوقت أمرٌ خفيٌّ لا يطلع عليه إلا علام الغيوب ، لكن هناك دلائل قد تدلّ عليه ، وتشير إليه ، من ذلك محبة إخفاء العمل عن أعين الناس، وعدم الرغبة في ثنائهم، وأن يستوي ظاهر المرء مع باطنه ، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله .

وشيخنا رحمه الله تعالى نرجو الله تعالى له أن يكتبه في المخلصين .

ومما ذُكر عنه في هذا الأمر ما رواه أحد تلامذته ، وهو الأخ خالد بن عبد الله الزمام قال :

(في ذات يوم كان الشيخ ينظر إلى السماء ويستغفر ، فلما علم أننا ننظر إليه صرف بصره إلى سقف البناء حتى لا نشعر به أنه يستغفر) . [2]

وقد سأله الشيخ محمد الشرافي قائلاً :

(يا شيخ حفظك الله أحبّ أن تخبرني عن طريقتك في قيام الليل لعلّني أقتدي بك ، فقال : اسكت ، الله يستر علينا ، ولم يجب) . (3)

وقال الأستاذ شديد بن غازي المطيري مدير عام تعليم البنات بحائل :

---

(1) الشرح الممتع (12/1) ط : 1 .

(2) جريدة الرياض ، العدد 11889 .

(3) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض) .

(حينما قدم له محاسب الرئاسة العامة لتعليم البنات راتبه لقاء تلك المحاضرات التي كان يلقيها فضيلته في كلّية البنات حينما قال : وهل تريدني أن أتقاضى راتباً إزاء واجباتي تجاه بناتي وأخواتي في الدين) . (1)

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

(لقد زرت الشيخ في منزله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدّعوة ، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جمّ ، وكان حريصاً على كلّ كلمة يقولها في اللقاء لأنني وجهت إليه أسئلة على طريق الدعوة حول حياة الشيخ وحول علمه ، وكان يقول رحمه الله تعالى : لولا أن هذا كما قلتم لي سينفع المسلمين ما تحدثت لكم عن نفسي بهذه الصورة، ولكن ما دمتم أكّدتم لي بمسؤوليتكم أنتم أنّ هذا سينفع المسلمين ، فواجب علينا أن نقوله ، وقلنا له : عندما تتحدث عن تجربتكم وعن مراحلكم التعليمية فإنما نقدّم لشباب المسلمين أنموذجاً يقتدون به) . (2)

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

(كان رحمه الله يذكرنا دائماً بالاحتساب في كلّ عمل نقوم به ، ويهتم بذلك اهتماماً كبيراً من أجل أن تصبح العادة عبادة ، وقد ذكر رحمه الله تعالى في كتابه (شرح رياض الصالحين طرفاً من هذا الجانب في شرح ـــــ

(1) الجزيرة ، العدد 10337 .

(2) الدعوة ، العدد 1776 .

حديث " من سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم "
فقال رحمه الله تعالى : يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك : اسقني ماءً وأسقيته وهو ظمآن فقد سقيت مسلماً على ظمأ فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم ، ثم يقول رحمه الله : فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً وكم من عملٍ كبيرٍ أصبح بالغفلة صغيراً .
انتهى (208/3) . [1]

9- عبادته .

- **صلاته رحمه الله تعالى :**

قالت سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين :

(أمّا حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج ، إذ قد أثاريني منظر رأيته وأنا صغيرة ، رأيت عجباً في سجادته التي يصلّي فيها النوافل في منزله، كانت السجادة مبطنة من الأسفل بالبلاستيك ، رأيتها معلّقة على الجدار ، وقد تشقق موضع الجبهة ، واليدين ، والرّكبتين من البطانة

البلاستيكية ، فهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه الله رحمة

---

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

واسعة) . [1]

قال الشيخ توفيق الصائغ :

(كان شيخنا رحمه الله تعالى لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل ، يصلي من آخر الليل رحمه الله تعالى ، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويبرق .

وصلّى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة ، فلم نمطر ، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى ، فصلّى فلم نمطر ، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة ، فخرج الشيخ من بيته – والله الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر ، لا أظن ذلك إلاّ من قيام الليل – فلمّا صعد على درجات المنبر ما أن خطَب بالناس حتّى انهالت الدموع منه رحمه الله رحمة واسعة ، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو ، فلم ننزل من ذلك المصلّى إلا وقد مطرنا) . [2]

وقال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

(إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطبيب الذي كان معه آخر أيام حياته ، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدّة ، قال : إني كنت آخر الأيام مع الشيخ ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة ، قال : ما رأيت عليه ـــ

(1) الدعوة ، العدد 1776 .

(2) شريط وداعاً العثيمين بواسطة صفحات مشرقة صـ33 .

سوى الصلاة ، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبداً) . [1]

- **قيامه الليل .**

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

(والشيخ رحمه الله تعالى كان يغتنم أوقاته جيداً ، وينام مبكراً بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائياً من غير منبه) . [2]

ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

(وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتجهد في آخر الليل) . [3]

قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ :

(إنه كان يقيم الليل حتى مع شدّة تعبه ،

وقد حدّث عن ذلك بعض تلامذته وهو – حمد العثمان – ومما قال بالمعنى :

أنه سافر مع الشيخ إلى الرّياض ، فمكثوا فيه وقتاً ثم غادروا إلى جدّة فأدوا العمرة في مكة ، فلمّا انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم ، فاستسلموا للنوم ، قال الشيخ حمد : فقمت في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة ، وإذا بي أرى الشيخ رحمه الله قائماً يصلّي!!فقلت : سبحان الله، أنا شاب واستسلمت للنوم ،

---

(1) المصدر السابق ص81. ، وعزاه لشريط ربانيون على فراش الموت .

(2) الدعوة ، العدد 1777 .

(3) الدعوة ، العدد 1776 .

وهذا شيخٌ كبير تعب معي مثلي ، ثم يقوم في الليل ليصلي ، فتشجّع أخونا (حمد) ليصلّي ، فقام وتوضأ ، ولما أراد أن يصلّي وإذا بالنعاس يغالبه ..) . [1]

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

(كان الشيخ ذا عبادة ، ينام مبكراً بعد العشاء ، فإذا جاءت الساعة الثانية يستيقظ تلقائياً بغير منبه ليقوم الليل ، ويعمل ما يعمل .

وقال أحد من رافقه مرة في سفرٍ ، فذهب مع الشيخ في دعوة ، فرجعا متأخرين كالّين متعبين إلى مسكنهما ، فوضع كلٌّ منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً ، واضطجع الشيخ .

قال المرافق : أثناء الليل ، وأثناء النوم انتبهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنّا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتبهت على صوت

الشيخ وهو قائمٌ يصلّي في هذا الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة إلى النّوم والرّاحة) . [2]

- **بكــاؤه .**

قال خالد بن عبد الله الحمودي :

(قبل وفاته يرحمه الله حضرنا مجلساً ، وكنت معه ، فتليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديداً وهو يسأل الله قائلاً: اللهم أعنى على الموت ، اللهم أعنا على الموت ، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر

(**1**) جريدة المدينة – الرسالة العدد 13788 .

(**2**) شريط 100 فائدة من الإمام ابن عثيمين .